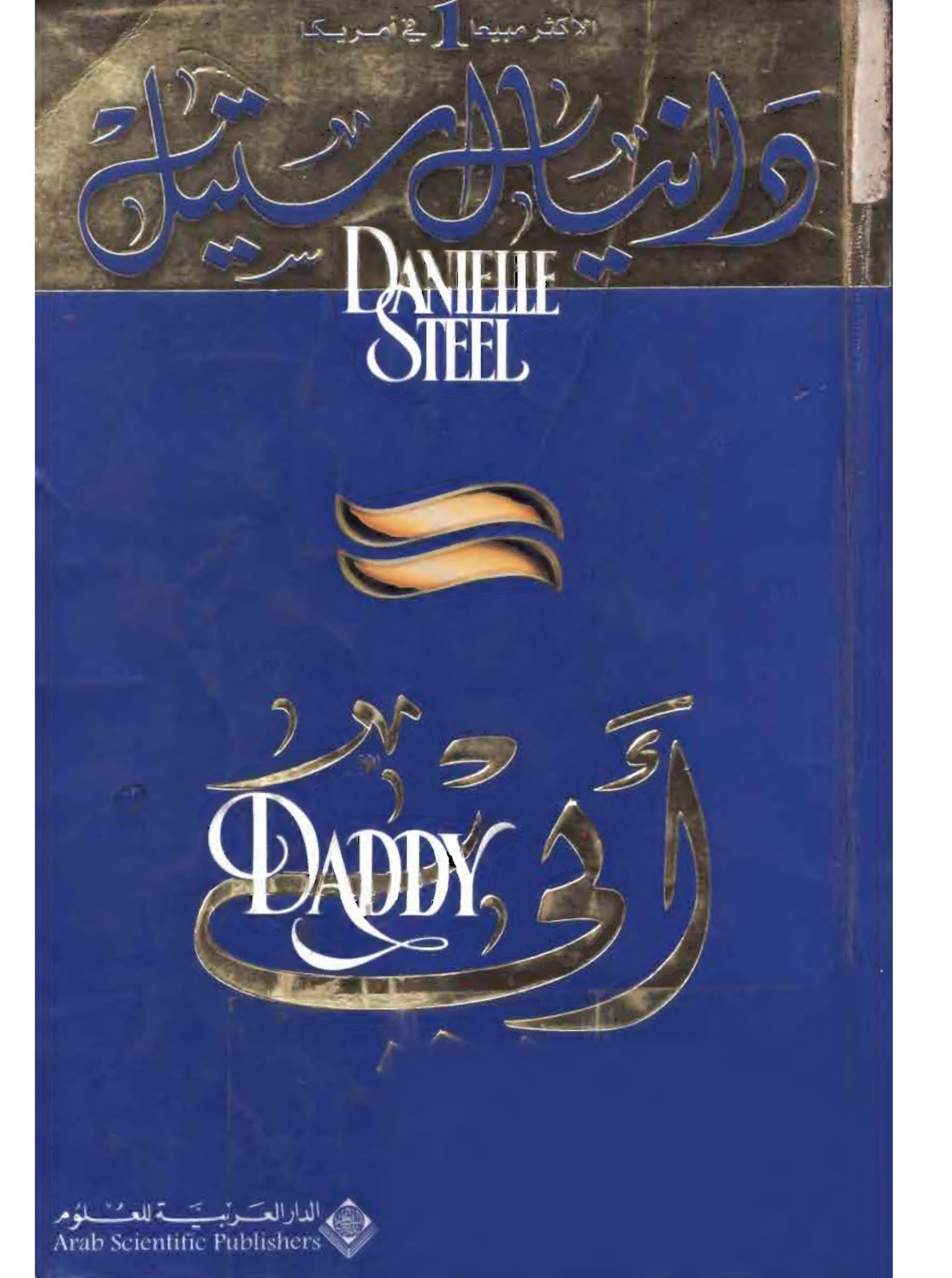

الأكثر مبيعا 1 في أمريكا
دانيال ستيل
DANIELLE STEEL
أبي
DADDY
الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers



DANIELLE STEEL

دانيال ستيل



يضم هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

Daddy

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من المؤلفة بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينها وبين الدار العربية للعلوم

ISBN 9953-29-900-5

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2003 م

الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

عين التينة، شارع ساقية الجنزير، بناية الريم
هاتف: 860138 - 785108 - 785107 (1-961)
فاكس: 786230 (1-961) ص.ب: 13-5574 - بيروت - لبنان
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

تمت الطباعة في:
مطبعة المتوسط
هاتف: 860138 (1-961) - بيروت - لبنان

المحتويات

الفصل الأول

تساقطت كرات الثلج في عناقيد بيضاء كبيرة، وتشبثت ببعضها البعض مثل رسم في قصة خرافية، تماماً كما في الكتب التي اعتادت سارة على قراءتها للأولاد. جلست أمام الآلة الكاتبة، تنظر إلى النافذة، وتراقب الثلج يغطي المرج ويتدلى من الأشجار مثل المخرّمات، ونسيت تماماً القصة التي كانت تحوكها في رأسها منذ بداية ذلك الصباح. كان المنظر رائعاً جداً. جميلاً جداً. كل شيء جميل هنا. إنها حياة قصصية في بلدة قصصية، وبدا الأشخاص المحيطون بها مثل أشخاص قصصيين. كانوا تماماً ما لم ترغب أبداً في ن تكون مثلهم، وها قد أصبحت الآن واحدة منهم، وذلك منذ أعوام. وسوف تبقى ربما دوماً كذلك. سارة ماك كورميك، المتمردة، المحررة المساعدة في مجلة "كريمسون"، الفتاة التي تخرجت من جامعة رادكليف عام 1969 وكانت الأولى في صفها وعرفت أنها مختلفة، أصبحت واحدة منهم. بين ليلة وضحاها. أو تقريباً كذلك. في الحقيقة، استغرق الأمر عشرين عاماً تقريباً. وقد أصبحت الآن سارة واتسون. السيدة أوليفر ويندل واتسون. عاشت في بورتشايس، نيويورك، في منزل جميل اشترياه تقريباً بعد أربعة عشر عاماً من الصراع مع الرهن العقاري. ولديها ثلاثة أولاد، وكلب، فيما توفي الهامستر الأخير في العام الفائت. ولديها زوج تحبه. العزيز أولي. لقد تخرج من كلية هارفارد للأعمال حين تخرجت هي من رادكليف، وأحبا بعضهما منذ كانت في سنتها الجامعية الثانية. لكنه كان مناقضاً تماماً لها. فهو متحفظ فيما هي متهورة. وقد آمن في ما حاولوا القيام به في فيتنام، وكرهته لفترة بسبب ذلك. لا بل إنها توقفت عن رؤيته لفترة بعد التخرج لأنها أصرت على أنهما مختلفان جداً. وقد ذهبت للعيش في سوهو، في نيويورك، وحاولت الكتابة، ونجحت تماماً في ذلك. وقد نشرت مؤلفاتها مرتين في مجلة The Atlantic Monthly ومرة واحدة

فقط... في المجلة العظيمة... The New Yorker. كانت جيدة وهي تعرف ذلك. أما أوليفر فعاش في أعلى المدينة، في شقة تشاركها مع صديقين في شرق الشارع رقم 79، وقد وجد عملاً جيداً جداً، بفضل شهادة الماجستير في إدارة الأعمال، في وكالة إعلانات في جادة ماديسون. أردات أن تكرهه لذلك، وأرادت أن تكرهه لإطاعته، لكنها لم تنجح في ذلك. فرغم كل ذلك، عرفت كم تحبه.

تحدث عن أشياء مثل العيش في الريف، وامتلاك كلاب صيد إيرلندية، وإنجاب أربعة أولاد، وزوجة لا تعمل، ولهذا هزئت منه على ذلك. لكنه كان يكشف عن تلك الابتسامة الصبيانية العريضة المذهلة التي جعلت قلبها يخفق له... حتى حين ادعت لنفسها أن ما تريده حقاً هو رجل له شعر أطول من شعرها... فنان... نحات... كاتب... شخص "مبدع". وأوليفر كان مبدعاً، وكان ذكياً. لقد تخرّج من جامعة هارفارد، ولم يتأثر أبداً بميول الستينات من القرن العشرين. فحين كانت تتقدم، كان يتغلب عليها بالبحث الدقيق. وحين كانت تتجادل معه، وتطلق عليه تسميات شتى، كان يشرح بهدوء وعقلانية ما يؤمن به. وكان مهذباً جداً، وطيب القلب جداً، وكان أفضل صديق لها، حتى حين كان يغضبها. كانا يلتقيان في القرية أحياناً، أو في أعلى المدينة لتناول القهوة أو المشروبات أو الغداء، وكان يخبرها بما يقوم به ويسألها عن آخر مقال كتبته. عرف أنها جيدة، أيضاً، لكنه لم يعرف لماذا لا تستطيع أن تكون "مبدعة" ومتزوجة.

"... الزواج هو للنساء اللواتي يبحثن عن شخص لدعمهم. أريد الاعتناء بنفسي، أوليفر واتسون". وهي قادرة على ذلك، أو على الأقل كانت كذلك. فقد عملت حاضنة أطفال في دوام جزئي في سوهو وكاتبة مستقلة. وكسبت المال من ذلك. في بعض الأحيان. لكنها تتساءل الآن أحياناً ما إذا كانت لا تزال قادرة على الاعتناء بنفسها، ودعم نفسها، وملء استمارات الضرائب بنفسها، والتأكد من عدم انتهاء صلاحية تأمينها الصحي. ففي الثمانية عشر عاماً من

زواجهما، أصبحت معتمدة جداً عليه. فقد تولى الاهتمام بكل المشاكل الصغيرة في حياتها، ومعظم المشاكل الكبيرة أيضاً. كان الأمر شبيهاً بالعيش في عالم محكم الإغلاق، فيما أولي موجود دوماً لحمايتها.

اعتمدت عليه في كل شيء، وقد أخافها ذلك في أغلب الأحيان. ماذا لو حدث له شيء؟ هل تستطيع تدبر الأمر؟ هل تستطيع إدارة المنزل، ودعم نفسها والأولاد؟ حاولت التحدث إليه بشأن ذلك أحياناً، لكنه كان يضحك ويقول لها إنه لا يجدر بها القلق أبداً. لم يجمع ثروة، لكنه أبلى حسناً وكان شخصاً مسؤولاً. لديه الكثير من تأمينات الحياة. فقد كانت جادة ماديسون جيدة بالنسبة إليه، وفي الرابعة والأربعين من العمر، أصبح الرجل رقم ثلاثة في هينكلي وبوروز وداوسون، إحدى أكبر وكالات الإعلانات في البلاد. وقد حقق بنفسه أربعة أكبر أرباح وكان مهماً للشركة، ومحترماً بين زملائه. كان أحد أصغر الأشخاص الذين احتلوا منصب نائب الرئيس في هذا المجال، وكانت فخورة جداً به. لكن الأمر ما زال يخيفها. فما كانت تقوم به هنا، في منطقة برونتشايس الجميلة، هو مراقبة تساقط الثلج وانتظار عودة الأولاد إلى المنزل، فيما تدّعي أنها تكتب قصة... قصة لن تكتب أبداً، ولن تنتهي أبداً، ولن تفضي أبداً إلى أي مكان، تماماً مثل بقية القصص التي حاولت كتابتها في العامين الأخيرين. وقد قررت العودة إلى الكتابة عشية عيد ميلادها التاسع والثلاثين. وكان ذلك قراراً مهماً بالنسبة إليها. لكن عمر التسعة وثلاثين عاماً كان أسوأ فعلياً من عمر الأربعين. ففي الأربعين، استسلمت لـ "كآبة وشيكة" مثلما أطلقت عليها. أخذها أوليفر وحدها في رحلة إلى أوروبا لمدة شهر بمناسبة عيد ميلادها الأربعين. وكان الأولاد بعيداً في مخيّم، أو اثنان منهم بالأحرى، فيما تولت حماتها الاعتناء بالصغير سام. كان يبلغ سبعة أعوام فقط آنذاك، وكانت المرة الأولى التي تتركه. كان الأمر شبيهاً بفتح بوابات الجنّة حين ذهبت إلى باريس... لا يوجد زحمة سيارات... ولا أولاد... ولا حيوانات... ولا حفلات عشاء خيرية تقام لصالح المدرسة أو المستشفيات المحلية... ولا أحد... ولا

شيء... باستثنائهما، والأسابيع الأربعة التي لا تنسى في أوروبا. باريس... روما... عبور التوسكانا، والمحطة الوجيزة في الريفييرا الإيطالية، ومن ثم بضعة أيام في قارب استأجره للتنقل بين كان وسان تروبيز... والتوجه إلى إيز وسان بول دو فانس، وتناول العشاء في كولومب دور، ومن ثم بضعة أيام أخيرة في لندن. كانت تدوّن كتابات سريعة على الدوام خلال الرحلة، وملأت سبعة دفاتر. لكن حين عادت إلى المنزل... لا شيء. لم يشأ أي من هذه الكتابات أن يتحول إلى قصص، أو روايات، أو مقالات، أو حتى قصائد. اكتفت بالجلوس هناك، والتحديق في دفاترها الصغيرة، فيما صفحة بيضاء فارغة في آلتها الكاتبة لن تمتلئ أبداً على ما يبدو. وكانت لا تزال تحاول القيام بذلك بعد عام ونصف العام. ففي الواحد والأربعين، شعرت كأن حياتها كلها أصبحت خلفها. وكان أوليفر دوماً يضحك عليها كلما قالت ذلك.

"بالله عليك يا ساري... لم تتغيري أبداً منذ أن التقيت بك". وكان يعني ذلك فعلاً. وكان ذلك صحيحاً تقريباً. ولكن ليس تماماً. فهي، والذين أرادوا أن يكونوا انتقاديين، يعرفون الفرق. فالشعر الأحمر الداكن اللامع الذي كان ينسدل على ظهرها في طبقات نحاسية لامعة أصبح بنياً محمراً الآن. وقد جعلته يصل إلى كتفيها، مع المزيد من الخصل الفضية، الأمر الذي أزعج الأولاد أكثر مما أزعج سارة. أما العينان الزرقاوان اللامعتان فلا تزالان على حالهما. كانتا باللون الأزرق النابض الداكن، فيما البشرة القشدية لا تزال ناعمة ومن دون تجاعيد في معظمها، ولكن مع بعض الخطوط الرفيعة هنا وهناك. غير أن أوليفر قال إنها تعطي وجهها المزيد من التعبير. كانت امرأة جميلة، وكانت فتاة جميلة، طويلة ونحيلة، مع وجه جميل ويدين لبقتين، وحسّ بالدعابة يتلألأ في عينيها. وكان هذا ما أحبه فيها منذ البداية. ضحكتها وحماستها، وشجاعتها، وعزمها الكبير على الالتزام بما آمنت به. هناك بعض الأشخاص الذين ظنوا أنها امرأة صعبة حين كانت صبية، ولكن ليس أولي. أبداً أولي. فقد أحب طريقة تفكيرها، والأشياء التي قالتها، وطريقة قولها لها. وقامت بينهما

علاقة مبنية على الاحترام والرعاية المتبادلين، وأمضيا وقتاً جيداً جداً في السرير. لطالما كان الأمر كذلك، ولا يزال حتى اليوم. لا بل إنه يعتقد أحياناً أنه بعد عشرين عاماً، أصبح الأمر أفضل. والواقع أنه كان كذلك في بعض النواحي. عرفا بعضهما البعض بطريقة مثالية، مثل الخشب الناعم الذي يجري لمسه ومداعبته وملاطفته آلاف المرات بأيدٍ حنونة ورقّة الامتلاك الصحيح.

احتاج بالضبط إلى سنتين لإقناعها بالزواج منه بعد أيامها في سوهو. في عمر الثالثة والعشرين، أصبحت السيدة أوليفر واتسون. إلا أنها رفضت تماما الزفاف التقليدي. لذا، تزوجا في حديقة منزل أهله في باوند ريدج، وجاء أهلها وشقيقتها الصغرى من شيكاغو. ارتدت سارة فستاناً أحمر ووضعت قبعة كبيرة، وبدت مثل فتاة شابة في لوحة فنية أكثر من عروس. وكان كلاهما سعيداً. ذهبا إلى برمودا لقضاء شهر العسل، وكان الطقس بشعاً لكنهما لم يلاحظا ذلك أبداً. ضحكا ولعبا وبقيا في السرير حتى وقت متأخر من بعد الظهر، وخرجا من الغرفة فقط للقيام بغزو باكر لغرفة الطعام في الفندق، ثم عادا مسرعين إلى غرفتهما، وهما يضحكان مثل ولدين صغيرين.

لكن بعد ثلاثة أسابيع فقط، أصبحت سارة أقل حماساً. كانا يعيشان في شقة صغيرة في الجادة الثانية، في مبنى مليء بمضيفات الطيران والموظفين الشباب، والعازبين الذين بدوا أنهم يحولون المبنى بكامله إلى حفلة دائمة.

عاد إلى المنزل من العمل ليجدها تبدو كما لو أن صديقتها الحميمة توفيت. لكن لم تكن صديقتها، وإنما "الأرنب". فقد شعرت بالارتباك حيال غياب دورتها الشهرية بعد عودتهما إلى المنزل، لكنها كانت مؤمنة وتستعمل الواقي وتعرف أنه لا يمكن أن تكون حاملاً. فقد استعملت الواقي ليلاً ونهاراً منذ أن وقفت أمام المذبح إلى أن عادا إلى المنزل من شهر العسل، لكن يبدو أن خطأً ما قد حدث بطريقة ما، وقد أصبحت حاملاً. وأرادت أن تجهض. أصيب أوليفر بالذعر لمجرد تفكيرها في الأمر. لكن سارة شعرت بذعر أكبر لمجرد التفكير بأنها سترزق بالأولاد سريعاً.

"لا نريد عائلة بعد... أريد الحصول على وظيفة مجدداً... القيام بشيء ما...". كانت تفكر في الحصول على وظيفة في ذلك الوقت كمحررة في مجلة أدبية، فضلاً عن أن قصصها لم تكن تباع جيداً، وتقدمت بطلب إلى كلية كولومبيا للخريجين للشروع نوعاً ما في شهادة الماجستير. وكانت توقفت عن العمل كحاضنة أطفال فور زواجها من أولي لأن الذهاب إلى سوهو كل يوم لم يكن سهلاً.

"يمكنك دوماً الحصول على وظيفة لاحقاً!" قال لها. راح يعزيها، ويدللها، ويقوم بأي شيء يستطيعه لمحاولة جعلها تشعر بتحسن. لكنها لم تعرف العزاء قط، وفي كل ليلة أثناء عودته إلى المنزل، كانت تجتاحه فجأة موجة رعب... ماذا لو فعلتها... ماذا لو ذهبت إلى شخص ما أثناء غيابه في العمل وقامت بإجهاض. لكنها لم تفعل. فقد كانت نوعاً ما مريضة جداً، ومرهقة جداً، ومكتئبة جداً حتى لمحاولة ذلك. أما الشيء التالي الذي عرفته فهو التجول في منزلهما والتساؤل عن كيفية سماحها بحدوث ذلك. لكن أوليفر كان يشعر بالإثارة. فقد أراد أربعة أولاد، لطالما قال ذلك، وحتى لو أثقل ذلك ميزانيتهما في الوقت الحاضر، أراد مواجهة الأمر. كان يبلي حسناً، ويترقى بسرعة في الشركة، وحتى لو تضورا جوعاً، لن يدعها تجهض أبداً. لن يفعل ذلك ببساطة. فهذا طفلهما. لهما. وقبل وقت طويل من قدوم الطفل، شعر بالحب تجاهه.

جاء بنجامين واتسون إلى العالم مع شعر أحمر ساطع، ونظرة ذهول في عينيه اللامعتين، بعد تسعة أشهر وثلاثة أيام من زواج أهله. بدا قلقاً لاكتشاف العالم، وبكى كثيراً، وكان شبيهاً تماماً بأمه، مما سرّ كثيراً أوليفر الذي كان متحمساً لإنجاب صبي، ولا سيما صبي يشبه سارة. نما بنجامين بسرعة ولم يكن لديه فقط نظرات سارة. فقد كان لديه عزمها وعنادها ومزاجها المتقلب. ومرّت أيام فكرت خلالها سارة في قتل الصبي قبل عودة أوليفر إلى المنزل لتهدئتهما. ففي خلال دقائق من وصوله إلى المنزل، كان يحضن الطفل بسعادة، ويضحك معه، ويلعب "البقوسة"، ويمشي في المنزل حاملاً الصغير على ذراعيه فيما سارة منهارة في كرسي مع تنهد عميق، متساءلة عن كيفية تحملها الأمر. لا شك في أن الأمومة ليست ملائمة تماماً لها، فضلاً عن أن الشقة صغيرة جداً، الأمر الذي كان يثير جنونها. وحين يكون الطقس سيئاً، كما هي الحال غالباً هذه السنة، لم تكن تستطيع الخروج البتة، وبدت صيحات الطفل تصدح من كل الجدران إلى أن ظنت أنها ستصاب بالجنون. أراد أوليفر نقلهما من البلدة إلى منزل خاص بهم في مكان ما، لكن هذا الحلم لا يزال بعيداً جداً لأنهم عاجزون عن تكاليفه. اقترحت سارة العثور على وظيفة، لكن كلما حاولا تصور الأمر، بدا جلياً أن ما ستجنيه سيذهب إلى الحاضنة، ما يجعلهم بحاجة إلى المال أكثر من قبل. والواقع أن الحل الوحيد المجدي كان إخراجها من المنزل. ورغم أن الأمر أعجب سارة، رأى أوليفر أن المهم لها هو البقاء مع الطفل.

"لا تكن مغالياً في الوطنية يا أول. ماذا تتوقع مني أن أفعل، الجلوس هنا طوال اليوم والتحدث إلى نفسي فيما الطفل يصرخ؟" كانت هناك أيام ظنت خلالها فعلاً أنها لم تعد تستطيع التحمل. كما أن فكرة إنجاب أربعة أولاد لا يزال أوليفر يرغب فيهم كانت تدفعها إلى الانتحار.

لم يستطع أهلها توفير المساعدة لأنهم كانوا في شيكاغو، ولم يكن أهله أفضل حالاً. فقد أنجبت أمه ولداً واحداً، وبدا أن تذكر كيفية التأقلم مع الأمر كانت تثير رعبها. لذا، فإن التواجد مع بنجامين كان يجعلها تشعر بالعصبية، ولكن ليس بقدر العصبية التي كانت تشعر بها سارة.

وفي النهاية، هدأ الولد وأصبح بنجامين أقل رعباً بالنسبة إليها حين بدأ يمشي. وخرجوا أخيراً من محنتهم. فقد استأجروا منزلاً في لونغ آيلند لفصل الصيف، وتستطيع في السنة التالية إرساله إلى مدرسة الحضانة... ومن ثم سنة أخرى... وتصبح متحررة تقريباً من المنزل... وتستطيع عندئذ العودة إلى الكتابة. لقد تخلت عن فكرة العثور على وظيفة. أرادت تأليف قصة. كان كل

شيء يبدو جيداً، ثم أصيبت بالانفلونزا. كانت انفلونزا لم يسبق لها مثيل، وبعد شهر على بدايتها، اقتنعت سارة بأنها تموت. فلم تشعر أبداً بهذا القدر من المرض في حياتها. كانت تعاني برداً لا يختفي بكل بساطة، وسعالاً قوياً مثل التهاب الرئة، وكانت تشعر بالغثيان من الصباح حتى المساء نتيجة السعال. وفي النهاية، بعد أربعة أسابيع من محاربة الانفلونزا، قررت الذهاب إلى الطبيب. كانت تعاني من الانفلونزا، ولكن أكثر من ذلك أيضاً. فهي تنتظر طفلاً آخر. وفي هذه المرة، لم تشعر بالغضب أو السخط أو الغيظ أو الحقد، وإنما كان هناك ببساطة يأس وما بدا لأوليفر مثل ساعات وساعات من البكاء. لا تستطيع تحمل الأمر، ولا تستطيع القيام بذلك مجدداً. لا تستطيع تحمل ولد آخر. فلم يتوقف بنجامين بعد عن استعمال الحفاضات، وسيكون هناك الآن ولدان يستعملان الحفاضات. كانت هذه المرة الوحيدة التي تشاهد فيها أوليفر محبطاً أيضاً. فلم يعرف ما الذي يجب القيام به للتخفيف عنها. وكما هي الحال في المرة الأولى، كان متحمساً لفكرة الطفل، لكن إخبارها بذلك كان يجعلها تبكي أكثر.

"لا أستطيع... لا أستطيع فقط يا أولي... أرجوك... لا تجعلني...". ناقشا مسألة الإجهاض مجدداً، ونجحت تقريباً في إقناعه بتغيير رأيه، خشية أن تصاب بالجنون إذا لم يوافق. لكنه صرف النظر عن الموضوع وحصل على ترقية حين كانت في منتصف حملها، وخصص كل قرش منها لاستئجار امرأة لتأتي وتساعدها على رعاية بنجامين ثلاث مرات في الأسبوع. كانت فتاة إيرلندية من عائلة مؤلفة من ثلاثة عشر ولداً، وكانت تماماً ما تحتاج إليه سارة. فقد أصبحت فجأة قادرة على الخروج إلى المكتبات، واللقاء بالأصدقاء، وزيارة المعارض الفنية والمتاحف، وتحسن موقفها بشكل مذهل. لا بل إنها بدأت تستمتع بصحبة بنجامين واصطحبته مرة أو مرتين معها إلى المتحف. وعرف أوليفر أنه على رغم عدم اعترافها بالأمر، فإنها بدأت تتطلع فعلاً لقدوم الطفل الثاني.

ولدت مليسا حين بلغ بنجامين الثانية من عمره، وبدأ أوليفر التفكير جدياً في نقل عائلته إلى الريف. بحثا عن منازل في كونكتيكات في كل نهاية أسبوع تقريباً وقررا أخيراً أنهما لا يستطيعان تحمل النفقات. جربا لونغ آيلند ووستشستر وبدا أنهما يخصصان كل نهاية أسبوع للبحث عن منزل. باوند ريدج، راي، برونكسفيل، كاتوناه، وأخيراً، وبعد سنة كاملة، عثرا على ما يريدانه تماماً في بورتشايس. كانت مزرعة قديمة غير مأهولة منذ عشرين عاماً وتحتاج إلى مقدار كبير من العمل. كانت جزءاً من ملكية كبيرة، وحصلا عليها بثمن بخس. والواقع أن هذا الثمن سيكلفهما الكثير، لكن بفضل الادخار والتوفير وإنجاز معظم الأعمال بأنفسهما، نجحا في تحويل المزرعة إلى مكان جميل جداً في غضون عام، وكانا فخورين جداً به. "لكن هذا لا يعني أني سأنجب المزيد من الأولاد يا أوليفر واتسون!". فبالنسبة إليها، كانت تضحية كبيرة أن تعيش في الضواحي. وقد أقسمت ألا تفعل ذلك أبداً حين كانا يتواعدان. لكن توجب عليها الاعتراف أن الأمر منطقي أكثر. فقد كان يستحيل إدارة الشقة في الجادة الثانية، وبدا كل شيء آخر بحثا عنه في المدينة صغيراً جداً وباهظاً جداً. أما هنا فيملك الأولاد غرفهم الخاصة.

اشتمل المنزل على غرفة جلوس ضخمة وإنما حميمة مع موقد ومكتبة ملأاها معاً بالكتب، فضلاً عن مطبخ مريح له جداران من القرميد، وأعمدة خشبية ثقيلة في السقف، وفرن قديم الطراز أصرّت سارة على إصلاحه والاحتفاظ به. وامتاز المنزل بنوافذ عملاقة تطل على ما حولته سارة إلى حديقة مذهلة، وتستطيع مشاهدة الأولاد وهم يلعبون خارجاً فيما تطهو الطعام. ومع انتقالهم إلى الريف، خسرت سارة الفتاة الإيرلندية، وكان ذلك جيداً لأنها لا تستطيع في الوقت الحاضر تحمل نفقاتها.

كان بنجامين قد بلغ الثالثة من عمره في أية حال، وكان يذهب إلى المدرسة كل صباح. وبعد سنتين، أصبحت مليسا في المدرسة أيضاً وقالت سارة لنفسها إنها ستعود إلى الكتابة. لكن بطريقة ما لم يعد هناك أي وقت بعد

الآن. فقد كان لديها دوماً أشياء للقيام بها. كانت تنجز أعمالاً تطوعية في المستشفى المحلي، وتعمل يوماً واحداً في الأسبوع في مدرسة الأولاد، وتقوم بمهام قصيرة، وتجري الإحصاءات، وتبقي المنزل نظيفاً، وتكوي قمصان أولي وتعمل في الحديقة. وكان ذلك تحولاً جذرياً بالنسبة إلى مساعدة التحرير السابقة في مجلة كريمسون. لكن الممتع هو أنها لا تكترث للأمر.

بعد مغادرة نيويورك، بدا وكأن جزءاً منها تركته هناك، الجزء الذي كان لا يزال يحارب الزواج والأمومة. وبدت فجأة جزءاً من عالم صغير مسالم محيط بها. التقت بنساء أخريات أنجبن أولاداً من العمر نفسه. وكان هناك أزواج يلعبون معهم كرة المضرب والورق في عطل نهاية الأسبوع، وبدا عملها التطوعي متطلباً أكثر على الدوام، ونسيت بالتالي كل الكفاح والمصاعب. وفي غمرة كل ذلك، نسيت موهبتها في الكتابة أيضاً. فلم تعد تكترث لها بعد الآن. وكل ما أرادته هو أن يكون لديها حياة سعيدة ومشغولة مع زوجها وأولادها.

بدأ صراخ بنجامين أيام الطفولة بالاختفاء في الذاكرة البعيدة وتحول إلى ولد لطيف، لا يملك فقط نظرات أمه وإنما يشاركها أيضاً اهتماماتها وهواياتها ومبادئها. فقد كان مثل الاسفنجة الصغيرة، يمتص كل ما كانت عليه، وكان بطرق عدة مرآة سارة. لاحظ أوليفر الأمر وضحك، وكانت سارة تشعر بالسرور والفخر رغم أنها نادراً ما اعترفت بالأمر للآخرين. كان ابنها يشبهها كثيراً. أما مليسا فكانت طفلة جميلة أيضاً، وكانت أسهل من بنجامين، وتشبه والدها إلى حد ما. كانت سريعة الابتسام وتتخذ موقفاً سعيداً تجاه الحياة. وبدا أنها لم تكن تريد الكثير من والديها. فقد كانت سعيدة بمجرد تتبع سارة في كل مكان مع كتاب أو دمية أو أحجية في يدها. وفي بعض الأحيان، كانت تنسى سارة أن ابنتها موجودة في الغرفة المجاورة. كانت فتاة صغيرة غير متطلبة، ولها شعر أوليفر الأشقر وعيناه الخضراوان، رغم أنها لا تشبهه تماماً. فقد كانت تشبه أمها أكثر، الأمر الذي كان يزعج سارة على الدوام عند صدوره على لسان أهل زوجها.

لم تكن يوماً صديقة لوالدة أوليفر. فقد كانت السيدة واتسون صريحة جداً في البداية وأخبرت ابنها برأيها في سارة قبل زواجهما. فقد رأتها فتاة قوية وصعبة، تريد تحقيق أهدافها بأي ثمن، وكانت تخشى دوماً أن تؤذي يوماً أوليفر بطريقة سيئة. لكن سارة كانت لغاية الآن زوجة صالحة له، اعترفت لزوجها على مضض حين انتقد الفتاة. لكن سارة شعرت دوماً أن المرأة العجوزة تراقبها، كما لو أنها تنتظر غلطة ما، أو هفوة ما، أو إخفاقاً فظيعاً يثبت أنها كانت محقة في النهاية. إلا أن المتعة الوحيدة التي تشاركتها المرأتان كانت الولدين اللذين بعثا البهجة في نفس السيدة واتسون، واللذين تحبهما سارة كما لو أنها أرادتهما منذ البداية، فيما لا تزال السيدة واتسون تذكر أن سارة كانت تريد عكس ذلك. لم يخبرها أوليفر يوماً بأي شيء، لكنها كانت تشعر بما يجري من دون أن يخبرها أحد. كانت امرأة ذكية وسريعة الملاحظة، وتعرف تماماً أن سارة لم تكن سعيدة بحملها، وأنها لم تستمتع بالأيام الأولى من حياة بنجامين. لكن عليها الاعتراف من جهة أخرى أن بنجامين لم يكن ولداً سهلاً البتة. فقد أثار أعصابها هي أيضاً بسبب صراخه الدائم من المغص. لكن هذه الأمور أصبحت الآن طي النسيان، بعدما كبر الأولاد، وقد نجح سارة وأوليفر وأبليا حسناً، وهما الآن مشغولان وسعيدان. وبدا أن سارة تخلت أخيراً عن طموحاتها الأدبية، الأمر الذي بدا دوماً مبالغاً فيه بالنسبة إلى السيدة واتسون.

"إنها فتاة جيدة يا فيليس. لا تكوني قاسية جداً عليها. كانت صغيرة عندما تزوجا. وهي تجعل أوليفر سعيداً جداً". لطالما كان زوجها فلسفياً أكثر منها.

"أعرف... لكن لديّ دوماً إحساس بأنها تريد شيئاً أكثر، شيئاً صعب المنال... شيئاً سيكلّف أوليفر غالياً". كانت تلك ملاحظة ماكرة أكثر مما تعتقد. لكن جورج واتسون هزّ رأسه بابتسامة متسامحة.

"يستطيع أولي السيطرة عليها".

"لست واثقة من أنه يريد ذلك. أظنّ أنه يدعها تحصل على أي شيء تريده، مهما كلّفه ذلك. إنه من هذا النوع من الرجال". ابتسمت برفق لزوجها

الذي أحبته طوال أربعين عاماً تقريباً، علماً أن هذه الأعوام نفيسة جداً لعدّها الآن. لقد أصبحا متحدين مثل جسد واحد وروح واحدة، منذ مدة طويلة. "إنه مثل والده. طيب جداً. قد يكون ذلك خطيراً في بعض الأحيان بين يديّ المرأة الخطأ". كانت قلقة دوماً على ابنها، وما زالت بعد كل هذه السنوات تشعر بعدم الثقة حيال سارة.

لكن الإطراء لم يغفل عن الزوج الذي ابتسم لزوجته ووجه إليها نظرة تجعلها تشعر بالاضطراب. "إمنحي الفتاة بعض الثقة يا فيليس. فهي لم تؤذي ولدنا، وقد أنجبت له ولنا ولدين جميلين". ورغم أن أياً منهما لا يشبه والده تماماً، فإنهما يملكان بعض قسماته الكلاسيكية الجيدة. فقد كان أوليفر طويلاً ورشيقاً ورياضي المظهر، وله شعر أشقر كثيف وأملس حسدته عليه كل أم حين كان ولداً صغيراً، وكل فتاة حين كان في الكلية. ورغم أن سارة لم تعترف له بالأمر إلا نادراً، لأنها لا تريده أن يزيد غروره إلى درجة لا تستطيع تحملها، سمعتها تقول لأكثر من مرة إن أوليفر واتسون هو الرجل الأكثر وسامة في بورتشايس. فطوال ستة أشهر من السنة، يحتفظ باسمرار عميق، وتبدو عيناه الخضراوان أنهما ترقصان مع الخداع والضحك. ورغم ذلك، فإنه ليس مدركاً تماماً لنظراته الجيدة التي تجعله أكثر جاذبية.

"هل تظن أنهم سينجبون المزيد من الأولاد يا جورج؟" لطالما تساءلت فيليس عن ذلك، لكنها لم تجرؤ أبداً على سؤال ابنها، ولا طبعاً سارة.

"لا أعرف يا عزيزتي. أظن أنهما يعيشان حياة حافلة في الوقت الحاضر. وفي هذه الأيام، لا يمكنك التأكد أبداً مما سيجري. أوليفر يتعاطى عملاً غير آمن. فالإعلانات لا تشبه أبداً العمل المصرفي حين كنت شاباً. لا يمكنك الاعتماد على أي شيء بعد الآن. لكن من الأفضل لهما ربما ألا ينجبا ولداً آخر". كان جورج واتسون يتحدث بهذه الطريقة خلال العام الماضي. فقد عاش طويلاً كفاية لمشاهدة العديد من استثماراته التي كانت سليمة في ما مضى وبدأت الآن تتقلص وتخبو. فكلفة العيش أصبحت عالية على نحو

مذهل، ويجدر بهما هو وفيليس توخي الحذر. لديهما منزل صغير جميل في وستشستر اشترياه قبل خمسة عشر عاماً، حين كان أوليفر في الكلية. وعرفا أنهما لن يعود أبداً إلى المنزل لقضاء فترة طويلة من الوقت ولذلك بدا من الساذج فعلاً الاستمرار في العيش في منزلهما القديم في نيو لندن. لكن جورج قلق بشأن مواردهما المالية في الوقت الحاضر. ليسا معوزين أبداً، لكن إذا عاش كلاهما لخمس وعشرين سنة إضافية، بحيث يصبحان في التاسعة والخمسين والثانية والستين، ويأمل أن يفعلا ذلك، يمكن ألا تكفيهما مدخراتهما. فقد تقاعد للتو من المصرف ويحصل على معاش تقاعدي محترم. كما أنجز العديد من الاستثمارات الحكيمة على مرّ السنوات، لكن رغم ذلك... لا يمكنك أبداً توخي الحذر الشديد. وهذا ما كان يقوله لأوليفر كلما رآه. فقد شاهد الكثير في حياته، وعرف حرباً كبيرة والعديد من الحروب الصغيرة. كما حارب في غوادالكانال، وكان محظوظاً فعلاً للبقاء على قيد الحياة. وكان عمره اثني عشر عاماً في حادث العام 29، وعرف تماماً مدى فظاعة الاكتئاب. كما شاهد الاقتصاد يتأرجح صعوداً ونزولاً على مر السنوات. لذا، أراد أن يتوخى ابنه الحذر. "لا أرى لماذا يرغبون في المزيد من الأولاد؟"

ووافقت سارة تماماً معه. كان هذا أحد المواضيع القليلة التي تتفق عليها تماماً مع جورج واتسون. وكلما جرت مناقشة الموضوع مع أوليفر، سواء في السرير في وقت متأخر من المساء أو في نزهة هادئة بين الأشجار في زاوية بعيدة من بورتشايس، كانت تقول له دوماً إنه من السخيف فعلاً التفكير في الموضوع. "لمَ قد نرغب في المزيد من الأولاد الآن يا أولي؟ ها هما مليسا وبنجامين يكبران. إنهما سهلان ولديهما حياتهما الخاصة. وبعد بضع سنوات، سوف نتمكن من القيام بأي شيء نريده. لمَ نورّط أنفسنا في كل هذه المشاكل مجدداً؟" حتى التفكير في الموضوع كان يجعلها تقشعرّ.

"لن يكون الوضع نفسه هذه المرة. نستطيع استئجار شخص لمساعدتنا. لا أعرف... أظن فقط أن الأمر سيكون جميلاً. فقد نندم يوماً ما لأننا لم ننجب

المزيد من الأولاد'. نظر إليها برفق بعينين تجعلان كل النساء يستسلمن، لكن سارة ادّعت عدم الملاحظة.

"لن يحب الأولاد الفكرة في الوقت الحاضر. فقد أصبح بنجامين في السابعة ومليسا في الخامسة. لذا، قد يبدو الطفل دخيلاً بالنسبة إليهما. عليك التفكير في ذلك. ندين لهما بشيء ما أيضاً". بدت جازمة جداً وواثقة جداً، فابتسم وأمسك بيدها أثناء عودتهما إلى حيث ركنا السيارة. لقد اشترى لتوه أول سيارة مرسيدس له. ولم تكن تعلم بعد أنه سيقدم لها معطفاً من الفرو في عيد الميلاد. وقد اشتراه لها من محلات بيرغدورف غودمان بعد تطريزه بالأحرف الأولى لاسمها.

'تبدين متأكدة تماماً". وكما هي الحال دوماً، بدا خائب الأمل.

"أنا أكيدة". وكانت كذلك فعلاً. فلا مجال أبداً لإقناعها بإنجاب ولد آخر. كانت في الواحدة والثلاثين، وتحب حياتها مثلما هي. كانت منهمكة في العمل الاجتماعي طوال اليوم، وتمضي نصف حياتها في إجراء الإحصاءات، فيما تذهب في النصف الباقي إلى نادي الكشاف وصف الباليه الذي تشارك فيه مليسا. وكان هذا كافياً جداً. فقد روّضها بقدر ما تريد أن تروّض. كانا يملكان عائلة متماسكة، وولدين، ومنزلاً في الريف، لا بل إنهما استأجرا حاضنة إيرلندية في العام الفائت. وكان هذا أكثر مما تستطيع تقديمه، حتى لأولي.

"ما رأيك في أخذ الأولاد لممارسة التزلج في الإجازة؟" سألها فيما كانا يصعدان إلى السيارة. أراد البقاء بالقرب من المنزل في عطلة الأعياد، لأنه يرى أنه من الممتع أكثر البقاء في المنزل، وظن أن هذا الأمر سيروق أكثر لأهله. أما أهل سارة فلديهم أختها وأولادها، وهم يذهبون من غروس بوانت إلى شيكاغو في كل إجازة، فيما لا يملك أهله سواه. ولم تكن ترغب سارة في الذهاب إلى أهلها في عطلة الأعياد في أية حال. لقد فعلاها ذات مرة وبقيت تتذمر من المسألة طوال ثلاث سنوات. فقد أزعجتها أختها، ولم تتفق سارة وأمها أبداً، ولذلك فإن الخيار الذي اتخذاه كان مثالياً.

"سيكون ذلك ممتعاً. إلى أين؟ فيرمونت؟"

"ما رأيك في شيء أكثر حماساً هذه السنة؟ ماذا عن أسبن؟"

"هل أنت جاد؟ لا شك في أنك حصلت على علاوة الأسبوع الماضي". لقد أحضر أهم وأكبر زبون إلى الشركة. إلا أنه لم يخبرها بعد بحجم العلاوة، اذ كانا كلاهما مشغولين جداً خلال الأسبوع الفائت فضلاً عن أنها لم تلحّ عليه.

'علاوة كبيرة كفاية للتبذير قليلاً إذا شئت'. أو يمكننا البقاء في المنطقة، ومن ثم نذهب نحن الاثنان فقط في رحلة بعد عودة الأولاد إلى المدرسة، إذا شئت. تستطيع أمي البقاء والمكوث معهم". لقد فعلت ذلك قبلاً، وقد أصبحا اليوم أكبر قليلاً، ما يعني أن المسألة أصبحت أفضل. "ما رأيك؟"

"أظن أن هذا مذهل!'. عانقته وانتهيا بعناق طويل في السيارة الجديدة التي فاح منها عطر الرجال ورائحة الجلد الجديد.

وفي النهاية، نفذا المشروعين معاً. فقد ذهبا إلى أسبن مع الأولاد فترة الإجازة. وبعد شهر تماماً، أخذ سارة بعيداً في أسبوع رومنسي إلى جامايكا في راوند هيل، حيث أقاما في فيلا خاصة بهما تطل على خليج مونتيغو. ضحكا بشأن شهر العسل الذي أمضياه في برمودا، وتذكرا كيف أنهما لم يغادرا الغرفة أبداً، وبالكاد نجحا في البقاء في غرفة الطعام لوقت كاف لتناول العشاء. والواقع أن هذه العطلة لم تكن مختلفة. فقد لعبا كرة المضرب وسبحا واستلقيا على الشاطئ كل صباح. وفي فترة بعد الظهر، كانا يمارسان الحب في خصوصية الفيلا. كما اتخذا ترتيبات خاصة لخدمة الغرف لأربع ليالٍ من أصل ست. كانت تلك الرحلة الأكثر رومنسية التي قاما بها، وشعر كلاهما بالتجدد بعد مغادرة جامايكا. ولطالما شعرت سارة بالذهول من الشغف القوي الذي لا تزال تكنّه لزوجها. لقد عرفته طوال اثني عشر عاماً، وما زالت تشعر رغم ذلك أن حبهما لا يزال نضراً، وكان جلياً أن أوليفر يشعر بالشيء نفسه حيال سارة. فقد كان يحبها بطاقة ابن الثمانية عشر عاماً، ويحب التحدث إليها لساعات. ولطالما كان الجنس الذي يمارسانه رائعاً، لكن مع مرور السنوات،

برزت أفكار جديدة وآفاق جديدة، ولم تعد أفكارهما مختلفة أو متناقضة كثيراً مثلما كانت في البداية. فمع مرور السنوات، نضجا معاً ببطء، وكان يسخر منها لكونها أصبحت أكثر تحفظاً، فيما أصبح هو ببطء أكثر تحرراً بعض الشيء. لكنه يشعر كأنهما أصبحا ببطء شخصاً واحداً، وعقلاً واحداً، وقلباً واحداً واتجاهاً واحداً.

عادا من جامايكا في نوع من الغموض، وقد أبطآ وتيرتهما الاعتيادية. وفي الصباح الذي تلا عودتهما، جلس أوليفر لتناول الفطور واعترف لها أنه يكره مغادرتها للذهاب إلى المكتب. تبادلا نظرة سرية فوق رأسيّ الولدين أثناء الفطور. أما هي فأحرقت شطائر الخبز المحمصة، وتركت قشور البيض في القشدة، وكان اللحم المقدد نيئاً تقريباً حين قدمته.

"فطور رائع يا أمي!"، قال بنجامين. "لا شك في أنك أمضيت وقتاً مذهلاً في العطلة بحيث أنك نسيت كيف تعدين الطعام!. قهقه عالياً على نكتته، وابتسمت مليسا. كانت لا تزال أكثر خجلاً من بنجامين، وفي عمر الخامسة، كانت تبجّله لكونه البطل الأول والوحيد بعد والدها.

غادر الولدان إلى المدرسة، وتوجه أوليفر للحاق بقطاره فيما وجدت سارة استحالة في العودة إلى العمل. كانت مفتقرة إلى التنظيم طوال اليوم وشعرت كأنها عاجزة عن القيام بأي شيء. وبحلول موعد العشاء، لم تكن قد غادرت المنزل بعد، وكانت تتسكع طوال اليوم من دون إنجاز أي شيء مهم. وافترضت أن هذا ثمن قضاء وقت جميل جداً في العطلة.

لكن الحالة استمرت لأسابيع. وكانت بالكاد تنجح في تمضية الأيام، بحيث أن مجرد القيام بالأعمال الضرورية ونقل الأولاد من هنا إلى هناك كان يسلبها كل الطاقة التي لديها. وفي العاشرة ليلاً، كانت تخلد إلى السرير وتشخر بهدوء.

"لا بد أنه التقدم في العمر"، قالت لأوليفر ذات صباح سبت فيما كانت تحاول فرز كومة من الفواتير، وتعجز حتى عن القيام بذلك من دون الشعور بالإرهاق والتعب.

"أنت مصابة ربما بفقر الدم". فقد عانت من ذلك قبلاً مرة أو مرتين، وبدا ذلك تفسيراً بسيطاً على ما أصبح مشكلة مزعجة. فلم تكن قد أنجزت أي شيء خلال شهر، وبدا لها كل شيء بمثابة مشكلة كبيرة.

وفي صباح يوم الاثنين، ذهبت إلى عيادة الطبيب لإجراء اختبار دم وفحص عام، وحين ذهبت لاصطحاب الأولاد من المدرسة خلال بعد الظهر، شعرت بتحسن من دون أي سبب جلي.

"أظن أن المشكلة في رأسي"، قالت لأوليفر حين اتصل بها ليخبرها أنه سيعمل لساعة متأخرة ولن يأتي إلى المنزل لتناول العشاء. "ذهبت اليوم لإجراء فحص عند الطبيب وأشعر الآن بالتحسن".

"وماذا قال؟"

"لا شيء مهم". لم تخبره بأن الطبيب سألها إذا كانت مكتئبة، أو غير سعيدة، أو ما إذا كانت تواجه المشاكل مع أولي. فالإرهاق المزمن هو من العلامات الأولى للاكتئاب. وأياً كانت المشكلة، كانت متأكدة أن الأمر ليس خطيراً. حتى الطبيب قال إنها تبدو بصحة جيدة، لا بل إن وزنها ازداد (كيلوغرامين) خلال الأسابيع الثلاثة بعد عودتهما من رحلة جامايكا. ولا عجب في ذلك لأن كل ما قامت به هو الجلوس والنوم. وأهملت حتى مطالعتها المجتهدة، ولم تعاود أبداً ممارسة كرة المضرب كل أسبوع كما في 'السابق. وعدت نفسها بالقيام بذلك في اليوم التالي، وفيما كانت متوجهة إلى الباب، وهي تشعر بالتعب، وإنما تمسك المضرب بيدها، اتصل بها الطبيب.

"كل شيء على ما يرام يا سارة". اتصل بها بنفسه، الأمر الذي أثار قلقها في البداية، لكنها قالت بعدها إنها لطافة منه بعد مرور كل تلك الأعوام على معرفته. "أنت في صحة جيدة. فما من فقر دم، وما من مشكلة أساسية". كانت تسمعه يبتسم، وكانت متعبة جداً، الأمر الذي أزعجها.

"إذاً، لماذا أشعر بالتعب طوال الوقت؟ فبالكاد أستطيع تحريك قدميّ على الأرض".

"إن ذاكرتك تخونك يا عزيزتي".

"مذهل. تقول لي إني خَرِفَة؟ رائع. هذا ما أردت بالضبط سماعه في التاسعة والربع صباحاً".

"ماذا عن الأخبار الجيدة إذاً؟"

"مثل ماذا؟"

"مثل طفل جديد". بدا وكأنه أعلن لها للتو جائزة بمليون دولار وشعرت هي أنه سيغمى عليها في المطبخ، فيما كرة المضرب بيدها وتصغي إلى الطبيب.

"هل تمزح؟ لا يوجد مزاح في هذا المنزل. فقد كبر ولداي.... لا... لا أستطيع... اللعنة!". جلست بكل ثقلها في الكرسي الهزاز، وحاولت حبس دموعها. لا يمكن أن يكون جاداً. لكنها عرفت أنه كذلك. وعرفت فجأة ما لا تريد مواجهته. فقد منعها الإنكار من الاعتراف بالحقيقة. لم تغب دورتها الشهرية بسبب فقر الدم أو العمل المفرط أو الغضب الشديد. كانت حاملاً. لا تستطيع حتى إخبار أولي بالأمر. قالت لنفسها إنه لا توجد أية مشكلة. تقريباً لا مشكلة. لكن لا شك هذه المرة في مواجهتها لمشكلة. إنه العام 1979. لقد أصبح ولداها في سن كبيرة. وكانت هي في الحادية والثلاثين. والإجهاض أمر مقبول. لن يمنعها أوليفر من القيام بذلك هذه المرة. فهي لن تنجب طفلاً. "كيف أكون حاملاً؟" لكنها عرفت.... أنه لا بد أن تكون كذلك.... لقد حصل ذلك في جامايكا.... تماماً كما حصل في برمودا حين حملت ببنجامين خلال شهر العسل... لعنة الله على العطلة.

"متى كانت آخر دورة شهرية لديك؟" حسبت الأمور بسرعة وأخبرته. من الناحية الطبية، يمكن القول إنها حامل في أسبوعها السادس. ومن "الناحية الشعبية"، إنها حامل منذ شهر فقط، ما يعني أن لديها الكثير من الوقت لإجراء الإجهاض. لا بل إنها فكرت لوهلة في إجراء الإجهاض من دون قول أي شيء لأولي. لكنها لن تذكر الأمر أمام طبيبهم. سوف تتصل بطبيبها النسائي

، أخذ موعداً منه. "تهانينا يا سارة. أنت فتاة محظوظة. أتمنى أن يكون أوليفر سعيداً".

"أنا أكيدة أنه سيكون كذلك". بدا صوتها وكأنه عالق في حنجرتها . شكرته وأقفلت الخط. حاولت بعدها بأصابعها المرتعشة الاتصال بطبيبها النسائي وأخذت منه موعداً لصباح اليوم التالي. ثم تذكرت لبرهة أن شركاءها في كرة المضرب ينتظرونها في الملعب في نادي وستشستر كاونتري. كانت تفضل ألا تذهب، لكن هذا لن يكون عادلاً بالنسبة إليهم، فأسرعت إلى الباب وأدارت مفتاح تشغيل سيارتها. وفيما كانت تفعل ذلك، نظرت إلى نفسها لبرهة في المرآة. لا يمكن أن يحدث ذلك لها... لا يمكن.... هذا ليس عادلاً... فحين كبرت أرادت أن تصبح كاتبة... حين... إذا... أو ربما لا. ربما كل ما تستطيعه هو أن تكون ربة منزل. وسبب الإدانة الكبرى يعود إلى أيامها في الكلية. فالشيء الذي لم ترغب أبداً في أن تكونه أصبحت عليه الآن. فهذا كل ما هي عليه الآن، أليس كذلك؟ ربة منزل. قالتها بصوت عالٍ في السيارة كما لو أنها تلفظ كلمة وسخة.... طفل... يا الله....طفل... وما يهم إذا كان الأمر مختلفاً هذه المرة، إذا استطاعوا توفير المساعدة، إذا كان المنزل كبيراً كفاية للاتساع لهم جميعاً. فالطفل سيصرخ طوال الليل، ويحتاج إلى من يحممه ويلبسه ويطعمه ويعتني به، ويربيه، ويأخذه إلى طبيب تقويم الأسنان في أحد الأيام. لن تحظى أبداً بفرصة القيام بما تريده بعد الآن. أبداً. شعرت وكأن الطفل غير المولود، ومجرد المعرفة به، يهددان كيانها الفعلي. ولن تسمح بحدوث ذلك.

أرجعت السيارة إلى الخلف وخرجت من الممشى، ووصلت بعد عشر دقائق إلى ملاعب كرة المضرب. كانت تبدو شاحبة وتشعر بالدوار وتعرف ما فعلته الآن.

نجحت في المشاركة قليلاً في المحادثات الجارية، وشعرت في المساء بالارتياح لأن أولي كان مضطراً للبقاء في المكتب لإعداد مشروع لزبون

جديد. زبون كبير جداً. لكن ما يهم الآن إذا كان زبائنه مهمين؟ فبالنسبة إلى سارة، انتهت حياتها.

كانت نائمة حين عاد إلى المنزل في تلك الليلة، ونجحت في تناول الفطور نوعاً ما في صباح اليوم التالي. سألها عما يزعجها وقالت له إنها تعاني من صداع قوي.

"ألم تعرفي شيئاً بعد عن نتائج الاختبارات؟ أراهن أنك تعانين فعلاً من فقر الدم". بدا قلقاً فجأة، وبدل أن تحبه على ذلك، شعرت بالكره حياله فيما فكرت في الذي زرعه في داخلها.

"ليس بعد. لم يتصلوا". التفتت لوضع الصحون في غسالة الصحون الكهربائية كي لا يلاحظ الكذب في عينيها. وبعد دقائق معدودة، رحل من المنزل وذهب الولدان إلى المدرسة بواسطة الباص. وبعد ساعة تقريباً، كانت في عيادة الطبيب النسائي، تخطط للإجهاض، لكن الطبيب وجه إليها صفعة حين سألها عن رأي أولي في ما تنوي القيام به. "أنا... هو... أوه...". لم تستطع الكذب على الرجل. كان يعرفها جيداً، فضلاً عن أنها تحبه. نظرت إليه مباشرة مع بريق غريب في عينيها، وتجرأت بصمت على تحديه. "لم أخبره بالأمر".

"عن إجهاض الطفل؟" بدا مذهولاً. لطالما ظن أنهما يعيشان زواجاً سعيداً جداً، حيث يتشارك الزوجان أسرارهما بسهولة وانفتاح.

"عن كلا الموضوعين. ولن أفعل ذلك." تجمد وجهه كما لو أنه يصغي إليها وهز رأسه ببطء دليلاً على عدم الموافقة.

"أظن أنك ترتكبين خطأ يا سارة. لديه الحق في أن يعرف. فهذا طفله أيضاً". ثم خطرت له فكرة مزعجة. فهناك ربما بعض الأشياء التي يجهلها. كل شيء محتمل. "أليس... طفله؟"

ابتسمت. "طبعاً هو كذلك. لكني لا أريد ببساطة إنجابه". أخبرته عن الأسباب التي تدفعها إلى ذلك ولم يصدر أي تعليق. لكن بعد أن أخبرته بالأمر،

قال لها مجدداً إنه يرى ضرورة مناقشة الموضوع مع زوجها. وأصر عليها التفكير في المسألة، ليحدد لها موعداً بعد ذلك، وليس قبله.

"ما زلت امرأة شابة جداً. لا شك في أنك لست كبيرة على إنجاب الطفل".

"أريد حريتي. فبعد أحد عشر عاماً، سيصبح ابني في الكلية، وابنتي بعد سنتين من ذلك. وإذا أنجبت هذا الطفل، سأبقى مقيدة طوال عشرين سنة أخرى. وأنا لست مستعدة للقيام بهذا النوع من الالتزام". بدا ذلك موقفاً أنانياً على نحو مذهل، حتى بالنسبة إليه، لكن لا تستطيع أي شيء حيال ذلك. فهذا ما تشعر به. ولن يغير أحد ذلك.

"هل هذا ما يشعر به أوليفر أيضاً؟" بقيت صامتة لوقت طويل. فلم تشأ أن تخبره بأن أولي أراد دوماً إنجاب المزيد من الأولاد.

"لم أناقش الأمر معه".

"حسناً، أظن أنه يجدر بك فعل ذلك. اتصلي بي بعد بضعة أيام، سارة. لديك الوقت لاتخاذ القرار وإبقاء الأمور على ما يرام".

"لن يغير الوقت أي شيء". شعرت بالغيظ والغضب والإحباط فيما غادرت عيادته. فقد كان الشخص الذي يفترض به حل مشكلتها لكنه لم يفعل ذلك.

ذهبت إلى المنزل وبكت. وحين عاد أوليفر إلى المنزل في الحادية عشرة ليلاً، كانت في السرير تدعي أنها تعاني من صداع آخر. كان الولدان نائمين منذ وقت طويل، وتركت التلفزيون قيد التشغيل في غرفة الجلوس، تدندن لنفسها فيما تنتظره للعودة إلى المنزل. لكنها واثقة تماماً من أنها لن تخبره بالأمر.

"كيف كنت اليوم؟ تبدين تعبة". نظرت إليه بحزن فيما كان يدخل إلى غرفة النوم.

"كانت الأمور جيدة اليوم"، قال فيما يجلس على حافة السرير وابتسم لها

وفك ربطة عنقه. بدا الشعر الأشقر أشعث نتيجة الهواء، وكان متعباً، لكنه بدا وسيماً رغم كل شيء. كيف يمكن أن يبدو على هذا النحو؟ فالحياة بسيطة جداً بالنسبة إليه. وكل ما عليه فعله هو الذهاب إلى المكتب كل يوم والتعاطي مع أشخاص حقيقيين في عالم حقيقي. لديه كل الفرص للاستمتاع فيما تمضي هي كل ساعاتها مع النساء والأولاد. هناك بعض الأمور غير العادلة في الحياة، وهذا واحد منها بالنسبة إليها. والواقع أنها تمنّت أحياناً لو كانت رجلاً، ولو عاشت حياتها بطريقة مختلفة، ولو حظيت بمهنة قبل أعوام، بدل فعل ما قامت به. لكن هذا كان سهلاً جداً. فقد اختارت الطريق السهل. أنجبت ولدين، وانتقلت إلى الضواحي، وتخلت عن أحلامها. وسوف تنجب الآن طفلاً آخر.. لكنها لن تفعل ذلك، قالت لنفسها بسرعة... سوف تخضع لإجهاض. "ما الخطب يا ساري؟" بدا قلقاً فيما ينحني لتقبيلها. كان يعرفها جيداً، ويستطيع ملاحظة الخوف في عينيها، ذلك الخوف غير الناجم عن الذنب لما تريد القيام به، وإنما غن الغضب لما حصل.

"لا شيء. أنا متعبة أيضاً".

"هل أزعجك الأولاد اليوم؟"

"لا... كانا على ما يرام".

"ما الخطب إذاً؟"، أصرّ.

"لا شيء"، كذبت.

"اللعنة". خلع سترته، وفتح قميصه، واقترب منها أكثر فأكثر في السرير. "لا تحاولي خداعي. أنت قلقة جداً بسبب أمر ما". وفجأة أصابته موجة من الذعر. فقد حصل ذلك مع شخص عرفه في المكتب قبل ستة أشهر. اكتشفوا أن زوجته تعاني من السرطان، وماتت بعد أربعة أشهر فتركته وحيداً ومحطماً مع ثلاثة أولاد. عرف أوليفر أنه لا يستطيع متابعة العيش إذا خسر سارة. فقد أحبها منذ وقت طويل. وكانت كل شيء بالنسبة إليه. "هل ظهرت نتائج الاختبارات؟ هل هناك أمر يجدر بي معرفته؟"

فكرت لبرهة في ما قاله الطبيب... يجدر بك إخباره يا سارة... لديه الـق في أن يعرف... فهذا طفله أيضاً.... لكنني لا أريد ذلك! صرخ شيء في الـلها. "الاختبارات على ما يرام". وفجأة، شعرت بأن الصراحة التي ..اركاها على الدوام دفعتها إلى إخباره شيئاً علمت أنها ستندم عليه لاحقاً. عا ما".

شعر أن القلق يطعنه مثل السكين فيما أخذ يدها برفق بين يديه. "ماذا ي ذلك؟" استطاع التحدث بصعوبة ولم يبعد عينيه قط عن عينيها. "ماذا قالوا الن؟"

عرفت فجأة ما يفكر فيه وأدركت أنها لا تستطيع جعله يقلق أكثر فأكثر. هي لا تريد إنجاب المزيد من الأولاد منه، لكنها تحبه. "لا يوجد شيء من هذا العبيل. لا تكن خائفاً جداً". انحنت صوبه لتقبيله، وشعرت به يرتعش فيما كان مسك بها.

"ما الأمر إذاً؟"

تحدثت بصوت خافت ونبرة يائسة، ثم رفعت عينيها ببطء إلى عينيه، فيما لا تزال راغبة في عدم إخباره. "أنا حامل".

لم يتحرك كلاهما لبرهة فيما صدحت كلماتها في الهواء، وبدا أن كل جسمه يتحرر من التوتر الذي سيطر عليه حين شرعت في الكلام. 'أوه يا إلهي... لماذا لم تخبريني؟ جلس وقهقه ثم اختفت ابتسامته حين قرأ النظرة في عينيها. بدت وكأنها كانت تفضل المعاناة من السرطان.

"لم أعرف إلا البارحة. أظن أن هذا غباء. لا بد أن الأمر حصل في جامايكا".

لم يستطع إخفاء ابتسامته العريضة وأرادت لوهلة أن تضربه. "اللعنة عليّ. لم أفكر أبداً في ذلك. أظن أن ذاكرتي خانتني لبرهة". كان الحنان بادياً في صوته وعينيه، لكنها سحبت يدها من يديه واستلقت مجدداً على الوسادة، كما لو أنها تحاول الابتعاد عنه قدر المستطاع. فكل ذلك غلطته.

"سوف أجري إجهاضاً".

"أوه؟ ومتى قررت ذلك؟"

"بعد ثلاثين ثانية من سماع الخبر. أولي، لا أستطيع القيام بذلك".

"هل هناك خطب ما؟"

هزت رأسها ببطء، وأدركت فجأة أن صراعاً كبيراً سينشب بينهما، لكنها لم تشأ أن تخسر هذه المرة. فهي لن تنجب هذا الطفل. "أنا كبيرة جداً. وهذا ليس عادلاً بالنسبة إلى الولدين".

"هذا جنون، وأنت تعرفين ذلك. سوف يشعران بالحماس ربما إذا أخبرناهما".

"حسناً، لن نفعل ذلك. سوف ينتهي كل ذلك خلال أيام قليلة".

"هل هذا صحيح؟" نهض وبدأ يخطو الغرفة جيئة وذهاباً. "الأمر بهذه البساطة، أليس كذلك؟ ما الخطب معك؟ كلما تحملين، علينا التفكير في مسألة الإجهاض المجنونة".

"ليس هذا جنوناً. أملك عقلاً سليماً. لا أريد إنجاب طفل آخر. أنت تذهب إلى المكتب كل يوم، ولديك حياتك. لكنني عالقة هنا أؤدي دور الأم الصالحة، ولن أستمر في ذلك طوال عشرين سنة أخرى. لقد مرت عشرة أعوام، وأصبحت الآن في منتصف الطريق، وأنت لن تغير ذلك".

"وماذا إذاً؟ ما الجدوى من قتل الطفل؟ سوف تصبحين جرّاحة دماغ ربما؟ بحق الله، أنت تنجزين أموراً مهمة هنا. فأنت تربين أولادنا. هل هذه تضحية كبيرة تؤديها الآنسة كليفي لله والوطن؟ أعرف أنك اعتدت التفكير أنه يجدر بك التواجد في سوهو مع الأدمغة الكبيرة، تكتبين القصائد والقصة الأميركية المذهلة. لكنني أظن شخصياً أن هذا مبالغ فيه قليلاً، وأظن أنك تعرفين هذا تماماً في الوقت الحاضر. بحق الله يا سارة، أنضجي!"

"لقد نضجت، لعنة الله عليك. لقد نضجت، وكبرت، ولن أبدد حياتي

لصالح شخص آخر بعد الآن. إمنحني فرصة بحق الله. ماذا عني أنا؟ فهناك أمور أكثر من الأولاد في هذا العالم، أوليفر، أم أنك لم تلاحظ ذلك؟"

"ألاحظ أنك تعيشين حياة سهلة هنا. ففيما أعمل في نيويورك، تلعبين أنت كرة المضرب مع أصدقائك، وتعدّين الحلوى مع مليسا، وهذا ما يجدر بك القيام به. لكن لا تقولي لي إن هذا صعب يا سارة. لا أصدق ذلك. لن يغير الطفل أي شيء من ذلك".

"اللعنة!"

استمر الشجار حتى الساعة الثانية فجراً. وفي الليلة التالية، والليلة التالية، والليلة التي بعدها. استمر الشجار حتى نهاية الأسبوع وفي الأسبوع التالي، مع بكاء عند كلا الطرفين، وإغلاق الأبواب بقوة، واتهامات بشعة. ووصل الأمر أخيراً إلى أن يتوسل أوليفر سارة لإنجاب الطفل، ورفع يديه استسلاماً في النهاية، وقال لها إنها تستطيع القيام بما تريده.

حددت موعد الإجهاض مرتين، وأخطأت بالاتصال بشقيقتها في غروس بوينت التي أثارت معها شجاراً أكبر حين قالت لها شقيقتها إنها امرأة غير محترمة وغير أخلاقية وأكثر من مجنونة.

استمر الأمر لأسابيع، وأصبحا في النهاية منهكين، وتعبين وخائبيّ الأمل، لكنهما نجحا نوعاً ما في تسوية الأمور مجدداً ولم تخضع سارة للإجهاض. لكن أوليفر وافق على إمكانية ربط أنابيبها بعد إنجاب هذا الطفل. رأى أن هذا الخيار ليس جميلاً، لكنه أدرك أيضاً أنهما لا يستطيعان تحمل نوبة أخرى مثل هذه تزعزع كيان زواجهما. وأكدت له سارة أنه مهما كانت الظروف، لن تنجب طفلاً آخر مفاجئاً حين تصبح في الأربعين.

ولد الطفل في يوم الانتخابات، فيما كان أوليفر واقفاً في غرفة الولادة، يشجع سارة التي قالت له إنها تكرهه كلما شعرت بالانقباضات. وكانت قد طمأنت أولي على مدار الساعة تقريباً خلال الثمانية أشهر الماضية أنها لن

تلعن أبداً هذا الطفل. قال لها إنه سيحبه، وكان الولدان متحمسين جداً للمسألة. كان بنجامين في الثامنة من عمره آنذاك، وكان متحمساً للمسألة كلها. وبالنسبة إلى مليسا، التي كانت في السادسة آنذاك، فكان الأمر شبيهاً بالحصول على دمية جديدة للعب بها. وحدها سارة بقيت غير متحمسة بشأن الطفل المرتقب. وحين ظهر رأس الطفل، شاهد أوليفر الطفل ساموبل واتسون وهو يشق طريقه إلى هذا العالم، مع صيحة قوية ونظرة دهشة إلى والده. سلموا الطفل إلى أوليفر أولاً الذي أعطاه برفق إلى سارة التي كانت الدموع تنهمر على خديها وتتذكر كل الأشياء البشعة التي قالتها عن هذا الطفل. كان شعره أسود وله عينان خضراوان مثل أولي، وبشرة قشدية، ونظرة في عينيه تنبئ نوعاً ما بحكمة كبيرة ودعابة فائقة. كان طفلاً من النوع الذي تعشقه فور رؤيته، وبقدر ما قاومت سارة مجيئه في البداية، وقعت فجأة في غرامه منذ لحظة عناقه. فقد كان "طفلها" وليس مجرد طفل كثير البكاء والصراخ. إنه طفل سهل ومسالم وسعيد منذ البداية. وأصبح شغفها الكبير في هذه الحياة، لدرجة أنها أصبحت تخبر أوليفر كل ليلة قصصاً عن إنجازات سام وعبقريته. كان ببساطة طفلاً رائعاً جداً، وكان الجميع مولعاً به منذ البداية، أي أولي وسارة وشقيقه وشقيقته وجداه. كان طفلاً مذهلاً، وأثبت أن أولي محق، رغم أن هذا الأخير كان لبقاً جداً لعدم قول ذلك أبداً، لكنهما أدركا الأمر تماماً. كان أولي محقاً وشعر كلاهما بالرضى لأن سارة أنجبته. فقد كان كل ما يتعلق به سهلاً ومحبوباً وممتعاً، ولم يصبح أبداً العبء الذي خشيته سارة.

ولجعل الأمور أكثر سهولة، استأجر أولي ربة منزل لتساعدها، وهي امرأة محلية عملت عند رجل دين طوال خمسة عشر عاماً وأرادت العثور على منزل فيه القليل من الحياة والمرح. أحبت مليسا وبنجامين، وعشقت سام، تماماً مثل بقية الأشخاص، منذ اللحظة التي شاهدته فيها. فقد كانت وجنتاه دائريتين، وله ابتسامة ساحرة، وذراعان وساقان صغيران وبدينتان يدفعانك إلى قرصه والإمساك به وتقبيله. وفي أغلب الأحيان، كان يجد أنياس، ملاكه

الحارس، وسارة، أمه الحنونة، يقبلان وجنتيه في الوقت نفسه بحيث تلتقي الأنوف الثلاثة ويضحك الجميع فيما سام مستمتع بالمرح. كانت أنياس بالضبط المرأة التي تحتاج إليها سارة، وتمنت فقط لو أنها عثرت عليها حين كان بنجامين يصرخ ويثقب جدران الجادة الثانية نتيجة المغص، لكن لم يكن باستطاعتهما دفع تكاليفها بأية حال. أما الآن فقد أصبح كل شيء مختلفاً. وكما تكهّن أولي، كان كل شيء سهلاً على نحو لافت.

لم تعد سارة مضطرة إلى تحضير الفطور بعد اليوم. وليست مضطرة إلى تحضير العشاء بعد اليوم. وهي لا تنظف السجاد أو تغسل الغسيل. بالفعل، تأتي امرأة التنظيف مرتين أسبوعياً، وهناك المذهلة أنياس. كانت سعيدة بالعيش في غرفة صغيرة مشيدة على ما كان قبلاً ظهر مركب، خارج غرفة الضيوف، التي أصبحت الآن غرفة الطفل. وكان الطفل محاطاً ليلاً ونهاراً بشقيقته التي تتفقده باستمرار وشقيقه الذي يجلب له قفازات البايسبول وكرات القدم، فضلاً عن سارة وأوليفر وأنياس. واللافت أن الطفل لم يصبح أبداً ولداً مدللاً، وإنما على العكس بقي ولداً ممتعاً، ومصدر سرور المنزل، وجلب البهجة إلى حياة جميع المحيطين به. هكذا، فإن الكابوس القائل إن الطفل سيدمر حياة سارة لم يتحقق أبداً، خصوصاً وأن الطفل لم يوفر لها أية أعذار. فلم يكن يحتاج إلى وقت إضافي، ولم يسبب أية مشاكل في المدرسة، وكان يشعر بالسعادة عند اللعب مع أنياس أو مليسا عند تواجده معها، أو مع بنجامين أو والده. ولا تملك سارة أي عذر الآن.

وقبل أن تدرك سارة الأمر، أصبح بنجامين فجأة في السابعة عشرة من عمره وبات في سنته المدرسية الأخيرة. أما مليسا فأصبحت في الخامس عشرة وتتشبث دوماً بهاتف تجره إلى خزانة في الطابق العلوي للجلوس على الأرض بين ثياب التزلج القديمة والتحدث إلى صبيان لم يسمع أحد بهم. كما أصبح سام في التاسعة من عمره، ويكتفي باللعب في غرفته، فتراه مشغولاً بروتينه الخاص من دون الحاجة إلى انتباه أمه – وهذا كله جعل سارة من دون عذر

يمنعها من الكتابة. فهي لا تستطيع لوم الأولاد على الصفحات البيضاء أو صمت الآلة الكاتبة.

وفيما جلست تراقب الثلج وهو يتساقط، تساءلت عما ستقوله لأولي. تمنّت ألا يسألها عن الكتابة في الوقت الحاضر. فمنذ حوالى العامين تقريباً، يُظهر أولي قلقاً واضحاً وهذا ما يدفعها إلى الجنون. فهي لا تستطيع أن تقول له إنه لا تراودها أية أفكار، ولا يقودها تفكيرها إلى أي شيء، وإنه في الحادية والأربعين أصبحت أسوأ مخاوفها حقيقة فعلية. فقد انتهت حياتها فعلاً. ولم تشعر أبداً بهذه التفاهة والشيخوخة والتعب، وكانت تعلم هذه المرة أنها ليست حاملاً. فكما وعدت واتفقت مع أولي، جرى ربط أنابيبها قبل أعوام، مباشرة بعد ولادة سام. فهذا شيء مختلف تماماً. إنه الإدراك البطيء والمضعف للمعنويات الذي يؤكد أن حياتك لن تقود إلى أي شيء، وأن الأحلام التي كانت لديك في سن العشرين تبددت قبل أعوام ولم يكن هناك احتمال أن تتحقق منذ البداية. فهي لن تصبح أبداً كاتبة في الوقت الحاضر. لو عرفت ذلك في الخامسة والثلاثين، لكان الأمر دمرها. وفي التاسعة والثلاثين، لكان الأمر قتلها. أما في الحادية والأربعين، فيملأها بالحزن. لم يبقَ أي شيء في الوقت الحاضر، باستثناء رتابة حياتها، فيما وصل أولي إلى العظمة. كان هذا شعوراً غريباً. حتى أولادها أصبحوا أكثر أهمية منها. فكل واحد منهم يملك شيئاً في حياته. بالفعل، كان بنجامين بطلاً رياضياً بارزاً وطالباً مذهلاً، فيما كانت مليسا فنانة مذهلة وفتاة جميلة إلى أبعد الحدود. وكانت تتحدث عن أحلامها في أن تصبح ممثلة يوماً ما، فيما تحدثا هي وبنجامين عن الذهاب إلى هارفارد. أما سام فكان يغني مع الكورس وله صوت رائع، والأكثر من ذلك، كان يملك روحاً دافئة وطيبة بحيث عشقه كل العالم. وماذا تملك هي؟ الأولاد. أولي. المنزل. حقيقة أنها ذهبت إلى رادكليف قبل عشرين عاماً. وماذا؟ من يهتم؟ من يعلم؟ من يذكر؟ ما زال أمامها أمل واحد فقط، رغم أن هذا الأمل ضعيف جداً ويجسد شريحة أخرى من عدم الواقعية في شطيرة تفاهتها. فلا مجال أبداً

لتحقيق هذا الأمل في أية حال. كيف؟ هي تعيش هنا. إنهم يحتاجون إليها. أو ليس كذلك؟ لديهم أنياس... لكنها لا تستطيع فعل ذلك لأولي... ابتسمت بحزن لنفسها فيما أخرجت أنياس الكلب من المنزل وراح يقفز بين الثلج وينبح ويثب مرحاً. كانوا جميعاً سعداء جداً. كلهم. حتى أنياس. لكن لمَ تشعر هي بهذا الفراغ؟ ما الذي جرى؟ ماذا خسرت؟ ما الذي لم تحصل عليه أبداً؟ ما الذي تريده الآن؟ شيئاً ما. كل شيء. تريد كل ذلك. الشهرة. النجاح. الإنجاز. المعرفة الكبيرة. القدرة الكبيرة. وهي تعلم أنها لن تحصل أبداً على ذلك. فسوف تجلس هنا إلى الأبد، تراقب الثلج وهو يتساقط، فيما حياتها تمرّ برتابة ويحصد أولي المزيد من الزبائن الجدد. إنها تملك سيارة مرسيدس خاصة بها في الوقت الحاضر، ولديها معطفان من الفرو. لديها ثلاثة أولاد رائعين، بفضل إصرار أولي، وزوجٌ رائعٌ، ولا شيء مهم لديها. فهي لا تملك أية موهبة، ولم تحقق أي إنجاز. لقد ذهب كل شيء الآن. فالفتاة التي كانت عليها اختفت إلى الأبد.

"وصل البريد يا سيدة واتسون"، قالت أنياس بلطف فيما وضعته على المكتب بقربها.

"شكراً أنياس. هل من شيء مهم؟"

"فواتير بمعظمها. وأظن رسالة من المدرسة إلى بنجامين. لكنها موجهة إليك". كان بنجامين في صدد تقديم طلب إلى جامعة هارفارد للسنة التالية، لكنه لم يرسل الطلب بعد. فلا مجال إذاً أن يراسلوه أو يراسلوا سارة بشأنه. كان هذا شيئاً مختلفاً وهي تعرف ذلك. عرفت ما سيكون عليه الجواب، لكن يدها ارتعشت رغم ذلك حين امتدت للإمساك بالظرف من أنياس. وقفت جامدة لبرهة، تحدق فيه، وتتذكر... حين كانت الأمور مختلفة... لكن كل شيء اختفى الآن. كل شيء. عليها إجبار نفسها على تذكر ذلك فيما كانت تمزق الظرف لفتحه، وهي تدير ظهرها لأنياس. توجهت بعدها ببطء إلى غرفة الجلوس للوقوف وسط الأقمشة القطنية المطبعة بالأزهار التي تضفي جو الربيع والصيف حتى في خضم الشتاء.

فتحت الرسالة ببطء، كما لو أنها تقشر صدفة، كما لو أنها تفتح حياتها... لكن لم تسمح لنفسها بالتفكير في ذلك. جلست ببطء في كرسيها، من دون أن تلاحظ أبداً أنياس وهي تراقبها، مع دهشة كبيرة في عينيها فيما سارة تقرأ... ببطء... وألم... وشعرت من ثم أن نفسها انحبس بذهول. لا يمكن ذلك. كان هذا خطأ. لقد قرأته خطأ. لا شك في أنه كذلك. لكنه ليس كذلك. كانت الكلمات هنا. يا إلهي... كانت الكلمات هناك... وفجأة شعرت أن جسمها يمتلئ بالضوء والموسيقى. لم تعد تشعر بالفراغ أبداً. بدا وكأن هناك شيء داخلها الآن. شيء أفضل من الطفل. هناك ذاتها... كانت هناك. لقد عادت مجدداً. وراحت تقرأ السطر مجدداً، ومجدداً، ومجدداً.

..." يسرّنا إبلاغك بأنه تم قبولك لبرنامج الماجستير في جامعة هارفارد"... يسرنا إبلاغك... يسرنا إبلاغك... تلألأت الكلمات فيما انهمرت الدموع ببطء على وجنتيها. كان هذا حلماً، مجرد حلم. ولا مجال أبداً لتحقيقه. لا تستطيع تركهم. لا تستطيع العودة إلى المدرسة. ورغم ذلك، أرسلت الطلب قبل أشهر، في سبتمبر، حين عاد الأولاد إلى المدرسة وكانت تشعر بالضجر والوحدة. فقط لتجربة الأمر... فقط لمعرفة إذا... وها هم يقولون لها الآن إنهم يريدونها. لكنها لا تستطيع. نظرت إلى الخارج وشاهدت الثلج يتساقط، والكلب ينبح ويركض، وأنياس تراقبها من الباب. عرفت أنه يجدر بها القيام بذلك. سوف يفهمون. عليهم أن يفهموا... لن يكون ذلك لوقت طويل.... وستعود إنساناً من جديد. إنساناً خاصاً بها. سوف تكون حقيقية.... سوف تكون سارة.

الفصل الثاني

"أخبار سيئة في هذه الرسالة، يا سيدة واتسون؟" شاهدت أنياس وجه سارة يتحول إلى الشحوب فيما كانت تراقبها، ولاحظت بعدها الدموع تنهمر على وجنتيها فيما سارة تحدق في النافذة. لا مجال أبداً أن تفهم أنياس كل ما تشعر به الآن. الإثارة... عدم التصديق... الأمل... والخوف. تركتها وحدها في غرفة الجلوس مع أفكارها، ومضت ساعة كاملة قبل أن تتوجه سارة إلى المطبخ.

"لا... لا.... مجرد مفاجأة". بدت سارة غامضة، شبه مصدومة، لا سعيدة ولا حزينة، فيما راحت تجول حول المطبخ بذهول، تصادف الأشياء من دون مشاهدتها، تدفع كرسياً تحت الطاولة، وترفع قطعة ورقية بالغة الصغر عن الأرض. بدا وكأنها لا تعرف ما الذي يجب فعله الآن. بدا وكأنها تشاهد منزلها للمرة الأولى، أو الأخيرة. ماذا ستفعل بحق الجحيم؟ لا تستطيع العودة الى هارفارد في الوقت الحاضر . لا تستطيع تركهم أبداً. تساءلت بصمت عن سبب تقديمها الطلب أصلاً. كان هذا مضحكاً، مجرد حلم سخيف. سوف يهزأ اولي منها... ورغم ذلك... ليس الأمر مضحكاً الآن. كان الأمر مخيفاً ومحزناً ورائعاً، وفرصة لا تريد التخلي عنها، حتى لو كرمى لهم. لم تشعر أبداً بهذا التمزق في حياتها. وهي تعرف أنها لا تستطيع إخبار أولي. ليس الآن. ربما بعد العطلة. فالعيد سيحل بعد أسبوعين فقط. يمكنها إخباره بعد ذلك. قد يذهبون للتزلج لبضعة أيام وسوف تخبره عندئذ. لكن ماذا ستقول له بحق الله؟... أريد العودة إلى المدرسة يا أول... سوف أعيش في بوسطن لسنة أو سنتين... عليّ الرحيل من هنا.... لكن الدموع ملأت عينيها مجدداً، وأدركت في لحظة يائسة أنها لا تريد تركهم.

كانت أنياس تراقبها، ولا تصدق ما قالته. لا شك في أن الرسالة التي قرأتها تحتوي على أكثر من مفاجأة. أو إذا كانت حقاً كذلك، لا يمكن أن تكون هذه المفاجأة سارة.

"متى يعود الأولاد إلى المنزل؟" نظرت سارة بغموض إلى المرأة الصغيرة التي تعمل في المطبخ وتحضر العشاء. كانت تشعر بالامتنان لها عادة. لكن فجأة أصبحت أنياس تشعرها بعدم الجدوى. كان شعرها الأبيض الساطع مربوطاً إلى الخلف، ووجهها جامداً، وشفتاها مزمومتين فيما كانت تعدّ طاولة المطبخ. يأكل الأولاد في المطبخ معها حين تكون هي وأوليفر خارج المنزل. وأحياناً، حين يكون أوليفر وسارة في المنزل، يأكل الجميع في المطبخ. لكن في معظم الأوقات التي تكون فيها هي وأوليفر في المنزل، يأكلون في غرفة الطعام. فهذا أمر يحبه أوليفر. إنه يحب مبدأ الاحتفال في ذلك، فضلاً عن تقليد الجلوس على المائدة في طريقة متمدنة، والتحدث عما فعلوه خلال اليوم. كانت هذه طريقته للابتعاد عن ضغوط العمل والبقاء على اطلاع بما أنجزوه، ولا سيما الأولاد. لكنها ستخرج الليلة مع أولي لتناول العشاء مع الأصدقاء في مطعم جديد في منطقة راي المجاورة. قطع رنين الهاتف أفكار سارة قبل أن تجيبها أنياس، وأسرعت سارة للإجابة عليه. ربما هذا أولي. أرادت فجأة أن تكون بالقرب منه، وتسمع صوته، وتبقيه بالقرب منها. فجأة، وفي لحظة وجيزة، تغير كل شيء بسبب الرسالة التي قرأتها.

كان الاتصال من أصدقائهم. عليهم إلغاء العشاء هذه الليلة. فالمرأة تشعر بتقرّح مزعج في الحنجرة فيما يتوجب على الرجل البقاء لوقت متأخر في المكتب. التفتت سارة نحو أنياس ووجهت إليها نظرة حالمة. "أظن أننا سنبقى الليلة في المنزل ونتناول العشاء مع الأولاد. فقد ألغى الأشخاص الذين كنا سنخرج معهم الموعد للتو".

هزت أنياس رأسها، وهي تشاهدها، ثم قالت: "لماذا لا تخرجين يا سيدة واتسون في أية حال؟" بدت سارة وكأنها تحتاج إلى التسلية. ابتسمت سارة لها.

كانت المرأتان تعرفان بعضهما البعض جيداً، لكن أنياس احتفظت دوماً سافة احترام. لم تكن تخاف من التحدث عما يجول في خاطرها، وانتقادهما تظن أنه يجدر بها ذلك، لا سيما لصالح الأولاد، لكن حتى لو ألقت اللوم لها، وكانت أحياناً تفعل ذلك، فقد كانا دوماً 'السيد والسيدة واتسون". "لا ب السيد واتسون كثيراً شطائر اللحم".

ابتسمت سارة ابتسامة عريضة. كانت محقة. لم يكن يحب ذلك. طيعان ربما الخروج. لكنها لم ترغب فجأة في أن تكون وحيدة معه. وفيما ولت اتخاذ قرار، سمعت الباب الخارجي يفتح وصوتاً ينادي. وبعد برهة، سل بنجامين إلى المطبخ الحميم. في عمر السابعة عشر، كان طول بنجامين سة أقدام، وله شعر أحمر ساطع وعينان باللون الأزرق الداكن تماماً مثل أمه. نت وجنتاه حمراوين من البرد. نزع القبعة عن رأسه ووضعها على الطاولة.

"ولد مقرف!" لوّحت له أنياس بملعقة خشبية، وبدت عنيفة، لكن الحب الذي تكنه له كان واضحاً في عينيها. "ارفع تلك القبعة عن طاولة المطبخ!".

ضحك ووجه إليها ابتسامة دافئة، وأقحم القبعة في جيب معطفه. "عذراً، احي... مرحباً أمي". وبدل القبعة، وضع كومة من الكتب على الطاولة. "أيها الولد، هناك برد في الخارج". كانت يداه حمراوين علماً أنه لا يضع القفازات ابدا، وكان قد أتى ماشياً إلى المنزل من المبنى المجاور بعد أن أوصله صديقه. قف أمام الثلاجة ليمنح نفسه مؤازرة حتى موعد العشاء. كان يأكل باستمرار، يلتهم حصصاً تخيف أياً كان، رغم أنه كان نحيلاً جداً، وله قامة والده وكتفاه القويتان.

"إبقَ بعيداً عن هنا. سوف تتناول العشاء بعد أقل من ساعة". لوّحت أنياس بالملعقة الخشبية مجدداً وابتسم لها ابتسامة عريضة.

"مجرد وجبة خفيفة، آجي... حسناً... أنا أموت جوعاً". وضع قطعة من السالامي في فمه فيما كانت سارة تنظر إليه. كان رجلاً، ورجلاً وسيماً. لديه حياته الخاصة، وأصدقاؤه، وسيصبح بعد أشهر قليلة في الكلية. هل يحتاج فعلاً

إليها الآن؟ هل سيكون هناك فرق بالنسبة إليه؟ لم تستطع أن تتخيل فجأة أن وجودها يعني أي شيء له، فيما التفت هو إليها وشعر بالذهول للنظرة الحزينة في عينيها. "هل هناك خطب ما يا أمي؟"

"لا، لا"، هزت رأسها بقوة تماماً مثلما فعلت حين سألتها أنياس. "كنت أحاول فقط تحديد ما إذا كنت سأخرج لتناول العشاء مع والدك. ماذا ستفعل هذه الليلة؟ هل ما زلت تدرس للامتحانات؟"

أومأ رأسه. كان تلميذاً جيداً، ورجلاً شاباً. إنه شخص يعجبها. إنه مولودها الأول، ولا يزال يشبهها في نواح عدة رغم أنه أقل تمرداً مما كانت عليه حين كانت في سنّه. "نعم، فامتحاني الأخير سيكون غداً. الكيمياء. سوف أذهب إلى منزل بيل لأدرس معه الليلة. هل أستطيع أخذ السيارة؟" كان هذا كل ما يريده منها في الحقيقة، الثلاجة ومفاتيح السيارة.

ابتسمت له ببطء. سوف تشتاق إليه إذا ذهبت. سوف تشتاق إليهم جميعاً... خصوصاً سام... أوه يا إلهي... وأولي... "طبعاً... لكن إحرص على القيادة بحذر. فإذا ازداد الطقس برودة، سوف يتحول ذلك إلى جليد. ألا يستطيع المجيء إلى هنا؟ فكر في الأمر". لكن بنجامين أسرع في هزّ رأسه، إذ كان مصمماً دوماً تماماً مثلها هي.

"لقد جاء إلى هنا في المرات الثلاث الأخيرة. قلت له إني سأذهب إليه هذه الليلة. سوف تكون ميل خارجاً في أية حال. هل اتصلت بك؟"

هزت الأم رأسها. "ليس بعد". لم تتصل أبداً. فهي تنسى ذلك دوماً. إنها تفعل فقط ما يرضيها، ولطالما فعلت ذلك، من دون الاكتراث أبداً بالأمر. إنها تعيش حياتها. ففي الخامسة عشرة من عمرها، كانت مليسا تجسد روح الاستقلالية. "ماذا تعني بأنها ستكون خارجاً هذه الليلة؟ إنه الثلاثاء". فقد سُمح لها بمواعدة الفتيان منذ سبتمبر الماضي، وكان الأمر يقتصر على ليلة واحدة في نهاية الأسبوع، شرط أن يكون أهلها التقوا الفتيان قبلاً وفي ظروف يوافقون عليها. "وكيف ستعود إلى المنزل؟"

"قلت لها إني سأمر بها". أمسك تفاحة من السلة الموجودة على رف ...ج وبدأ يأكلها. "لديها تمرين هذه الليلة. فهي تشارك في مسرحية مع نادي ...ل. إنها على ما يرام يا أمي". سمع كلاهما الباب الأمامي وهو يفتح ...ا، وشاهدت سارة أنياس وهي تلقي نظرة سريعة إلى الساعة مع ابتسامة ...ة، فيما نظرت بسرعة إلى شطائر اللحم.

سُمع فجأة صوت جزمات ثقيلة، كما لو أن رجلاً دخل بينهم! ثم دوّى ...ت تحطم قوي وإغلاق باب آخر، والمزيد من النباح. وظهر فجأة في المطبخ كل من سام وآندي، الكلب الإيرلندي. خلّف الكلب آثار أقدامه في كل ...ان، وراح يثب على الصبي صاحب الشعر الداكن اللامع والعينين الخضراوين اللتين تشبهان عينيّ والده. كشف الصبي عن ابتسامة عريضة سعيدة، وكان شعره رطباً، وجزمته مليئة، تماماً مثل أقدام الكلب، بأطنان من الثلج الذي راح يتحول إلى برك ماء على أرض المطبخ، فيما راح آندي يلعق ...جهه ووضع قدميه على كتفيّ سام.

"مرحباً يا شباب! يا إلهي، الرائحة لذيذة هنا. ما هو العشاء؟ شطائر اللحم؟"

التفتت أنياس ووجهت إليه ابتسامة عريضة، ولاحظت من ثم الكارثة التي يحدثها بسرعة في المطبخ، فيما كان بنجامين وسارة يضحكان. كان سام ميئوساً منه، ويستطيع تحويل أية غرفة إلى فوضى عارمة في مجرد لحظات.

"أخرج من هنا، أيها الصبي الشرير! وأين هي قبعتك؟ سوف تلقى حتفك مع شعر رطب مثل هذا!" لوّحت له بالملعقة الخشبية مثلما فعلت لبنجامين قبلاً، وإنما هذه المرة بحماس أكبر، وأسرعت لمنحه منشفة وهي تهدر وتدمدم.

"مرحبا أمي". أسرع لتقبيلها، وكان آندي يلوّح بذيله بقوة فيما يراقب الجميع. راح سام يلعب معه، ثم خلع جزمتيه وتركهما في وسط أرض المطبخ، حيث عثر عليهما آندي بسرور وأخذ إحداها إلى أريكة غرفة الجلوس حيث وضعها وسط صراخ أنياس الشديد.

"أخرجا من هنا! كلاكما! إصعد إلى الأعلى واستحم!" قالت له فيما صعد السلم مسرعاً مع آندي في مطاردة ساخنة. ترك سام معطفه على الأرض في أسفل السلم فيما راحت سارة تصرخ عليه.

"عد إلى هنا وخذ أغراضك!" لكنه كان قد اختفى، في آخر الرواق، والكلب آندي ينبح خلفه، فيما باشرت أنياس في مسح أرض المطبخ. صعد بنجامين السلم مسرعاً إلى غرفته لتنظيم كتبه لتلك الليلة، وحين لحقت بهما سارة ببطء، لم تستطع إلا التفكير في مدى الاشتياق الذي ستشعر به حيالهما.

رن الهاتف حين وصلت إلى غرفة النوم الرئيسية. كانت هذه مليسا تتصل لتخبر سارة بما أصبحت تعرفه، بأنها ستبقى لوقت متأخر في المدرسة للتمرن مع نادي المسرح، وأن بنجامين سيعيدها إلى المنزل. إتصل بعدها أولي، وأراد الخروج في تلك الليلة، حتى ولو من دون الأصدقاء، تماماً مثلما اقترحت أنياس.

"سوف نتناول عشاء هادئاً، نحن الاثنان فقط. أظن أني أفضل هذا في أية حال". شعرت بالدفء في صوته الآتي من نيويورك، وتلألأت الدموع في عينيها حين أقفلت السماعة. ماذا ستقول له؟ لا شيء. ليس الليلة. عليها الانتظار. لقد وعدت نفسها قبلاً بأنها لن تخبره إلا بعد انقضاء العيد.

راحت تجول في الغرفة، وترتب الأشياء، وتصغي إلى أصوات الأولاد في الخارج، وتلامس الأشياء المألوفة، وتفكر في زوجها. استلقت من ثم على السرير، وفكرت فيهم جميعاً وفي ما يشكلونه بالنسبة إليها. لكنهم كانوا يكلفونها شيئاً. فمن دون أن يدركوا الأمر ومن دون أن يقصدوا ذلك، كان كل واحد منهم قد أخذ شيئاً منها، وأعطاها شيئاً آخر في المقابل.... لكنها شعرت فجأة أن ما أعطوها إياه ليس كافياً، ولم يعد هذا ما تريده. من المريع فعلاً الاعتراف بذلك. هذا شيء مرعب لقوله لهم، وعرفت أنها لن تستطيع أبداً إخبارهم بذلك. لكنها تريد حياتها الخاصة في الوقت الحاضر. وهي مستعدة لذلك. أرادت أن تكون أكثر مما هي عليه أنياس، تقف في المطبخ وتنتظرهم

عائدة إلى المنزل كل يوم، وتنتظرهم من ثم حتى يرحلوا. لن يطول هذا الأمر كثيرا. فبنجامين سيغادر في الخريف. ومليسا بعد سنتين، وهناك من ثم سام... إنها ستكون أنجزت ما تريده قبل فترة طويلة من مغادرته للمنزل. ما هو الفرق إذاً؟ لماذا لا تستطيع فعل ما تريده للتغيير، لكنها تشعر بذنب كبير كلما قالت ذلك لنفسها.

قطع رنين الهاتف أفكارها مجدداً وكان هذا حماها الذي بدا مكتئباً متعباً. كان يعاني مشاكل في القلب في الآونة الأخيرة، ولم تكن فيليس في صحة جيدة أيضاً.

"مرحبا جورج. ما الأمر؟"

"هل أوليفر هنا؟" كان جافاً معها هذه المرة، على غير عادته.

"لا، ليس هنا". أجابته بقلق. كانت تحبه، على عكس فيليس. "هل هناك خطب ما؟"

"أنا... لا.... في الواقع، لست أكيداً. ذهبت فيليس للتسوق ظهراً، وحدها، ولم تعد إلى المنزل حتى الآن. ومع هذا الطقس... حسناً، أنا قلق وهي لم تتصل. ليس هذا من عاداتها". كانت في التاسعة والستين، وامرأة قوية، لكنهم لاحظوا جميعاً أنها أصبحت متحيّرة في الآونة الأخيرة. عانت من التهاب الرئة قبل بضعة أشهر، ولم تعد بعد ذلك كما كانت قبلاً. وعلمت سارة أن جورج يقلق دوماً بشأنها. فهو كان في الثانية والسبعين، لكنه بدا يقظاً نوعاً ما أكثر من زوجته، وإنما في الوقت نفسه أضعف بكثير. كان لا يزال رجلاً وسيماً، مثل ابنه، طويلاً ومستقيماً مع عينين رقيقتين وابتسامة جميلة. لكنه كان يبدو أحياناً أكبر مما هو، وشعر أوليفر بالقلق حياله.

"أنا واثقة من أنها لم تنتبه إلى الوقت. فأنت تعرف كيف هنّ النساء حين يذهبن إلى التسوق". أرادت سارة طمأنته. فلا يفيد قلبه أبداً القلق بشأن كل الأمور الصغيرة، ولا شك في أن فيليس ستظهر في أية لحظة.

"أتساءل ما إذا كان يجدر بي البحث عنها. أظن أن أوليفر ربما....". في

الآونة الأخيرة، كان يعتمد أكثر على أولي، وليس هذا من عاداته أيضاً.

"سأدعه يتصل لحظة يصل إلى المنزل". ويعني ذلك نهاية عشائهما خارجاً، إلا إذا عادت فيليس قبل ذلك. قد يكون هذا جيداً من جهة أخرى. فقد شعرت سارة فجأة أنها لا تريد التواجد وحدَها مع زوجها.

لكن جورج اتصل مجدداً قبل عودة أوليفر إلى المنزل. لقد عادت فيليس إلى المنزل آمنة وسليمة. واجهت صعوبة في العثور على سيارة أجرة، ولم تكن تملك فكة النقود للاتصال. لم يخبر سارة بأنها بدت له غير مرتبة نوعاً ما، وأن سائق سيارة الأجرة أخبره أنها واجهت صعوبة في تذكر عنوانها. وحين سألها جورج، أدرك مصدوماً أنها لم تعد تذكر رقم هاتفهما، ولهذا السبب لم تتصل به. "آسفة لأني أزعجتك يا عزيزتي".

"لا تكن سخيفاً يا جورج. يمكنك الاتصال بنا ساعة تشاء. أنت تعرف ذلك".

"شكراً". في الطرف الآخر، وجه نظرة سريعة وقلقة إلى زوجته، مدمدماً لنفسه فيما راحت تجول بلا هدف في المطبخ. في الآونة الأخيرة، كان هو يعدّ الطعام لها، لكنهما زعما كلاهما أن سبب ذلك هو رغبته في القيام بشيء ما، ولأنه يحب القول إنه طاهٍ أفضل منها. "أبلغي تحياتي إلى أوليفر حين يعود إلى المنزل. وإذا كان لديه الوقت، قولي له أرجوك أن يتصل بي".

"سوف أفعل"، قال له ونسيت الأمر فجأة جين عاد أوليفر إلى المنزل بعد بضعة دقائق. كان مسرعاً للاستحمام وارتداء الثياب وأصرّ أن يأخذها خارجاً لتناول العشاء. "لكن سام سيكون وحدَه هذه الليلة". أرادت بشدة البقاء في المنزل، لعدم مواجهته وحده على المائدة. فلا يوجد أي شيء تستطيع قوله له. ليس بعد. وكان من الأسهل إخفاء الأمر في منزلهما. الاختباء وراء الأولاد وجهاز التلفزيون. الاختباء وراء أي شيء. فأي شيء أفضل من مواجهته.

"هل خرجت أنياس؟" سألها أولي فيما كان يحلق ذقنه، ويشاهد الأخبار في الوقت نفسه، ويوجه إليها نظرات سريعة. لكنه كان مسروراً لفكرة تمضية

السهرة معاً. كان يخبئ لها مفاجأة. فقد حصل لتوه على ترقية كبيرة وعلاوة في الراتب. لقد أصبح أعلى منصب في الشركة متاحاً أمامه الآن. ففي الرابعة والأربعين من عمره، كان أوليفر واتسون من النوع الذي تتألف منه أساطير العمل. كان يملك كل شيء، وهو يعرف ذلك، وكان يشعر بالامتنان لذلك. فلديه وظيفة يحبها، وزوجة يعشقها، وثلاثة أولاد يجنّ بهم. ماذا يوجد أكثر في الحياة؟ لا شيء أبداً.

"لا، أنياس ستكون هنا، لكني أظن..."

"لا تفعلي. ارتدي ثيابك". ربّت على ظهرها برفق حين مرّت بالقرب منه، وأوقفها من ثم ووضع ذراعيه حول ذراعيها فيما أبعد شفرة الحلاقة. "أنا أحبك، هل تعرفين ذلك؟" كانت تعرف ذلك. تماماً. وهي تحبه أيضاً، الأمر الذي جعل كل ما تريد القيام به الآن أكثر صعوبة.

"أنا أحبك أيضاً". كانت عيناها حزينتين فيما شدها أكثر نحوه.

"لا تبدين سعيدة بذلك؟ هل واجهت يوماً شاقاً اليوم؟"

"ليس تماماً". فلم يكن هناك أي شيء شاق بعد الآن. كان الأولاد مشغولين، فيما تهتم أنياس بالمنزل، وأبطأت هي وتيرة عملها الاجتماعي في العامين الماضيين لمنح نفسها الوقت للكتابة، الأمر الذي لم تفعله أبداً في أية حال. ما هو الشيء الشاق في الحياة المثالية؟ لا شيء، باستثناء الفراغ المستمر والضجر الكامل. "أنا متعبة فقط حسب ما أظن. أوه... كدت أنسى. اتصل والدك. يريدك أن تتصل به".

"هل كل شيء على ما يرام؟" كان يقلق كثيراً بشأن أهله. فقد أصبحا كبيرين في السن، وبدا والده ضعيفاً منذ تعرضه لنوبة قلبية. "هل يشعر بخير؟"

"بدا جيداً، بعد عودة أمك إلى المنزل. فقد اتصل لأنها ذهبت للتسوق خلال بعد الظهر وتأخرت في العودة. أظن أنه قلق عليها في هذا الطقس".

"إنه يقلق كثيراً بشأن كل شيء. لهذا السبب، تعرض لنوبة قلبية. يمكنها

الاعتناء بنفسها. أقول له دوماً ذلك. فهو يصرّ دوماً على أنها تصاب بالارتباك، لكني أظن أنها أقل ارتباكاً مما يظن. سوف أتصل به حين نعود إلى المنزل، إذا لم يكن الوقت متأخراً جداً. هيا"، قال لها مبتسماً. "أسرعي. فقد حجزت طاولة للساعة السابعة".

قبّلا سام عند خروجهما، وأعطيا أنياس رقم هاتف المطعم. كان بنجامين قد غادر المنزل ولم يودعهما. لقد أخذ مفاتيح سيارة سارة وغادر المنزل مباشرة بعد الانتهاء من التهام معظم شطائر اللحم، فضلاً عن طبقين من الخضار، وقطعة من فطيرة التفاح التي أعدّتها أنياس. كانت سارة متأكدة أنه فور وصوله إلى منزل بيل، سيعاود الأكل مجدداً، ويلتهم ربما فطيرة التفاح كلها عند عودته إلى المنزل تلك الليلة. كانت تخشى أن يصبح بديناً، لكن بدا أنه لا داعي للخوف من هذا. فقد كانت مؤخرته صغيرة، ولولا كتفاه العريضتان لبدا مثل عود طويل.

كان المطعم جميلاً حين وصلا، حميماً وهادئاً، مع ديكور مستوحى من الريف الفرنسي والنار مشتعلة في الموقد. كان الطعام جيداً وطلب أوليفر طبق كاليفورنيا الممتاز. كانا كلاهما مسترخيين وأصغت سارة إليه حين أخبرها بشأن الترقية وزيادة الراتب. من الغريب الإصغاء إليه في الوقت الحاضر. فقد عاشت طوال سنوات من خلاله، وها هي الآن تعيش فجأة حياتها الخاصة. بدا وكأنها تصغي إلى شخص آخر. كانت مسرورة له، لكن نجاحه لم يعد إنجازاً مشتركاً. كان نجاحه وحده. فهي تعرف ذلك الآن. وحين أنهيا وجبتهما، تراجع إلى الخلف ونظر إليها، وشعر أن شيئاً تغير فيها، لكنه لم يكن واثقاً من ماهية هذا الشيء. كان يقرأها بصورة جيدة عادة، ولكن ليس الليلة. فهناك شيء بعيد وحزين في نظرتها إليه، وشعر فجأة بشيء من الخوف يمسّ قلبه. ماذا لو كانت تقيم علاقة خاصة؟ حتى عابرة... مثل مغامرات الزوجات مع رجل التأمين أو طبيب تقويم الأسنان أو أحد أصدقائهم. لا يستطيع تصديق ذلك. لطالما كانت وفية له. فهذه هي طبيعتها. مستقيمة وصادقة وواثقة. وكان هذا

جزءاً مما أحبه فيها. لا يمكن أن يكون ذلك صحيحاً. وهو لم يخدعها أبداً. لكنه لا يستطيع تصوّر ما يجري معها. وفيما طلب الشراب والحلوى، نظر إليها عبر ضوء الشمعة ورأى أنها لم تكن يوماً أكثر جمالاً أو شباباً. ففي الحادية والأربعين، كانت تبدو أفضل من معظم النساء اللواتي هنّ في عمر الثلاثين. فالشعر الأحمر الداكن لا يزال يلمع، وكان وجهها رائعاً، وخصرها نحيلاً تماماً كما كان قبل إنجاب الأطفال.

'ما الذي يزعجك حبيبتي؟" كان صوته دافئاً فيما امتدّ للإمساك بيدها. كان رجلاً طيباً ومحترماً، وهي تعرف ذلك. وهي تعرف أيضاً كم يحبها.

"لا شيء. لماذا؟ ما الذي يدفعك إلى قول ذلك؟ قضيت وقتاً رائعاً الليلة". كانت تكذب، لكنها لا تريده أن يعرف. إلا أنه عرف في أية حال. فهو يعرفها جيداً. اثنان وعشرون عاماً هي فترة طويلة جداً جداً.

"إذا أردت وضع علامة على عشرة، تستحق الليلة علامتين في مقياسك. أو ربما علامة واحدة. إذا كنت تعتبرين الذهاب إلى طبيب الأسنان بمثابة صفر".

ضحكت له، وضحك هو ضحكة خافتة فيما كان يسكب الشراب. "أنت مجنون، هل تعرف ذلك؟"، قالت له.

"نعم. مجنون بك. تخيلي رجلاً عجوزاً مثلي لا يزال مولعاً بشدة بزوجته. هذا جميل، أليس كذلك، بعد ثمانية عشر عاماً من الزواج".

"هل تعتبر أن الرجل في الرابعة والأربعين عجوز الآن؟ متى قررت ذلك؟"

أخفض صوته حين أجابها. "حين عجزت عن ممارسة الحب معك للمرة الثالثة ليلة الأحد الفائت. أظن أن هذا دفعني بصورة نهائية إلى هذه الفئة".

ابتسمت ابتسامة عريضة. فقد كانت ممارستهما للجنس مذهلة تقريباً على الدوام. "اعتقدت أن تكرار الأمر مرتين خلال ساعة ونصف ليس رديئاً جداً.

"لا أعرف. ربما يجدر بنا الذهاب إلى المنزل والتحقق من الأمر قبل أن تذهب بعيداً". كانت تضحك له، وتشعر بالسرور لأنهما خرجا لتناول العشاء في النهاية. فقد خفف ذلك من بعض توترها.

"شكراً جزيلاً. لكني أريد أن أعرف ما الذي يزعجك أولاً".

"لا شيء على الإطلاق". وفي تلك اللحظة بالتحديد، كانت صادقة تماماً.

"ربما ليس الآن، لكن قبل فترة وجيزة، كان هناك ما يزعجك. فقد بدوت وكأن صديقتك الحميمة توفيت للتو حين عدت إلى المنزل".

"لا، لست كذلك". لكنها كانت تشعر بشيء من ذلك. فهو صديقها الحميم في النهاية، وإذا عادت مجدداً إلى الكلية، سوف تفقده بطريقة ما. "لا تكن سخيفاً أول".

"لا تحاولي خداعي. فهناك شيء يقلقك أو يشغلك. أهي الكتابة؟" فهو يعرف أنها لم تكتب أي شيء خلال العامين الماضيين، لكن هذا لا يهمه. فهو يريد فقط أن تكون سعيدة.

"ربما. فأنا لا أصل إلى أي شيء في هذا. ربما لا أستطيع الكتابة بعد الآن. كانت ربما مجرد نزوة في شبابي". هزّت كتفيها وبدت غير مكترثة للأمر لأول مرة منذ عامين.

"لا أصدق ذلك يا سارة. كنت جيدة. أظن أن الوحي سيعود إليك مع الوقت. ربما لم تتصوري بعد ما تريدين الكتابة عنه. يجدر بك ربما التواجد أكثر في العالم.... القيام بشيء مختلف...". ومن دون أن يعرف ذلك، كان يفتح الباب أمامها، لكنها خشيت عبور هذا الباب. فمهما فعلت أو قالت، أو كيفما قالته، سيتغير كل شيء في حياتهما إلى الأبد ما إن تخبره بالأمر.

"كنت أفكر في ذلك". قالت بحذر.

"و؟"، قال منتظراً.

"ماذا تقصد بـــ "و"؟" كانت خائفة منه. ونادراً ما يحصل ذلك معها. لكنها

شعرت للمرة الأولى في حياتها بالذعر من زوجها.

"لا تفكرين أبداً في أي شيء من دون التوصل إلى نوع من الاستنتاج أو القيام بعمل ما".

"أنت تعرفني جيداً"، قالت مبتسمة، ثم بدت حزينة فجأة، ولا ترغب أبداً في إخباره.

"لماذا لا تخبريني يا ساري؟ فعدم معرفة ما يجول في خاطرك يجعلني مجنوناً".

"لا شيء يجول في خاطري". لكنها لم تنجح في إقناعه، وكانت تدور في حلقة مفرغة. "إنها أزمة منتصف العمر على الأرجح".

"هذا مجدداً؟"، قال وهو يبتسم. "لقد فعلت الشيء نفسه قبل عامين، ولديك الحق في ذلك مرة واحدة فقط. فالمرة التالية هي لي أنا. هيا يا صغيرتي... ما الأمر؟"

"لا أعرف، أولي..."

"هل الأمر متعلق بنا؟" بدت عيناه حزينتين حين سألها.

"طبعاً لا. كيف يمكن أن نكون نحن؟ أنت رائع... إنها أنا، حسب ما أعتقد. آلام كبيرة. أو الافتقار إليها. أشعر أني راكدة منذ تزوجنا". انتظر وحبس أنفاسه. ونسي أمر المشروبات وكل أجواء الحفلة. "لم أفعل أي شيء. وأنت حققت الكثير".

"لا تكوني سخيفة. فأنا رجل مثل ملايين الرجال الآخرين".

"أنت كذلك. أنظر إلى نفسك. أنظر إلى ما قلته لي للتو أثناء العشاء. خلال خمس سنوات، ستصبح على رأس شركة هينكلي وبوروز وداوسون، إذا استغرق الأمر طويلاً، وهذا ما أشك فيه. فأنت تجسد إحدى قصص النجاح العظيمة في العمل".

"لا يعني هذا أي شيء، سارة. أنت تعرفين ذلك. هذا مؤقت. هذا جميل. لكن ماذا؟ لقد ربّيت ثلاثة أولاد رائعين. وهذا طبعاً أكثر أهمية".

"لكن ما الفرق في هذا الآن؟ لقد كبروا، أو تقريباً كذلك، وسوف يرحلون بعد سنة أو اثنتين. ميل وبنجامين في أية حال، ومن ثم ماذا؟ أجلس وأنتظر سام ليذهب أيضاً، ومن ثم أمضي بقية حياتي وأنا أشاهد البرامج التلفزيونية السخيفة وأتحدث إلى أنياس؟". امتلأت عيناها بالدموع، وراح يضحك هو. لم يعرفها أبداً امرأة تشاهد البرامج التلفزيونية النهارية. فهي تفضل على الأرجح شغل نفسها في بودلير أو كافكا.

"أنت ترسمين صورة ضبابية جداً يا حبي. فلا شيء سيمنعك من القيام بما تريدينه". وكان يقصد ذلك فعلاً، رغم أنه لا يملك أية فكرة أبداً عن طموحاتها. ولم يملك قط هذه الفكرة. فقد أخفت طموحاتها على الدوام، وتركتها في مكان ما في كيس صوفي أو شاحنة قديمة، مع شهادتها من رادكليف.

"لا تقصد ذلك فعلياً".

"طبعاً أفعل. يمكنك القيام بعمل تطوعي، أو الحصول على وظيفة في دوام جزئي، أو تأليف قصص قصيرة مجدداً. يمكنك فعل أي شيء تريدينه".

أخذت نفساً عميقاً. حان الوقت الآن، سواء كانت مستعدة أم لا. عليها إخباره. "أريد العودة مجدداً إلى الكلية". بالكاد كان صوتها مسموعاً عبر المائدة.

"أظن أن هذه فكرة رائعة". بدا مرتاحاً. لم تكن تقيم علاقة غرامية مع شخص آخر. فكل ما تريده هو أخذ بعض الدروس. "يمكنك الذهاب إلى الجامعة الحكومية في بورتشايس. وإذا وزعت الحصص مع الوقت، يمكنك حتى الحصول على شهادة الماجستير". لكن طريقة قوله للأمر أزعجتها فجأة. تستطيع الذهاب إلى كلية محلية، وتوزيع الحصص مع الوقت. كم من الوقت؟ عشر سنوات؟ عشرون؟ يمكن أن تكون واحدة من تلك الجدات اللواتي يأخذن دروساً في الكتابة الإبداعية ولا يحققن أي شيء.

"ليس هذا ما أفكر فيه". كان صوتها حازماً وأكثر قوة. فهو العدو الآن، الشخص الذي منعها من الحصول على كل ما تريده.

"ما الذي تفكرين فيه؟" بدا مرتبكاً.

أغلقت عينيها لبرهة، وفتحتهما من ثم ونظرت إليه. "تم قبولي في برنامج الماجستير في جامعة هارفارد". برز صمت سرمدي بينهما فيما حدق فيها وحاول فهم ما تقوله.

"ماذا يفترض أن يعني ذلك؟" لم يفهم فجأة أي شيء. ماذا كانت تقول له، هذه المرأة التي ظن أنه يعرفها، والتي نامت بقربه طوال عقدين من الزمن. فجأة، وبلمح البصر، أصبحت غريبة. "متى تقدمت بطلب لذلك؟"

"في نهاية شهر أغسطس". تحدثت بهدوء. وعاد هذا العزم الذي يذكره بأيام شبابها ليتقد مجدداً في عينيها. فها هي تصبح أمامه شخصاً آخر.

"هذا جميل. وكان لطفاً منك أن تنكري الأمر. وما الذي كنت تنوين فعله إذا تم قبولك؟"

"لم أفكر أبداً أنه سيتم قبولي. تقدمت بالطلب هكذا... أظن حين بدأ بنجامين التحدث عن تقديم طلب إلى جامعة هارفارد".

"يا له من أمر مؤثر. فريق الأم والابن. والآن ماذا؟ ماذا ستفعلين الآن؟". كان قلبه يخفق بقوة وتمنى فجأة لو أنهما في المنزل، بحيث يستطيع خطو الغرفة، وليس الالتصاق في زاوية المطعم أمام طاولة أصبحت فجأة تسبب رهاب الاحتجاز. "ما الذي تقولينه لي؟ أنت لست جادة في ذلك، هل أنت كذلك؟"

التقت عيناها بعينيه الزرقاوين، فيما أومأت رأسها ببطء.

"نعم، أنا جادة، أولي".

"هل ستعودين إلى كامبريدج؟" لقد عاش هناك سبعة أعوام وهي أربعة أعوام، لكن هذا كان منذ عصور. ولم يفكر أبداً في حياته أن يعود إلى هناك.

"أنا أفكر في الأمر". كانت تفعل أكثر من ذلك، لكنها لا تستطيع مواجهته بالحقيقة بعد. فهذا سيكون فظاً جداً.

"وماذا يفترض بي أن أفعل؟ أستقيل من وظيفتي وآتي معك؟"

"لا أعرف. لم أفكر في ذلك بعد. لا أتوقع منك القيام بأي شيء. هذا قراري".

"هل هو كذلك؟ وماذا عنا؟ ماذا تتوقعين منا أن نفعل فيما تؤدين دور الطالبة مجدداً؟ هل يجدر بي تذكيرك أن مليسا ستبقى في المنزل لسنتين إضافيتين، وسام لتسع سنوات، أم أنك نسيت؟" أصبح غاضباً الآن، وأشار للنادل لإحضار الفاتورة بحركة مستعجلة. كانت مجنونة. هذا ما هي عليه. مجنونة. كان يفضل لو أخبرته أنها تقيم علاقة غرامية. فكان من الأسهل التعاطي مع ذلك، أو على الأقل هذا ما يظنه في الوقت الحاضر.

"لم أنسَ أي شيء من ذلك. أحتاج فقط إلى التفكير في الأمر". تحدثت بهدوء، فيما أخرج هو كومة من الأوراق النقدية ووضعها على الطاولة.

"أنت بحاجة إلى صفعة قوية. هذا ما تحتاجين إليه. أنت تتصرفين مثل ربة منزل سئمة وعصابية". وقف منتصباً وحدقت فيه، وشعرت أن حرمان السنوات العشرين الأخيرة يغلي داخلها إلى حد لم تعد تستطيع تحمله.

"أنت لا تعرف أي شيء عني". وقفت وواجهته فيما راقبهما النادلون بتهذيب من بعد وادعى رواد المطعم عدم الإصغاء إلى ما يجري. "أنت لا تعرف ماذا يعني التخلي عن كل شيء حلمت به. لديك كل شيء، مهنة وعائلة وزوجة تنتظرك في المنزل مثل الكلب الصغير الوفي، ينتظر أن يحضر لك الجريدة ويجلب لك خفّيك. حسناً، ماذا عني بحق الله؟ متى أحصل على ما أريده؟ متى أستطيع القيام بما أريد القيام به؟ حين تموت ويذهب الأولاد، حين أصبح في التسعين؟ حسناً، لن أنتظر كل هذا الوقت. أريده الآن، قبل أن أصبح كبيرة جداً للقيام بأي شيء يستحق العناء، قبل أن أصبح كبيرة جداً للاستمتاع به. لن أجلس وأنتظرك حتى تبدأ بالاتصال بأولادنا لأنك لا تعرف ما إذا كنت تهت حين خرجت للتسوق أم أني تعبت جداً من حياتي بحيث قررت أني لا أريد العودة إلى المنزل مجدداً. لن أنتظر ذلك أوليفر واتسون!" أرادت امرأة

الطاولة المجاورة الوقوف والهتاف، لأنها تملك أربعة أولاد وتخلت عن الدخول إلى كلية الطب للزواج من رجل خدعها طوال عشرين عاماً ستخف بها. لكن أوليفر خرج من المطعم، وأخذت سارة معطفها وحقيبتها سارت خلفه. وصلا إلى مرأب السيارات قبل أن يستطيع التحدث إليها مجدداً كانت الدموع تملأ عينيه هذه المرة، لكنها لم تكن واثقة ما إذا كانت الدموع جمة عن البرد أو الغضب. كان يصعب معرفة ذلك. لكن ما لم تفهمه هو أنها كانت تدمر كل شيء آمن فيه. لقد كان جيداً معها، وأحبها، وأحب أولادها، ولم رغب دوماً في إجبارها على العمل لأنه كان يريد الاعتناء بها، ومحبتها، احترامها، وتدليلها وحمايتها. وها هي الآن تكرهه لذلك وتريد العودة إلى المدرسة. والأسوأ من ذلك أنه إذا عادت إلى هارفارد، سوف تتركهم. لم يكن يعارض فكرة الكلية، وإنما موقعها وما يجدر بها فعله معهم للذهاب إلى هناك.

"هل تقولين لي إنك ستتركينني؟ هل هذا كل ما في الأمر؟ هل تتخلين عنا؟ ومنذ كم من الوقت تعرفين ذلك؟"

"وصلتني رسالة القبول بعد ظهر اليوم، أوليفر. لم أستوعب الأمر بعد. ولا، لن أتركك". حاولت الهدوء. "أستطيع القدوم إلى المنزل في عطل الأعياد ونهاية الأسبوع".

"أوه بحق الله... وماذا يفترض بنا أن نفعل؟ ماذا عن ميل وسام؟"

"لديهما أنياس". وقفا في الثلج، يصرخان على بعضهما البعض، وتمنت سارة من كل قلبها لو أنها تريثت لإخباره بالأمر. فهي لم تستوعب الأمر بعد.

"وماذا عني؟ لديّ أنياس أيضاً؟ ستتحمس جداً عند سماع ذلك".

ابتسمت له سارة. حتى في خضم القلق، يبقى محترماً ومرحاً. "هيا، أولي... دعنا نهدئ الأمور قليلاً. علينا التفكير في الأمر".

"لا، ليس علينا التفكير في ذلك". أصبح وجهه فجأة أكثر جدية مما عرفته. "لا يفترض أن يكون هناك أي شيء نفكر فيه. أنت امرأة متزوجة ولديك زوج وثلاثة أولاد. لا مجال أبداً للذهاب إلى كلية تبعد مئتيّ ميل تقريباً،

إلا إذا تخليت عنا ببساطة".

"ليس الأمر بهذه البساطة. لا تجعله بهذه البساطة، أولي. ماذا لو كنت أحتاج حقاً إلى ذلك؟"

"أنت تطلقين العنان لأهوائك". فتح قفل السيارة، وفتح الباب، وجلس وراء المقود. وحين صعدت إلى السيارة، حدق فيها مع أسئلة جديدة.

"كيف تنوين بالضبط دفع تكاليف ذلك، أم أنك تتوقعين مني إرسالك أنت وبنجامين إلى هارفارد؟". فمن المفترض أن يشكل إرسال ولد إلى الكلية عبئاً عليهم، إذا تجاوزنا عن ذكر أمر ميل. وبدا إن إضافة سارة إلى هذا العبء أمر مناف للمنطق، لكنها فكرت قبلاً بهذا الأمر في حال تم قبولها.

"لا أزال أملك المال الذي تركته لي جدتي. فباستثناء تكاليف الطابق العلوي الذي أضفناه إلى المنزل، لم ألمس المال أبداً".

"ظننت أن المال مخصص للأولاد. اتفقنا على أن هذا المال مقدس".

"ربما سيفيدهم أكثر أن يكون لديهم أم تقوم بشيء مجدٍ في حياتها، مثل كتابة شيء قد يعني شيئاً في يوم من الأيام، أو الحصول على وظيفة تجدي نفعاً لأحدهم أو تنجز شيئاً مفيداً".

"إنها فكرة جميلة، لكني أظن صراحة أن أولادك يفضلون الحصول على أم وليس على نموذج أدبي". بدا قاسياً أثناء قيادته المسافة القصيرة للعودة إلى المنزل، وبقي بعدها في السيارة، خارج المنزل في الممشى. "لقد حسمت أمرك، أليس كذلك؟ سوف تفعلين ذلك، أليس كذلك يا ساري؟" بدا حزيناً جداً، وحين التفت هذه المرة إليها، أدركت أن الدموع الموجودة في عينيه ليست نتيجة الريح، وإنما نتيجة ما أخبرته إياه.

كانت عيناها رطبتين أيضاً فيما ترددت، ونظرت خارجاً إلى الثلج، ثم التفتت لمواجهته. "أظن أنه يجدر بي فعل ذلك، أولي... لا أعرف إذا كنت أستطيع شرح الأمر... لكن عليّ فعل ذلك. لن يدوم الأمر طويلاً، أعدك...

سوف أعمل بكدّ قدر ما أستطيع، وبأسرع ما يمكن". لكنها لم تكن تخدع أحداً. فهما يعرفان تماماً أنه برنامج مكثف لمدة سنتين.

"كيف يمكنك فعل ذلك؟" أراد القول "بي"، لكن هذا بدا أنانياً جداً.

"أنا مضطرة". كان صوتها خافتاً جداً فيما توقفت سيارة خلفهما وأنارت مصابيحها الأمامية وجهيهما. استطاعت مشاهدة الدموع وهي تنهمر على وجنتيه، وكل ما أرادته هو عناقه. "أنا آسفة... لم أشأ إخبارك الآن... أردت إخبارك بعد الأعياد'.

"وما الفرق في ذلك؟". ألقى نظرة إلى الخلف لمشاهدة بنجامين ومليسا يخرجان من السيارة، ونظر مجدداً إلى زوجته، تلك الزوجة التي هو على وشك فقدانها، التي ستتركهم للعودة إلى الكلية، والتي لن تعود أبداً ربما مهما قالت. فقد عرف أن الأمور لن تعود أبداً كما هي مجدداً. وكلاهما يعرف ذلك.

"ماذا ستقولين لهم؟"

انتظرهما الولدان ليخرجا من السيارة، وراقباهما وهما يتحدثان في هواء الليل البارد، فيما ألقت سارة نظرة عليهما، مع مرارة في قلبها. "لا أعرف بعد. دعنا نمضي عطلة العيد أولاً". أومأ أوليفر برأسه، وفتح الباب وهو يمسح الدموع عن وجنتيه بسرعة كي لا يراها الولدان.

"مرحبا أبي. كيف كان العشاء؟". بدا بنجامين أن معنوياته مرتفعة فيما ابتسمت مليسا التي يطغى عليها الشعر الأشقر الطويل. كان ماكياج المسرح لا يزال على وجهها. كانت تتمرن على المسرحية، وأحبت ذلك.

'كان ممتعاً"، أجابت سارة بسرعة نيابة عنه، وهي تبتسم ابتسامة عريضة. "إنه مكان ظريف". ألقى أوليفر نظرة خاطفة إليها، وتساءل عن قدرتها في القيام بذلك، عن قدرتها في التحدث إليهم جميعاً، عن قدرتها في الادعاء والتظاهر، عن قدرتها في مواجهتهم. هناك بعض الأمور لديها التي لا يعرفها، والتي لم يعرفها أبداً، ولا يريد ربما أن يعرفها.

دخل إلى المنزل، وحيّا الأولاد وصعد السلم ببطء، وهو يشعر بالتعب

والأوهام. راقبها فيما تغلق باب غرفة النوم وتواجهه. "أنا آسفة، أولي... أنا حقاً آسفة".

"وأنا أيضاً". لا يزال غير مصدق للأمر. قد تبدّل رأيها ربما. فهذا ربما تغيير للحياة. أو ورم في الدماغ. أو دليل على اكتئاب وخيم. ربما كانت مجنونة، ولطالما كانت كذلك ربما. لكنه لم يكترث لما هي عليه. فهي زوجته وهو يحبها. أرادها أن تبقى، أن تسترد الأشياء التي قالتها، أن تقول له إنها لا تستطيع الاستغناء عنه مهما كان السبب... هو... وليس فقط الأولاد... هو... لكن فيما وقفت تراقبه بعينين حزينتين، أدرك أنها لن تفعل ذلك أبداً. فهي تقصد تماماً كل ما قالته. سوف تعود إلى هارفارد. سوف تتركهم. وفيما كان إدراك ذلك يطعن قلبه مثل السكين، تساءل عما سيفعله من دونها. أراد البكاء لمجرد التفكير في الأمر. أراد الموت فيما هو مستلقٍ في سريره تلك الليلة، بالقرب منها، وهو يشعر بدفئها قربه. لكن بدا الأمر وكأنها غادرت فعلاً. استلقى بالقرب منها، وهو يتوق توقاً موجعاً إليها، يتوق إلى السنوات التي مضت، ويريدها أكثر مما فعل يوماً، لكنه استدار ببطء إلى جانبه وابتعد عنها بحيث لا تشاهده يبكي، ولم يلمسها أبداً.

الفصل الثالث

بدت الأيام التي سبقت العيد تتقدم ببطء، وبات أوليفر يكره العودة إلى المنزل في الوقت الحاضر. فقد كان يناوب بين كرهها وعشقها أكثر مما فعل قبلاً، ويحاول التفكير في سبل لتغيير رأيها. لكن القرار اتخذ في الوقت الحاضر. فقد تحدثا عن الأمر باستمرار، في وقت متأخر من الليل، حين خلد الأولاد إلى السرير، ولاحظ عناداً فظاً عند سارة ظن أنها تخلت عنه قبل أعوام. لكن برأيها كانت تكافح لحياتها في الوقت الحاضر.

وعدت ألا يتغير أي شيء، وأن تعود إلى المنزل ليلة كل جمعة، وأن تحبه بقدر ما فعلت قبلاً، لكنهما عرفا كلاهما أنها تخدع نفسها. فسوف تضطر إلى إعداد مشاريع، والدراسة للامتحانات، ولا مجال أبداً للتنقل، فضلاً عن أن العودة إلى المنزل لتدفن نفسها بين كتبها سيسبب الإحباط له وللأولاد. لا بد أن تتغير الأمور حين تعود إلى الكلية. كان هذا حتمياً، سواء أرادت مواجهة الأمر أم لا. حاول إقناعها بالذهاب إلى كلية أخرى، إلى مكان ما قرب المنزل، وحتى كولومبيا ستكون أفضل من العودة إلى هارفارد. لكنها كانت مصممة على الذهاب إلى هناك. وتساءل في بعض الأحيان ما إذا كان ذلك لاستعادة شبابها، وإرجاع الساعة إلى الخلف إلى زمن أكثر بساطة، رغم أنه يحب حياتهما كثيراً في الوقت الحاضر. ولن يستطيع أبداً أن يفهم كيف ستتمكن من ترك الأولاد.

لا يزال الأولاد غير مطلعين على مشاريع أمهم. شعر الولدان الكبيران ببعض التوتر في الأجواء، وسألتها مليسا أكثر من مرة ما إذا كانت تشاجرت مع والدها، لكن سارة كانت تنفي بلامبالاة. فهي لم تشأ إفساد مناسبة العيد لهم، وهي تعلم أن الإعلان عن قرارها سيزعجهم. لذا، قررت إخبارهم في اليوم الذي يلي العيد، ووافق أولي على ذلك لأنه ظن أنها لا تزال تستطيع تغيير

رأيها. ذهبوا لحضور مسرحية مليسا كما لو أنهم في تناغم مثالي، وأنشدوا الأغاني، وقالوا النكات، فيما تعارك أوليفر وبنجامين مع الأضواء، وتناول سام الفوشار أسرع من مليسا واستطاعت سارة السيطرة على الأمر. كان أوليفر يراقبهم وشعر أن قلبه سينفطر. لا تستطيع فعل ذلك بهم. هذا ليس عادلاً. وكيف سيعتني هو بهم؟ ومهما كانت أنياس عزيزة، تم استئجارها فقط للمساعدة. إنه يعمل في نيويورك طوال النهار. تصوّر بنجامين ومليسا وهما يتحولان إلى وحشين، ويتقهقر مستوى سام في المدرسة فيما تؤدي أمهم دور الطالبة المجتهدة في هارفارد.

ليلة العيد جلس وحده معها، أمام النار المشتعلة في المكتبة، وواجهها باتزان وطلب منها عدم المضي قدماً في مشاريعها. وقرر أنه سيتوسل إليها لو اضطر إلى ذلك.

"لا يمكنك فعل ذلك بهم". لقد فقد 4.5 كلغ خلال أسبوعين، وكان التوتر السائد في الأجواء يقتلهما معاً، لكن سارة كانت قاسية الفؤاد. فقد أرسلت موافقتها في الأسبوع الفائت، وسوف تغادر خلال أسبوعين للعثور على مكان للإقامة في بوسطن. سوف تبدأ الصفوف في الخامس عشر من يناير. وكل ما بقي لديها هو إمضاء العيد، وتوضيب أغراضها، وإخبار الأولاد.

"أولي، لن نعاود المسألة مجدداً".

أراد الوثب عليها وضربها. لكنها ابتعدت عنه، كما لو أنها لا تستطيع تحمل مواجهة الألم الذي تسببه له. كانت توضب الهدايا مع أنياس منذ أسابيع. لقد أنفقت كل شيء هذه السنة كما لو أنه آخر عيد لهم. اشترى لها أولي خاتم زمرد ماركة فان كليف في الأسبوع الفائت. كان خاتماً جميلاً وشيئاً لطالما أرادت الحصول عليه. كان خاتماً عادياً مرصعاً بالماسات الصغيرة مع مربع جميل من الزمرد في وسطه. أراد إعطاءها الخاتم في تلك الليلة، لكنه بدا فجأة بمثابة رشوة أكثر من هدية، وشعر بالأسف لأنه اشتراه.

حين خلدا إلى السرير في تلك الليلة، ضبطت سارة المنبّه على الساعة

السادسة. أرادت النهوض باكراً لحشو الديك الرومي. سوف تنهض أنياس باكراً لإنجاز معظم الأعمال في أية حال، لكن سارة أرادت إعداد الديك الرومي بنفسها، ليكون هدية أخيرة منها إليهم، فضلاً عن أنه تقليد في العائلة.

استلقت في السرير، بعد أن أطفأ الأنوار، وراحت تفكر بهدوء وتصغي إلى نَفَس أولي. عرفت أنه مستيقظ، واستطاعت أن تتخيل بسهولة ما يفكر فيه. كان يحتدم غيظاً في الأسبوعين الأخيرين. فقد تجادلا، وبكيا، وتحدثا، وناقشا، وما زالت تعرف أنها تفعل الشيء الصحيح، بالنسبة إليها على الأقل. وكل ما تريده الآن هو الانتهاء من هذه المسألة، والشروع في حياتها الجديدة، والابتعاد عنهم وعن الألم الذي عرفت أنها تسببه لأولي.

"أتمنى لو تتوقف عن التصرف كما لو أني أغادر هنا إلى الأبد". كان صوتها رقيقاً في الظلمة.

"أنت تفعلين ذلك، أليس كذلك؟" بدا صوته حزيناً جداً، لدرجة أنها بالكاد استطاعت سماعه.

"قلت لك. سوف أعود إلى المنزل في كل عطلة أسبوع إذا استطعت، وهناك الكثير من العطل".

"وكم تظنين أن هذا سيدوم؟ لا يمكنك التنقل والذهاب إلى الكلية. لا أستطيع فقط أن أفهم كيف يمكنك القيام بذلك". لقد قال ذلك ألف مرة خلال الأسبوعين الماضيين، واستمر بصمت في البحث عن سبب آخر، عن شيء قام به، أو أخفق في القيام به، لا بد أن يكون كذلك. فهي لا يمكن أن ترغب في حياة مختلفة بالكامل، بعيداً عنهم، لو كانت فعلاً تحبه.

"ربما بعد أن ينتهي كل ذلك، سيكون الأمر أكثر وضوحاً بالنسبة إليك. ربما إذا حققت لنفسي شيئاً ما نتيجة ذلك، سوف تحترم حينها ما قمت به. فإذا حدث ذلك، يكون الأمر يستحق العناء".

"أنا أحترمك الآن. ولطالما فعلت ذلك". التفت لينظر إليها في ضوء القمر. بدت جميلة كما هي الحال دوماً بالنسبة إليه، وربما الآن أكثر لأن ألم

خسارتها يذكره دوماً بمقدار حبه لها. والآن، بعد أن سببت الألم لهم، لسبب لا يعرفونه ويعرفه هو، "متى ستخبرين الأولاد بالضبط؟"

"أظن غداً مساء، بعد عودة أهلك إلى المنزل".

"يا لها من طريقة موجعة لإنهاء العيد".

"لا أظن أنه يجدر بي الانتظار أكثر. فالأولاد يعرفون أن شيئاً ما يجري. يساور الشك ميل طوال الأسبوع، ويشعر بنجامين بالضياع. فهو يشعر دوماً بوجود خطب ما لكنه يجهل كيفية مواجهته".

"وكيف تظنين سيشعرون بعد سماعهم الخبر؟"

"مثلما نفعل، على الأرجح. بالخوف، والارتباك، وربما الحماس لي. أظن أن بنجامين وميل سيتمكنان من الفهم. لكني قلقة بشأن سام". تحدثت برفق والتفتت للنظر إلى أولي، باحثة بهدوء عن يده، وارتعش صوتها حين تحدثت مجدداً، وهي تفكر في طفلهم الأخير. "إعتنِ به جيداً، أولي... إنه يحتاج إليك أكثر مما يحتاج إليّ...".

"إنه يحتاج إليك. فأنا أشاهده فقط ساعتين في اليوم، وكل ما نتحدث عنه هو كرة القدم والبايسبول والفروض المنزلية".

"إنها بداية. ربما ستكونان أكثر قرباً بعد ذلك".

"ظننت أننا كنا كذلك". هذا هو الجزء الأكثر إيلاماً. ظن أنهم يملكون كل شيء. العائلة المثالية. الزواج المثالي. "لطالما ظننت أن كل شيء على ما يرام بيننا... لم أفهم أبداً كيف فكرت في كل ذلك... أعني... حسناً، فهمت حين كنت حاملاً، لكني ظننت دوماً بعد ذلك، وحتى قبل ولادة سام، أنك سعيدة". كان يشعر بألم شديد لمجرد التفكير بأنه لم يمنحها كل ما أرادته.

"كنت... أنا... أردت فقط شيئاً لم تستطع منحه لي. لا بد أن يأتي من الداخل. وأظن أني لم أجده أبداً". شعرت بذنب كبير لأنها تجعله يشعر بالنقص. فلطالما كان الزوج المثالي.

"وإذا لم تجديه الان؟"

"أستسلم حسب ما أعتقد". لكنها عرفت أنها ستجده. وهي تملك أصلاً جزءاً منه في الوقت الحاضر. فمجرد اتخاذ القرار بالذهاب غيّرها.

"أظن أنه يمكنك العثور عليه هنا. ربما كل ما تحتاجين إليه هو المزيد من الحرية".

اقتربت منه أكثر فأكثر في سريرهما المريح، ووضع ذراعه حولها. لديّ كل الحرية التي أحتاج إليها. لكني لم أعرف فقط ما العمل بها".

"أوه، صغيرتي..." أقحم وجهه في شعرها، وامتلأت عيناه بالدموع مجدداً، لكن فيما وضعت رأسها على صدره، شعر هو أيضاً بدموعها وكتفيها المرتعشين. "لماذا نفعل ذلك؟ ألا نستطيع إرجاع الساعة بضعة أسابيع إلى الوراء ونسيان كل ما حدث؟".

على رغم دموعها المنهمرة، هزّت رأسها ونظرت من ثم إليه. "لا أظن ذلك. سوف أشعر دوماً أني فوّتت شيئاً ما. سوف أعود... أعدك... أقسم. أحبك كثيراً". لكن شيئاً ما في قلبه أخبره بأن هذا لن يحدث مهما قالت. فمن الأفضل إبقاؤها في المنزل، وعدم السماح لها أبداً بالذهاب. فحين تذهب، يمكن أن يحدث أي شيء.

بقيا مسلتقين لوقت طويل، وهما يمسكان بعضهما البعض بشدة، ووجههما متلاصقان، فيما التقت شفتاهما من حين إلى آخر، ونجح أخيراً في إشباع توقه الكبير إليها.

فللمرة الأولى منذ أسبوعين، أخذها بشغف كبير وتوق كان قد نسيه منذ مدة. وطغى على ممارستهما للحب يأس لم يكن موجوداً قبلاً، فضلاً عن عطش ووحدة وجوع لا يشبع. شعرت هي أيضاً بذلك، مع ذنب وندم وأسى طغى عليها أثناء ارتعاشهما معاً. اسلتقيا بعدها بالقرب من بعضهما وراحا يقبلان بعضهما البعض، إلى أن نامت أخيراً بين ذراعيه... أوليفر... الشاب الذي أحبته منذ وقت طويل... الرجل الذي أصبح عليه... الحب الذي بدأ والذي قد ينتهي الآن في هارفارد.

الفصل الرابع

كان صباح العيد صاخباً جداً. المائدة، الديك الرومي، الهدايا، الاتصالات الهاتفية من شيكاغو، وثلاثة اتصالات من آل واتسون. اتصل جورج ليقول إن فيليس ليست على ما يرام، وصرف أوليفر النظر عن الموضوع لأن والده يقلق مجدداً من دون سبب. كان يفترض أن يصلا عند الظهر لكنهما وصلا في الثانية بعد الظهر تقريباً، مع الكثير من الهدايا للجميع، بما في ذلك شال من الكاشمير لأنياس وعظمة كبيرة للكلب آندي. وعلى عكس تحذيرات جورج، بدت فيليس جيدة تماماً وكانت جميلة في فستانها الصوفي الأرجواني الجديد الذي اشترته يوم ذهبت للتسوق لساعات وساعات وسببت القلق لزوجها.

فتحوا الهدايا، واستغرق ذلك وقتاً طويلاً، وذهلت سارة بخاتم الزمرد الذي أعطاه أولي لها ذلك الصباح حين جلس على مائدة المطبخ، عند بزوغ الفجر، وهو يراقبها تحشو الديك الرومي. قدمت له هي معطفاً من جلد الغنم، وبعض الأشرطة التي عرفت أنه يريدها، وبعض ربطات العنق والجوارب، وأشياء أخرى تافهة، ومحفظة جلدية سوداء جميلة. وعلى سبيل المزاح، قدم لها هو "حقيبة مدرسية" حمراء مضحكة لتذكيرها بأنها مجرد "ولد بالنسبة إليه" وبوصلة ذهبية لتجد طريقها إلى المنزل، حفرت عليها عبارة "عودي إلى المنزل سريعاً. أحبك. أولي".

"لِمَ هذا يا أبي"، سأل سام حين شاهد الهدية التي فتحتها سارة. "هل ستذهب أنت وأمي في مخيم؟ إنها بوصلة جميلة جداً".

"أمك امرأة غريبة جداً. أظن أن هذا قد يفيدها إذا تاهت ذات مرة". ابتسم، وضحك سام، وامتدت سارة بلطف لملامسة أولي. قبلته بحنان، وتبعها بعد ذلك إلى المطبخ لمساعدتها في تقطيع الديك الرومي إلى شرائح.

كانت الوجبة هادئة وخالية من الأحداث المهمة لولا أن الجدة فيليس بدأت، في منتصف الوجبة، بالشعور بالعصبية. بدت أنها تقفز من كرسيها كلما أتيحت لها الفرصة لذلك، وتساعد في نقل صحون لا يفترض أن تذهب إلى أي مكان، وإحضار أشياء من المطبخ لا علاقة لها بالوجبة، وسؤال الجميع عشرات المرات ما إذا كانوا مستعدين لوجبة طعام أخرى.

"ما الأمر مع جدتي؟"، همس سام في أذن والده حين انطلقت فيليس مسرعة وراء أنياس، مصرّة على أنها تريد مساعدتها. "لم تحب يوماً العمل في المطبخ بهذا القدر". لاحظ أوليفر الأمر أيضاً، لكنه تخيّل أنها تشعر فقط بالانزعاج من شيء ما. بدت مضطربة على نحو غير اعتيادي.

"أظن أنها تريد فقط مساعدة أمك وأنياس. فالكبار في السن يصبحون هكذا في بعض الأحيان. يريدون أن يعلم الجميع أنهم لا يزالون مفيدين".

"أوه"، أومأ سام برأسه، مقتنعاً، لكن الآخرين لاحظوا الأمر أيضاً. وبدت ميل قلقة حين نظرت بسرعة إلى أمها. اكتفت سارة بهزّ رأسها لأنها لم ترغب في أن تتحول الأسئلة إلى كلمات. اتضح لها فجأة أن حماتها تواجه مشكلة ما.

لكن الوجبة كانت هادئة باستثناء ذلك. تناول الجميع حصصاً عدة من كل شيء، واجتمعوا بعدها في غرفة الجلوس، فيما تولت سارة وأنياس وفيليس ترتيب المطبخ. انضمت مليسا إليهم لبرهة، ثم عادت للجلوس مع الرجال وشقيقيها.

نظرت بقلق إلى الجد جورج وجلست بالقرب منه حين سألته: "ما المشكلة مع جدتي؟ تبدو عصبية جداً".

"إنها تصبح هكذا أحياناً، مضطربة. يصعب تهدئتها، ومن الأفضل أحياناً تركها وحدها طالما أنها لا تسبب أي أذى. هل هي على ما يرام هناك؟"

"أظن ذلك. إنها تدور حول المطبخ مثل الدوامة". لكن الحقيقة أنها لم تكن تفعل أي شيء، وإنما تتحدث فقط من دون توقف وتنقل الصحون الوسخة من هنا إلى هناك ومن ثم مجدداً من دون إنجاز أي شيء. لاحظت سارة وأنياس

الأمر أيضاً، لكنهما لم تتفوها بأية كلمة، واضطرا في النهاية إلى الطلب من ميل الذهاب إلى الغرفة الأخرى. ورغم ذلك، نظرت إليها جدتها، بمجرد سماع اسمها، وحدّقت مباشرة في حفيدتها.

"ميل؟ هل هي هنا؟ أودّ رؤيتها، أين هي؟" وقفت مليسا مذهولة بصمت نقلتها أمها إلى الغرفة الأخرى، لكنها بقيت مرتعدة حين جلست بالقرب من جدها وسألته عن توضيح.

"إنها مرتبكة. لم أشاهدها قط على هذا النحو قبلاً".

"يحدث هذا معها أكثر فأكثر، وعلى نحو أكثر تواتراً". نظر جورج واتسون بحزن إلى ابنه. هذا هو تماماً ما كان يحاول شرحه لأولي. لكنها كانت أحياناً على ما يرام، وتساءل هو بنفسه ما إذا كان يتخيل ارتباكها. فقد كان يصعب التفكير في حقيقة الأمر. بالفعل، تبدو في أحد الأيام خارجة تماماً عن السيطرة، وتبدو على ما يرام في اليوم التالي، وتتبدل أحياناً بين ساعة وأخرى. وكان هذا مربكاً ومخيفاً في الوقت نفسه. "لا أعرف ما هذا، ميل. أتمنى لو أني أعرف. التقدم في العمر، حسب ما أعتقد، لكنها لا تزال صغيرة على ذلك". كانت فيليس واتسون في التاسعة والستين فقط، فيما يكبرها زوجها بثلاث سنوات.

بعد بضع دقائق، دخلت سارة وفيليس إلى الغرفة، وبدت المرأة الكبيرة أكثر هدوءاً. جلست بهدوء في كرسي، وتحدثت مع بنجامين الذي أخبرها عن تقدمه بطلب إلى هارفارد. تقدم أيضاً بطلب إلى برينستون، وستانفورد في الساحل الغربي، وبراون، وديوك وجورجتاون. فمع علاماته ومهارته الرياضية، يستطيع الاختيار بين عدد كبير من الكليات. لكنه ما زال يأمل في الذهاب إلى هارفارد، تماماً مثلما تفعل سارة الآن. من الممتع فعلاً التواجد في الكلية معه. وإذا حدث ذلك ربما، قد يسامحها على مغادرتها المنزل قبل ثمانية أشهر من توجهه إلى الكلية. والواقع أن أولي اقترح عليها الانتظار حتى يغادر بنجامين للكلية، لكنها لم ترغب في تأجيل أي شيء. لقد انتظرت ذلك سنوات

طويلة ولا ترغب أبداً في الانتظار لساعة أخرى. هذا هو الموقف الذي تكهّنت به فيليس قبل أعوام، لكنها لم تعد الآن تذكر ذلك أو تفهمه.

"ومتى ستلقى الأجوبة من كل هذه الكليات؟"

كان جورج واتسون متحمساً لحفيده.

"ربما في أواخر أبريل".

"إنه وقت طويل بالنسبة إلى ولد في سنّك".

"نعم، هو كذلك". ابتسم بنجامين ونظر إلى والده بحنان. "سوف أذهب مع أبي في جولة على الكليات هذا الربيع أثناء انتظاري الأجوبة. أنا أعرف معظمها لكني لم أذهب أبداً إلى ديوك أو ستانفورد".

"هذا بعيد جداً. ما زلت أظن أنه يجدر بك الذهاب إلى برينستون". إنها مدرسة جورج السابقة، ولذلك ابتسم الجميع. يظن جورج دوماً أنه يجدر بالجميع الذهاب إلى برينستون.

"قد أفعل ذلك، إذا لم أذهب إلى هارفارد. قد تذهب ميل إلى هناك يوماً ما". دمدمت ورمت قطعة حلوى صغيرة عليه.

"أنت تعرف أني أريد الذهاب إلى كلية الفنون ودراسة المسرح".

"نعم، إذا لم تتزوجي قبلاً". كان يقول عادة "تحملي"، لكنه لم يجرؤ على ذلك أمام أهله. فهي تعيش قصة حب عاصفة مع شاب في صفه، ورغم أنه يظن أنها لم تستسلم له بالكامل بعد، فإنه يشك في أن الأمور باتت أكثر قرباً. إلا أنها عرفت مؤخراً بقصته العاطفية الجديدة مع فتاة شقراء جميلة تدعى ساندرا كارتر.

انتهت تلك الأمسية وذهب آل واتسون إلى منزلهما. ومباشرة بعد رحيلهما، نظر أوليفر باستفهام إلى سارة. كانت هادئة على نحو غريب خلال النصف ساعة الأخيرة، وعلم أنها تفكر في ما ستقوله للأولاد. في أية حال، كانوا جميعاً تعبين بحيث يفضل الانتظار حتى يوم آخر، لكنها فكرت في ذلك

طويلا وأرادت أن تخبرهم الآن بالأمر.

كان بنجامين على وشك سؤالها عن مفاتيح السيارة، وأرادت مليسا الاتصال بصديق، وكان سام يتثاءب حين ظهرت أنياس في الباب.

"حان الوقت ليخلد سام إلى السرير. سوف أصعده إذا شئت، سيدة واتسون". أصبح كل شيء في المطبخ مرتباً وأرادت الذهاب إلى غرفتها للاستمتاع بالتلفزيون الجديد الذي أهداه إياها آل واتسون بمناسبة العيد.

"سوف أصعده بعد برهة. نريد أن نتحدث أولاً. شكراً، أنياس". ابتسمت سارة لها، وتوقفت أنياس لبرهة. ثمة شيء غريب في نظرة مستخدمتها، لكنها اكتفت بهزّ رأسها وتمنت للجميع عيداً سعيداً، قبل الذهاب إلى غرفتها. نظر سام إلى أمه بعينين كبيرتين ومتعبتين.

"ما الذي سنتحدث عنه؟"

"أمي... هل أستطيع... يفترض بي الخروج..." بدا بنجامين متشوقاً للخروج فيما نظر إلى ساعته الجديدة وهزّت سارة رأسها هذه المرة.

"أريدك أن تنتظر. هناك شيء أود قوله لكم جميعاً".

"هل من خطب؟". بدا محتاراً، ونظرت ميل إليهم بعد أن كانت قد أصبحت في منتصف السلم. انتظرت سارة حتى التقى الجميع مجدداً وجلست. بدا ذلك مثل عمل رسمي الآن، وجلب أوليفر كرسي من الغرفة، قرب المدفأة، وتساءل عما ستقوله لهم، وكيف سيتقبلون الأمر.

"لا أعرف تماماً من أين أبدأ". شعرت سارة أن نفسها انقطع فجأة، فيما نظرت إليهم جميعاً، إلى ابنها الطويل والوسيم، وابنتها التي كبرت الآن لكنها لا تزال صغيرة، وسام المتكئ على الأريكة قربها. "ثمة أمر أردت القيام به منذ وقت طويل، وسوف أقوم به الآن، لكنه لن يكون سهلاً على أي منا. إنه تغيير كبير. لكن أول شيء أريد قوله لكم هو أن تعرفوا كم أحبكم وكم أهتم بكم... لكن ثمة أمر آمنت به على الدوام، وقلته لكم جميعاً، هو ضرورة التحلي بالصدق مع أنفسكم". شدّت على يد سام وتجنبت النظر في عينيّ

أوليفر، ثم تابعت. " عليكم أن تقوموا بما ترونه صحيحاً، حتى لو كان هذا صعباً أحياناً". أخذت نفساً آخر وكان هناك صمت مميت في الغرفة فيما الجميع ينتظر. كانوا خائفين مما ستقوله. بدت فجأة جادة جداً، ولاحظ بنجامين أن والده أصبح شاحب اللون. سوف يطلّقان بعضهما ربما، أو ينجبان ولداً آخر. والواقع أن الطفل لن يكون سيئاً جداً، لكن الطلاق هو نهاية العالم. لم يستطع أي منهم تخيل الأمر. "سوف أعود إلى المدرسة". قالت بتنهّد فيما هي تلفظ الكلمات.

"حقاً؟"، بدت ميل مذهولة.

"أين"، سأل بنجامين.

"لماذا؟" أراد سام أن يعلم. بدا الأمر غبياً بالنسبة إليه. فالمدرسة هي للأولاد، ولا يستطيع الانتظار حتى ينتهي منها. تخيل العودة إليها حين تصبح كبيراً. إنه بلا شك أمر لا يريد القيام به في سنّها. "هل سيذهب والدي إلى المدرسة أيضاً؟"

ابتسمت سارة، لكن أوليفر لم يفعل. كان الأمر أسهل عليهم لو فعل ذلك. لكانوا انتقلوا جميعاً إلى كامبريدج. لكنها كانت الوحيدة التي ستنتقل، فيما يبقون هم هنا، مع حياتهم الآمنة والمريحة. أرادت فقط الإبحار من المرفأ، الخروج من مرفأ حياتهم، وخوض المياه المجهولة. لكن الفكرة كانت تثيرها أكثر مما تخيفها. سوف تشرح الأمر لهم في أحد الأيام، لكن ليس الآن. إنهم يحتاجون الآن إلى معرفة كيف سيؤثر ذلك فيهم. وهو سيؤثر حتماً. لا ريب أبداً في ذلك. سيؤثر خصوصاً في سام الذي جلس ينظر إليها. كان يمزق قلبها، بمجرد النظر إليه. لكنها عرفت رغم ذلك أنها مضطرة إلى الرحيل.

"لا، لن يعود بابا إلى المدرسة. فقط أنا. سوف أعود إلى هارفارد خلال أسبوعين".

"هارفارد؟". بدا بنجامين مصدوماً. "أنت؟ لماذا؟". لم يفهم. كيف تستطيع الذهاب إلى كلية في بوسطن؟ ثم فهم ببطء. ألقى نظرة سريعة على عينيّ والده

. ساهد كل شيء، الوحدة، الألم، الأسى الذي خلّفته هناك، لكن بدا القلق . الحزن في عينيها أيضاً.

"سوف آتي إلى المنزل بقدر ما أستطيع. وسيبقى هناك بابا وأنياس للاعتناء بكم".

"تقصدين أنك ستتركيننا؟" جلس سام منتصباً بالقرب منها، واتسعت عيناه . امتلأتا فجأة بالرعب. "إلى الأبد؟"

"لا، ليس إلى الأبد". أضافت بسرعة. "لفترة من الزمن. أستطيع العودة الى المنزل في عطل نهاية الأسبوع والأعياد". قررت إخبارهم الحقيقة. فهي دين لهم بالكثير. "البرنامج يمتد على سنتين".

"سنتان؟" بدأ سام البكاء، ولم يلفظ أحد بأية كلمة فيما حاولت هي وضع ذراعيها حوله. لكنه ابتعد وركض إلى وسط الغرفة نحو والده. "سوف تذهبين بعيداً وتتركيننا؟ لماذا؟ ألا تحبينا بعد الآن؟" نهضت وامتدت للإمساك به، لكنه لم يشأ ذلك، وظهرت الدموع جلياً في عينيها أيضاً. توقعت أن يكون الأمر قاسياً، ولكن ليس هكذا، وشعرت فجأة بالأسى للألم الذي تسببه لهم جميعاً، لكنها علمت رغم ذلك أنها مجبرة على فعل ذلك، لصالحها.

"طبعاً، أحبك، سام... كلكم... لكني مضطرة للقيام بذلك... لصالحي..". حاولت أن تشرح، لكنه لم يستطع سماعها عبر تنهداته. ركض إلى ميل وتشبث بها، فيما بدأت هي أيضاً بالبكاء. تشبثت بشقيقها الصغير كما لو أنهما على وشك الغرق، ونظرت إلى أمها بعينين معاتبتين.

"لماذا، أمي؟" إنهما الكلمتان الأكثر إيلاماً اللتان سمعتهما في حياتها، ونظرت إلى أوليفر بحثاً عن المساعدة، لكنه لم يقل أي شيء الآن. كان قلبه ينفطر على أولاده.

"يصعب شرح ذلك. إنه شيء أردت القيام به منذ وقت طويل".

"هل المشكلة بينك وبين أبي؟" سألت مليسا عبر دموعها فيما كانت تتشبث بسام. "هل تريدان الطلاق؟"

"لا، لسنا كذلك. لن يتغير أي شيء. أحتاج فقط إلى الابتعاد قليلاً، لإنجاز شيء لنفسي، لأكون شخصاً مستقلاً من دونكم جميعاً". لم تخبرهم بأنهم يجرونها إلى الحضيض، وبأنهم منعوها من ابتكار أي شيء وحدها. سيكون ذلك غير عادل لهم، لكن هذه هي الحقيقة. من السهل ملاحظة ذلك الآن. كان أوليفر محقاً نوعاً ما، لطالما كان كذلك، لكنها عرفت أنها محقة أيضاً. عليهم الصمود، وسوف تعود إليهم بعد أن تصبح شخصاً أفضل. إذا بقيت هنا، سوف تموت. كانت واثقة من ذلك.

"ألا تستطيعين الذهاب إلى كلية هنا؟" سألها بنجامين بهدوء. بدا مصدوماً أيضاً. لكنه كان كبيراً على البكاء. اكتفى بالنظر إليها، كما لو أنه يريد أن يفهم، وهو أكيد من وجود سبب آخر وراء كل ذلك. إنهما يطلقان ربما لكنهما لا يريدان إخبار الأولاد. لكن في هذه الحال، لماذا لا تأخذ الأولاد معها؟ هذا غير منطقي. أدرك فقط أن عائلتهم تنهار، وهو ليس واثقاً من السبب. لكنه أراد التصديق أنها تملك أسباباً جيدة لذلك. كان يحبها كثيراً. أراد أن يفهم حجتها، لكنه لم يستطع.

"لا أظن أني أستطيع إنجاز أي شيء هنا، بنجامين. هارفارد هي المكان المناسب لي". ابتسمت بحزن، وشعرت أن تنهدات سام تمزق أحشاءها مثل الألم الجسدي، لكنها لم تجرؤ على الاقتراب منه. فكلما حاولت القيام بذلك، كان يهرب منها. وكان أوليفر يبقي نفسه بعيداً عنه أيضا. "سوف نلتقي ببعضنا هناك في الخريف ربما".

"سيكون ذلك جميلاً". ابتسم بنجامين لها. كان دوماً يؤمن فيها، وفي الأشياء التي تقوم بها، لكنه كان مصعوقاً من الخبر. شعر وكأن حياته بكاملها تمزقت في لحظة واحدة. فهو لم يتخيل أبداً أن يذهب أحد أهله إلى مكان آخر. هما هنا للبقاء... أو ربما لا في النهاية. لكنه لم يفكر أبداً أنها هي التي قد تذهب. بالكاد استطاع التفكير فيما جلس في كرسيه محاولا تهدئة نفسه، وراقب أوليفر في زاوية الغرفة. نهض من ثم ونظر إلى والده وسأله ببساطة: "أبي، ما رأيك في هذا؟"

"إنه قرار أمك، بنيّ. لا نستطيع اعتراض طريقها. وهي لم تترك لنا أي خيار. إنها تعتقد أنها تنجز الشيء الصحيح، وعلينا بذل ما بوسعنا وتقديم الدعم لها". نظر بعدها إلى عينيّ سارة، ورأى أن شيئاً تغير بالنسبة إليه. فقد سببت الأذى لأولاده الآن، وليس له وحده، وهو لن ينسى ذلك. لكنه عرف أيضاً أنه سيحبها دوماً. "سوف نشتاق إليك، ساري". تم نسيان جمال ليلة العيد في الوقت الحاضر، وكذلك الضحك والتقاليد والهدايا. كانت هذه أصعب ليلة في حياتهم، لكن كان يمكن أن تكون أسوأ. فكان من المحتمل أن يحدث شيء لأحدهم. أما هذا فمؤقت، أو هكذا قالت. سنتان. بدا الأمر مثل دهر بالنسبة إليهم، فيما حاولت سارة الاقتراب من ميل وسام مجدداً. بكى سام أكثر فأكثر، فيما رفعت ميل يدها لإبقاء أمها بعيداً ونظرت إلى أهلها بغضب شديد.

"أظن أنك تكذبين علينا. أظن أنك تتركيننا للأبد، ولا تملكين الجرأة لقول ذلك. لكن إذا كنت كذلك، لماذا لا تأخذينا معك؟"

وماذا ستفعلون في كامبريدج؟ تخسرون كل أصدقائكم هنا؟ تذهبون إلى مدرسة جديدة؟ تعيشون في شقة بالغة الصغر فيما أنا أكتب الفروض وأدرس للامتحانات؟ أصبح بنجامين في سنته الأخيرة، وما زال أمامك أنت سنتان. هل تريدين فعلاً إحداث الفوضى في كل ذلك؟ وأنا لا أستطيع الاعتناء بكم فيما أذهب إلى الكلية. ستكونون أفضل حالاً هنا مع بابا وآجي، في منزلكم، تذهبون إلى مدرسة تحبونها، مع أصدقاء تعرفونهم منذ أعوام، في بيئة مألوفة".

"أنت تتخلين عنا". امتلأت عينا ميل بالغضب والألم، ولم تتضاءل تنهدات سام البتة. التفتت ميل إلى والدها. "لا شك في أنك قمت بشيء فظيع لها لجعلها تتخلى عنا بهذه الطريقة". كرهتهما معاً وعرفت أنها ستفعل ذلك دوماً. إلى الأبد.

سارعت سارة إلى الدفاع. "ليس هذا صحيحاً، ميل. فلا علاقة أبداً لوالدك بالموضوع".

"لا يذهب الناس هكذا إلى المدرسة. ليس الكبار على الأقل. لا بد أنك

تكرهيننا كثيراً لتذهبي". ازدادت تنهدات سام كثيراً، ووقفت ميل وأمسكته بذراعيها. التفت لينظر إلى أمه مجدداً، وكان وجهه مليئاً بالدموع، لكنها لم تقم بأية خطوة في اتجاهه هذه المرة. فهو لم يعد لها. لقد أصبح لهم الآن.

بالكاد استطاع سام التكلم بين تنهداته. "هل... هل... هذا صحيح؟ هل... هل... تكرهيننا، أمي؟" انفطر قلبها للفكرة وانهمرت الدموع على وجنتيها فيما هزت رأسها.

"لا، أبداً. أحبكم من كل قلبي...كلكم والبابا أيضاً". كانت تبكي الآن، وابتعد أوليفر عنهم جميعاً فيما وقفوا بصمت يراقبون بعضهم البعض، ولا يعرفون ما يجب القيام به. لقد تحطمت عائلتهم دفعة واحدة. مشى بعدها بهدوء في اتجاه ميل وأخذ سام بين ذراعيه. تشبث به سام مثلما فعل قبل أعوام عدة، حين كان طفلاً.

"سيكون كل شيء على ما يرام، بنيّ... سوف نكون بخير". انحنى وحاول تقبيل ميل، لكنها ابتعدت عنه وركضت إلى غرفتها، وسمعا بعد برهة الباب وهو يغلق بقوة. صعد بعدها أوليفر السلم ببطء مع سام، وبقيت سارة وحدها مع بنجامين. نظر إليها، فيما لا يزال مصدوماً، غير قادر على تصديق ما سمعه، رغم أنه يعرف أن هذا صحيح.

"أمي... لماذا؟"

كان كبيراً كفاية للتحدث إليه بصراحة، ولطالما فعلت ذلك. "لست أكيدة من أني أعرف... أعرف فقط أني لا أستطيع فعل ذلك بعد الآن، ويبدو هذا صحيحاً. هذا كل ما أعرفه. أريد أن أكون أكثر من ذلك. أكثر من شخص يقود السيارة وينتظر سام للعودة إلى المنزل من المدرسة". لاحظ سام لوهلة كأنها تكره أن تكون أمهم.

"لكن ألا يمكنك الانتظار؟" فقد فعلت الأمهات الأخريات ذلك.

"ليس طويلاً كفاية. عليّ فعل ذلك الآن. مسحت أنفها، لكن الدموع لم تتوقف. من المريع إيذاؤهم، لكن من دون أن يقصدوا ذلك، كانوا يسببون لها

الأذى أيضاً. لقد فعلوا ذلك لسنوات، وكذلك فعل أولي.

أومأ بنجامين برأسه، متمنياً لو أنه فهم. كان يحبها ويتمنى لها الأفضل، لكنه ظن في قرارة نفسه أن هذا أمر فظيع. فهو لا يستطيع تخيل ترك ولد. لم يظن أبداً أنها ستفعل شيئاً كهذا. لكنها فعلت، وكانت، وقد تغير كل شيء الآن. ماذا بقي؟ لا شيء. مجموعة من الأولاد. والد عمل طوال الوقت. وامرأة مستأجرة لتطهو لهم. فجأة، لم يعد باستطاعته انتظار قدوم الخريف. سوف يذهب قبلاً إذا استطاع. فهو لم يعد يملك أية عائلة. مجرد مجموعة من الأشخاص عاش معهم. كان الأمر وكأنها ماتت، وإنما أسوأ، لأنه كان بإمكانها البقاء لو أرادت ذلك. والواقع أن معرفة عدم رغبتها في ذلك هي التي كانت تؤذيه فعلاً. كل ذلك الكلام عن مدى اهتمامها به. لو كانت تهتم به فعلاً، لبقيت، لكنها سترحل. هذا يلخص كل شيء. نظر إلى قدميه، ومن ثم إليها مجدداً، وشعر بالذنب بسبب أفكاره، وأراد الخروج من المنزل بأسرع ما يمكن. لطالما آمن فيها، حتى أكثر مما آمن في والده، وها هي فجأة تتخلى عنهم جميعاً. هكذا. هو، وميل، وسام، وحتى والده. شعر بالأسى حياله، لكن لم يكن هناك أي شيء يستطيع القيام به لتغيير الأمر.

"آسف لسؤالك الآن... أتساءل ما إذا... هل تظنين أن والدي يمانع إذا أخذت السيارة لبرهة؟"

هزّت رأسها، متسائلة عما يفكر فيه فعلاً. فقد كان على الدوام الشخص الأقرب إليها. "أنا واثقة من أنه لا توجد مشكلة". بدا فجأة وكأنها لم تعد تملك أية سلطة. أعادت مفاتيحها. كان هذا تلميحاً إلى ما ستكون إليه العودة في عطل نهاية الأسبوع. لن يكونوا معتادين على وجودها، ولن تملك أية سلطة عليهم بعد الآن. لن يكون الأمر سهلاً، مهما فعلت. "هل أنت على ما يرام؟". كانت قلقة بشأنه. عرفت أنه حتى لو لم يقل الكثير، كان يشعر بالأسى. فهو لا يزال في السابعة عشرة من عمره على أية حال. لا تريده أن يخرج ويتلهى ويحاول من ثم العودة إلى المنزل، أو يقوم بشيء آخر وحشي. "إلى أين تذهب

في هذه الساعة؟". كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة ليلة العيد، ولا تحبذ فكرة تواجده على الطرقات.

"للقاء صديق. سوف أعود بعد قليل".

"حسناً". أومأت برأسها والتفت ليذهب، لكنها امتدت فجأة صوبه وأمسكت يده. "أحبك... أرجوك تذكر دوماً ذلك..." كانت تبكي مجدداً وأراد أن يقول لها شيئاً، لكنه لم يفعل. فقد سببت له الكثير من الأذى، أو بالأحرى لهم جميعاً. وكل ما استطاع القيام به هو الإيماء، والتوجه إلى الباب الأمامي فيما أمسك معطفه. وبعد برهة، كان قد رحل. ارتعد جسمها حين أغلق الباب الأمامي، وصعدت بعدها السلم ببطء متوجهة إلى غرفة نومها. سمعت التنهدات صادرة من غرفة ميل، وكان الباب مقفلاً حين حاولت فتحه. لن تجيبها ميل، ولم يكن هناك أي صوت من غرفة سام، لكنها لم تجرؤ على الذهاب وإيقاظه. ذهبت إلى غرفتها وجلست على السرير. كانت تشعر وكأن شاحنة صدمتها. وبعد ساعة، دخل أوليفر أخيراً. وجدها مستلقية على السرير، تحدق في الحائط، والدموع تملأ عينيها.

"كيف هو؟" لم تذهب حتى إليه. لقد أصبح الآن ملك أوليفر، ولم يعد ملكها. لقد أصبحوا جميعاً كذلك. أدركت حينها أنه يجدر بها الرحيل بأسرع وقت ممكن. سيكون ذلك ربما أسهل عليهم جميعاً، بعد أن علموا الآن بأنها سترحل.

"إنه نائم". جلس أوليفر في كرسي مع تنهد مرهق. كان يوماً طويلاً، وليلة لامتناهية، ولم يعد يريد التصرف معها بأمانة بعد الآن. إنها تحطم حياتهم لتحقيق ما تريده. كانت أمه محقة. لكن الوقت فات الآن. أصبحوا عالقين، وإذا أراد من أولاده الصمود، عليه البدء بالسباحة بسرعة. فقد تبللت قدماه اللتو مع سام، ولا يزال عليه القلق بشأن ميل، وكذلك بنجامين. لقد شاهد النظرة في عينيّ الصبي. فرغم أنه في السابعة عشر، تأثر جداً بما فعلته سارة. "لا أعرف إذا كان أي منهم يستطيع الخروج من هذه المحنة".

"لا تقل أشياء كهذه. أشعر بالكثير من السوء".

"ربما لا. فلو تشعرين ربما بسوء كبير، لما فعلت ذلك. لن يثقوا بعد الآن

أي شخص على الإطلاق، أو على الأقل أنا. فإذا تخلت عنهم أمهم، ماذا رض بهم أن يتوقعوا من بقية العالم؟ ماذا سيفعل هذا بهم برأيك، هل جعلهم أناساً أفضل؟ اللعنة، لا. سيكونون محظوظين إذا تخطوا الأزمة. ف نكون جميعاً كذلك".

"ماذا لو توفيت؟"

"لكان ذلك أسهل عليهم. فلن يكون ذلك على الأقل خيارك أنت، رغم أن هذا يجعل الأولاد يشعرون بالنبذ".

"شكراً جزيلاً. أنت تقول لي إذاً أني الشخص السيء، أليس كذلك؟" كانت اضبة مجدداً. كان يحاول صفعها بالذنب، وهي تشعر أصلاً بالذنب.

"ربما أقول لك هذا يا سارة. ربما أنت كذلك. ربما أنت امرأة أنانية حقيقية، ولا تكترثين بأي منا. هذا ممكن، أليس كذلك؟"

"ربما. هل تقول لي إنك لا تريدني أن أعود؟"

"لا تنسبي إليّ ما لم أقله". المشكلة أنه يريد ذلك مهما فعلت له وللأولاد، لكنه يكرهها الآن لما فعلته بهم لتوها. فقد تشبث سام به مثل ولد غريق، وكان فعلاً كذلك. سوف يشعر بالأذى لوقت طويل طويل، وكان يقصد أوليفر كل كلمة قالها. فقد تساءل ما إذا كانوا سيتأثرون جميعاً بذلك طوال الحياة. لا شك في أن سام سيفعل، خصوصاً إذا لم تعد للإقامة، وهذا أمر يدرك أوليفر أنه محتمل تماماً، رغم أنها تنكر ذلك الآن. لكن الأمور ستتغير معها حين تصبح في هارفارد مجدداً. سيكون هناك أشخاص آخرون في حياتها، وسيكون أوليفر والأولاد بعيدين عنها. لا توجد ضمانات في الوقت الحاضر، لكليهما.

"أظن أنه يجدر بي الرحيل في الأيام القليلة التالية. فمن الصعب علينا جميعاً إذا بقيت هنا للأسبوعين المقبلين".

"هذا يعود لك". دخل إلى الحمام وخلع ملابسه. لم يعد يشعر فجأة أنه قريب منها. لقد مارسا الحب في الليلة الفائتة، وهي تبدو الآن له بمثابة شخص غريب. شخص غريب دخل إلى منزله وأساء معاملة الأولاد عاطفياً. "متى

ستر حلين برأيك؟" سألها حين عاد وجلس على السرير.

"بعد غد ربما. عليّ تنظيم أموري".

"يجدر بي ربما أخذ الأولاد بعيداً كي لا يشاهدونك وأنت ترحلين".

"قد تكون فكرة ملائمة". نظرت إليه بحزن، ولم يعد هناك أي شيء لقوله. لقد قالوا كل شيء، الاتهامات، الندم، الاعتذارات، التبريرات، والآن الدموع. "لم أعد أعرف ما أقوله لك بعد الآن". خصوصاً بعد الليلة، بعد مشاهدة الأولاد وهم يبكون. ورغم ذلك، سوف ترحل.

"ولا أنا أيضاً". بدت لامبالية ومحطمة.

اسلتقيا بصمت في الظلام، ونجح أخيراً في النوم في الساعة الثانية فجراً. لكن سارة بقيت مستيقظة حتى الفجر إلى أن سمعت بنجامين يدخل إلى المنزل. لكنها لم تقل له أي شيء. كان ولداً جيداً وهو يعاني أوقاتاً صعبة. سيكون هذا صعباً بالنسبة إليه أيضاً. فهو لا يزال ولداً، أو هذا ما تظنه.

أصبح رجلاً تلك الليلة، وكانت تجربة غريبة وجميلة بالنسبة إليه. فقد كان أهل ساندرا خارج المنزل، ومارس الحب معها للمرة الأولى. بدا وكأنه حصل على امرأة خاصة به بدل تلك التي فقدها في بداية المساء. كانت ليلة غريبة، مرة وحلوة، بالنسبة إليه، وتحدثا بعد ذلك طويلاً خلال الليل، عما يحدث في المنزل وعن شعوره حيال ذلك. يستطيع التحدث إلى ساندرا مثلما لا يستطيع مع أي شخص آخر، ثم مارسا الحب مجدداً وعاد أخيراً إلى المنزل، إلى سريره، للتفكير في الحب الجديد الذي لديه، وما يعنيه له، والأم التي خسرها. بدا ذلك أقل رعباً بالنسبة إليه بسبب ساندرا.

استلقت سارة تصغي إلى أصوات المنزل فيما الجميع نيام، وتمنت لو تكون واحدة منهم. لكنها لم تعد واحدة منهم. بدا وكأنها شخص آخر، والشيء الوحيد الذي بقي لديها هو المضي قدماً في حياتها الجديدة الآن. كانت لا تزال متحمسة بشأن ذلك، رغم الكلفة التي سببتها في القلوب والأرواح. وفيما ناموا جميعاً، نهضت وبدأت توضب أغراضها. وضبت كل ما تريده في ثلاث

حقائب. وحين نهض أوليفر في الصباح، كانت قد انتهت. استحمت وارتدت ثيابها وحجزت مقعداً في الطائرة. كما اتصلت بفندق في كامبريدج حيث مكثت آخر مرة. وقد اتخذت قرارها بالرحيل هذا المساء على أبعد حد.

"إلى أين تذهبين في هذه الساعة؟" بدا أوليفر متفاجئاً لرؤيتها مرتدية ثيابها حين نهض، وشعر ان الكثير من الأمور حصلت فيما كان نائماً.

"ليس إلى أي مكان. سوف أغادر الليلة. سوف أخبر الأولاد حين ينهضون. لا يمكن أن يغضبوا أكثر مما هم حالياً. لماذا لا تأخذهم إلى مكان ما لاستنشاق الهواء؟"

"سوف أحاول. سوف أرى ما الذي أستطيع فعله". استحم وبدّل ثيابه وأجرى بعض الاتصالات. وعند الفطور، أخبرا الأولاد أن سارة ستغادر في وقت أسرع مما كان مخططاً، وأنه سيأخذهم لممارسة التزلج في فيرمونت. وطلب من أنياس توضيب أغراض سام، وبدا بنجامين لوهلة أنه رافض للفكرة. قال إن لديه بعض الأشياء التي عليه القيام بها للمدرسة في بقية العطلة.

"خلال عطلة العيد؟" بدا أوليفر مشككاً وتساءل ما إذا كان الموضوع فتاة.

"كم من الوقت سنغيب؟"

"ثلاثة أو أربعة أيام". مدة طويلة كفاية لصرف انتباه الجميع إذا كان هذا ممكناً، ومن ثم العودة إلى الكآبة التي ستخيم على المنزل بعد رحيلها. والواقع أن الكآبة باتت موجودة أصلاً. بدوا مصدومين جميعاً حين قالت إنها ستغادر هذا اليوم، لكنهم كانوا لا يزالون مخدرين من ألم ليلة البارحة بحيث أن شيئاً لم يفاجئهم الآن، واكتفوا بهز رؤوسهم فوق الفطور الذي لم يلمسوه تقريباً. بدا بنجامين متعباً ولم يقل الكثير، وتناول القليل من الطعام. أما مليسا فلم تتحدث إلى أحد، وكان سام ينظر باستمرار إلى والده، كما لو أنه يريد التأكد من أنه ما زال هنا ولم يتركهم.

وفي النهاية، وافق بنجامين على الذهاب معهم إلى فيرمونت وقرروا مغادرة المنزل في الساعة الرابعة، قبل أن تغادر سارة إلى المطار. كان الوداع مريعاً، وكان سام يبكي مجدداً حين تركها. وقفت أنياس في الباب، جامدة وفزعة. حتى

بنجامين امتلأت عيناه بالدموع هذه المرة. أما سارة فلم تستطع الكلام وكان أوليفر يبكي علناً حين أخذهم بعيداً. نظر في المرآة مرة واحدة فقط، وشعر أن قلبه يتحطم فعلياً حين شاهدها واقفة هناك أمام المنزل وتلوح بذراعها للمرة الأخيرة. لقد انتهت كل حياته في لحظة واحدة، وخسر المرأة التي أحبها وكل شيء أسسه. واعتبر أن الأمر لن يؤذي الأولاد إذا شاهدوه يبكي. فهو يتألم تماماً بقدرهم، وحين نظر إلى سام، ابتسم له عبر دموعه وجعل الصبي يقترب منه.

'هيا، يا بطل، سوف نكون على ما يرام، أنت تعرف. وستكون الماما كذلك". بقيت الدموع تتلألأ في عينيه فيما حاول الابتسام لسام والولدين الباقيين.

"هل سنراها مجدداً؟' كان هذا تماماً ما يخشاه أولي. لم يعد سام يثق في أي شيء وأي شخص بعد الآن، لكن أولي لم يعد واثقاً من أنه كذلك، ومن يستطيع لومه؟

"طبعاً سنراها'. وفي أحد هذه الأيام، لن نشعر بهذا السوء. إن الأمر مؤلم جداً في الوقت الحاضر، أليس كذلك؟" ارتعش صوته مجدداً، ومسح بنجامين أنفه في المقعد الخلفي. كانت ميل تبكي أيضاً، لكنها كانت تائهة في أفكارها، ولم تقل أي شيء لأي منهم منذ بداية ذلك الصباح.

سيكون من الغريب أن يصبح هو أمهم وأبيهم، ومن الغريب أن يقوم هو بأشياء قامت هي بها... مثل أخذهم إلى الطبيب.... وطبيب تقويم الأسنان... وشراء الأحذية لسام... متى سيجد الوقت لكل ذلك؟ كيف سيتدبر الأمر من دونها؟ لكن الأهم من ذلك، كيف سيعيش من دون المرأة التي أحبها، من دون يدها وحياتها وحنانها وضحكتها؟ كانت رحلة طويلة إلى فيرمونت ولم يتفوه أحد بكلمة إلى أن وصلوا إلى ماساتشوستس وتوقفوا لتناول العشاء.

كانت سارة قد وصلت إلى بوسطن، وهي في طريقها إلى كامبريدج للشروع في حياة جديدة. الحياة التي أرادتها هي من دونهم.

الفصل الخامس

في النهاية، كان التزلج ممتعاً، وبعد الأيام القليلة الأولى عادوا جميعاً إلى الحياة مجدداً، وإن اعتمد بعضهم وتيرة أبطأ من الآخرين. كان سام يعاني من الكوابيس في الليل، وأصبح يبكي بسهولة الآن، لكنه كان يضحك أيضاً ويمضي وقتاً رائعاً في التزلج مع والده. أما بنجامين فاشترك في سباق للتزلج قبل عودتهم إلى المنزل. لكن إذا لم يكن يمارس التزلج، كان يتصل بأصدقائه كما لو أنهم الوحيدون الذين يملكون الحلول لكل مشاكله. وحدها ميل بقيت منطوية، تمارس التزلج من دون حماس وتتجنب البقية. كانت الأنثى الوحيدة في ضبابهم الآن، وحاول أوليفر تعزيز معنوياتها على الدوام، لكنها لم تسمح له حتى بالاقتراب منها. بدت أنها لا تملك أي شيء لقوله لهم، وكان سام الشخص الوحيد الذي تتحدث إليه، رغم أنها كانت هادئة معه على نحو مؤلم.

بقي أوليفر مهتماً بهم جميعاً، يستأجر لهم معدات وأحذية التزلج، يحمّل السيارة ويفرغها، يعدّ وجبات الطعام، يأخذ سام إلى السرير، ويبقي عيناً على ميل، ويتأكد من أن الجميع يرتدون الثياب كما يجب، بحيث يجد نفسه مرهقاً جداً بحلول الساعة الثامنة مساء. فبالكاد كان ينجح في إنهاء وجبة العشاء معهم ليخلد من ثم إلى السرير مع سام. لقد قرر مشاركة غرفة معه، في حال شعر الولد بالكثير من الوحدة. وقد بوّل سام مرتين في السرير، ما أبقى أوليفر مشغولاً حتى في الليل، يغير الشراشف، ويقلب الفراش، ويبحث عن شراشف جديدة. كان جلياً أن سام يشعر بكآبة كبيرة، تماماً مثلهم جميعاً، لكن أولي كان مشغولاً جداً بهم لدرجة أنه كان بالكاد يجد الوقت للتفكير في سارة. فقد كان يشعر بالألم في قلبه خلال المساء حين يستلقي في السرير، وحين يستيقظ في الصباح، كان ألم ذاكرتها يثقل صدره مثل وزن جبل. بدا الأمر قليلاً وكأنها

ماتت، لدرجة أن أولي لم يلفظ اسمها إلا في اليوم الثالث على وجودهم في فيرمونت. قال شيئاً عن "الماما" وأحنوا جميعاً رؤوسهم وكشف كل واحد منهم عن دليل واضح على الألم، فشعر فوراً بالأسف لأنه قال ذلك.

عادوا إلى المنزل يوم رأس السنة، وكانوا جميعاً في حال أفضل وبدوا بصحة سليمة على نحو مذهل. لكن حين وصلوا إلى المنزل، أصابتهم الكآبة مجدداً. فقد كان المنزل هادئاً جداً، والكلب نائماً، وحتى آجي كانت خارج المنزل. أدرك أوليفر أنهم أملوا جميعاً في سرّهم في أن تكون سارة بانتظارهم، لكنها لم تفعل. لقد رحلت، ورغم أن أوليفر كان يملك رقم هاتفها في الفندق في كامبريدج، لم يتصل بها. أخذ سام إلى السرير بعد أن ساعدته ميل في إعداد العشاء. أما بنجامين فخرج. ظهر في المطبخ وهو يرتدي ثياباً ملائمة للقاء فتاته، فيما جلس الآخرون على المائدة.

"بهذه السرعة؟" ابتسم أولي. فلم يفرغ أحد منهم محتوى حقائبه بعد. "لا بد أن يكون شخصاً مميزاً".

ابتسم بنجامين لوالده من دون تعليق. "مجرد صديق. هل أستطيع أخذ السيارة، أبي؟"

"لا تتأخر في العودة إلى المنزل، بنيّ. وكن حذراً. سيكون هناك الكثير من الثملين على الطرقات اليوم". وتساءل أوليفر متى ستعود إلى المنزل في عطلة نهاية الأسبوع. فقد رحلت منذ ستة أيام فقط، وبدا ذلك مثل دهر من الزمن.

كان غريباً أن يخلد وحده إلى السرير تلك الليلة، واستلقى في السرير يفكر فيها، تماماً مثلما فعل طوال الأسبوع، محاولاً الادعاء لنفسه أنه لا يفكر فيها فعلياً. وفي منتصف الليل، أشعل الضوء وحاول قراءة بعض الأوراق التي أحضرها معه من المكتب. كان مديره طيباً معه حين منحه فرصة طوال الأسبوع، وقد أصبح الآن في حال أفضل، ولكن ليس جيداً كثيراً. كان لا يزال مستيقظاً حين عاد بنجامين إلى المنزل في الواحدة فجراً وتوقف في الممشى

ليقول عمت مساء. فقد ترك أوليفر باب الغرفة مفتوحاً ليتمكن من سماع سام، نظر إليه بنجامين بحزن حين وضع مفاتيح السيارة على الطاولة.

"لا بد أن يكون ذلك قاسياً عليك، أبي... أقصد... مع رحيل أمي".

هزّ أوليفر رأسه. فلا يملك الكثير لقوله له. كان ذلك صعباً عليهم جميعاً. اظن أننا سنعتاد على الأمر، وستعود إلى المنزل سريعاً". لكنه بدا غير مقتنع، هزّ بنجامين رأسه. "هل أمضيت وقتاً جيداً الليلة؟ إنه وقت متأخر للعودة إلى المنزل في هذه الساعة عشية المدرسة".

"نعم... لم أنتبه إلى الوقت... عذراً أبي". ابتسم وقال تصبح على خير. بعد مرور ساعة تقريباً، سمع أوليفر سام يبكي وأسرع إلى غرفته. كان الولد لا يزال نائماً. كان شعره الداكن رطباً، وعاد إلى الهدوء مجدداً. لكن في الرابعة فجراً، شعر أوليفر أنه أتى إلى سريره واستلقى بالقرب منه. نام الولد بالقرب منه، وفكر أوليفر في إعادته إلى غرفته، لكنه في الواقع كان شاكراً لوجوده قربه، فقلب ظهره وعاد إلى النوم مجدداً. نام الولد والابن بسلام حتى الصباح.

في فطور اليوم التالي، كانت هناك الفوضى الاعتيادية. فقد كانت آجي تعدّ كعك الحليب واللحم المقدد للجميع، وكانت هذه عادة وجبة عطلة نهاية الأسبوع ومخصصة فقط للمناسبات الخاصة. بدا وكأنها عرفت أنهم يحتاجون إلى شيء خاص الآن، ولذلك وضّبت غداء إضافياً لذيذاً لسام. سوف تأخذه هي إلى الباص الآن، وغادر أوليفر للحاق بالقطار وهو يشعر بالعجلة وسوء التنظيم، علماً أن هذا ليس من عاداته. كان مشغولاً في ترك تعليمات للجميع، ذكّر الجميع بضرورة العودة إلى المنزل في الوقت المحدَّد والشروع في فروضهم المنزلية. هذا ما كانت تفعله سارة، أليس كذلك؟ أم لا؟ بدا كل شيء على ما يرام حين كانت هنا، وكان يشعر بالسيطرة والسعادة حين يغادر إلى المكتب. وحين وصل إلى المكتب، استقبلته كومة من التقارير الخاصة بالمشاريع المعلّقة طوال الأسبوع. لم يستطع ترك المكتب قبل السابعة مساء

تلك الليلة، وكانت الساعة قد شارفت التاسعة حين وصل إلى المنزل. كان بنجامين خارجاً مجدداً، فيما ميل تتحدث على الهاتف مع أصدقائها، ويشاهد سام التلفزيون في سرير والده علماً أنه نسي إنجاز فروضه المنزلية ولم تلحّ آجي عليه. قالت لأوليفر إنها لا تريد إزعاجه.

"هل أستطيع أن أنام معك، أبي؟"

"ألا تظن أنه يجدر بك النوم في سريرك الخاص، بنيّ؟" كان يخشى أن تصبح هذه عادة ليلية.

"فقط الليلة؟... أرجوك... أعدك، سأكون طيباً".

ابتسم له أوليفر وانحنى لتقبيل رأسه. "سأكون سعيداً أكثر لو أنجزت فروضك المنزلية".

"نسيت".

"على ما يبدو". خلع معطفه وفك ربطة عنقه، ووضع حقيبته قرب المكتب، وجلس على السرير بالقرب من سام، متسائلاً ما إذا كانت سارة قد اتصلت، من دون أن يجرؤ على سؤاله. "ماذا فعلت اليوم؟"

"لا شيء مهم. سمحت لي آجي بمشاهدة التلفزيون حين عدت إلى المنزل". عرف كلاهما أن سارة لم تكن لتسمح له أبداً بذلك. تتغير الأمور بسرعة من دونها، على الأقل بالنسبة إلى أولي.

"أين هو بنجامين؟"

"خرج". بدا سام غير مهتم.

"هذا ما اعتقدته". وعليه معالجة هذا الأمر أيضاً. فمن غير المسموح لبنجامين الخروج ليلاً خلال الأسبوع، حتى لو كان في سنته المدرسية الأخيرة. فهو في السابعة عشرة فقط، ولن يسمح له أولي بالتصرف بهمجية في غياب سارة. "أقول لك أمراً أيها البطل. سأدعك تنام هنا الليلة، لكن فقط الليلة. عليك العودة غداً إلى سريرك. اتفقنا؟"

"اتفقنا". تصافحا فيما كشف الولد عن ابتسامة عريضة وأطفأ أوليفر الضوء.

"سوف أنزل إلى الأسفل لأتناول شيئاً ما. حاول النوم".

"عمت مساء أبي". بدا سعيداً حين استلقى في السرير الكبير، مستولياً على النصف الذي كان مخصصاً لسارة.

"تم جيداً..." وقف أوليفر ينظر إليه من الممشى. "أحبك". همس الكلمات، وذهب من ثم للتحقق من ميل. كانت قد سحبت الهاتف إلى غرفتها، وعمّت الفوضى في كل مكان، الثياب، الكتب، الأحذية، المزلاج. كان مستغرباً أن تستطيع الدخول إلى الغرفة أصلاً، ووجهت إلى والدها نظرة فضولية فيما انتظرها هو لتنهي مكالمتها. لكنها اكتفت بتغطية السماعة بيدها.

"هل تريد شيئاً، أبي؟"

"نعم. من الجيد ربما القول مرحبا والحصول على قبلة. هل أنجزت فروضك المنزلية؟"

"مرحبا. ونعم، أنجزتها". بدت منزعجة لمجرد توجيه السؤال إليها.

"هل تريدين الجلوس معي فيما أتناول العشاء؟" ترددت، ومن ثم أومأت برأسها، لكنها لم تكن أبداً مسرورة جداً. فهي تفضل البقاء على الهاتف مع صديقها، لكن والدها جعل المسألة تبدو وكأنها أمر إلزامي. والحقيقة هي أنه لا يريد تناول الأكل وحده، وكانت هي المرشحة الوحيدة في المنزل، غير آجي.

"حسناً. سأنزل على الفور". خرج من الغرفة ونزل إلى الأسفل ليجد العشاء الذي تركته له آجي. كانت قد لفّت الطبق بورق الألمنيوم وتركته في الفرن ليبقى ساخناً، لكن حين رفع الغطاء عن الطبق، اكتشف أنه لا يوجد الكثير مما يريده. فقد كانت شرائح الغنم مطهوة بإفراط، فيما البطاطا المشوية قاسية جداً والبركولي ذابل منذ ساعات. حتى الرائحة لم ترق له، فرمى كل شيء وأعد البيض المقلي لنفسه مع عصير البرتقال الطازج، متنظراً أن تنضم إليه ميل. استسلم في النهاية وحين وصلت ميل إلى المطبخ، كان قد انتهى من الأكل.

"أين هو بنجامين؟". ظن أنها تعرف ربما، لكنها هزت كتفيها.

"مع أصدقائه، حسب ما أظن".

"في ليلة ضمن الأسبوع؟ ليس هذا ذكياً جداً". هزت كتفيها مجدداً وبدت منزعجة للمكوث مع والدها. "هل تمضين أي وقت مع سام حين تعودين إلى المنزل؟" كان قلقاً بشأن سام بالتحديد، خصوصاً وأنه يصعب عليه العودة إلى المنزل في الوقت المحدَّد. فالطفل يحتاج في الوقت الحاضر إلى شيء أكثر من آجي في حياته.

"كان لدي الكثير من الفروض المنزلية، أبي".

"لكن هذا لم يبدُ لي مثل فروض منزلية، في غرفتك".

"إنه في السرير، أليس كذلك؟"

"لم يكن في السرير حين عدت إلى المنزل. إنه يحتاج إليك الآن، ميل. جميعنا نفعل ذلك". ابتسم. "أنت سيدة المنزل بعد أن رحلت أمك". لكنها كانت مسؤولية لم ترغب فيها أبداً. أرادت أن تكون حرة للتواجد مع أصدقائها، أو على الأقل التحدث إليهم. فليست غلطتها إذا رحلت أمها. إنها غلطته هو. فلو لم يفعل ما قام به ولم تستطع سارة تحمله، لما تركتهم أبداً ربما. "أريدك أن تقضي بعض الوقت معه. تحدثي إليه. كوني معه لبعض الوقت. تحققي من فروضه المنزلية".

"لماذا؟ لديه آجي".

"ليس هذا مماثلاً. هيا، ميل، كوني لطيفة معه. لطالما عاملته مثل طفل". لا بل إنها احتضنته ليلة أخبرتهم سارة أنها راحلة. لكن الآن، بدا وكأنها لا تريد أي جزء منهم. فتماماً مثل سارة، أبعدت نفسها عنهم. وتساءل أوليفر فجأة ما إذا كان بنجامين يكشف عن ردة الفعل نفسها. فهو يبقى خارج المنزل على ما يبدو، ولا بد أن يتوقف هذا أيضاً. تمنى لو أنه يملك المزيد من الوقت معهم، لمساعدتهم في التغلب على ردات فعلهم ومشاكلهم. رنّ الهاتف فيما كان

يتحدث إليها، وبدا أنه تنهد حين سمع صوت والده عبر الهاتف. كان متعباً جداً للتحدث إليه الآن. فقد تجاوزت الساعة العاشرة مساء، وأراد الاستحمام والخلود إلى السرير مع سام. لقد كان يوماً متعباً في المكتب، فضلاً عن أن العودة إلى المنزل لم تكن أكثر سهولة أيضاً.

"مرحبا أبي، كيف حالك؟"

"أنا بخير". بدا أنه متردد وراقب أوليفر ميل وهي تهرب فيما كان يتحدث إلى والده. "لكن أمك ليست بخير".

"أوه؟ هل هي مريضة؟" للمرة الأولى، كان أوليفر متعباً جداً للشعور بالقلق.

"إنها قصة طويلة، بنيّ". تنهدّ الرجل المسنّ فيما انتظر أوليفر سماع الأخبار. "أجرت صورة للدماغ بعد الظهر".

"يا إلهي... لماذا؟"

"إنها تتصرف بارتباك... وقد تاهت الأسبوع الماضي حين كنتم في اجازة. أقصد تاهت فعلاً هذه المرة، وسقطت عن بعض درجات السلم ولوت كاحلها". شعر أوليفر فجأة بالذنب لعدم الاتصال بهما من فيرمونت، لكن كان لديه ما يكفيه أيضاً. "إنها محظوظة حسب ما أفترض. ففي عمرها، كان يمكن أن تكسر وركها أو أسوأ". لكن هذا ليس أسوأ مما أخبروه به.

"أبي، لا يجرون عادة تخطيطاً للدماغ للكاحل الملتوي. ما الأمر؟". بدا والده متسائلاً أيضاً، وكان أوليفر متعباً جداً للاستماع إلى قصة طويلة.

بدا أنه متردد مجدداً. "أبي، ما المشكلة؟"

"أحتاج فقط إلى التحدث، هذا كل ما في الأمر. وستتولى جارتنا مارغرت بورتر الاعتناء بها. لقد ساعدتنا كثيراً لأن زوجها عانى من المشاكل نفسها".

"أية مشاكل؟ عما تتحدث؟ ما الذي وجدوه؟" بدا أوليفر غير صبور عليه، وهذا أمر نادر، لكنه كان متعباً جداً وفجأة قلقاً بشدة.

"لا أورام. لا شيء من هذا القبيل. كان هذا احتمالاً بلا ريب. أنظر.... إذا كان الوقت متأخراً جداً..." لكن بدا جلياً أنه بحاجة إلى التكلم مع شخص ما، ولم يملك أوليفر الشجاعة لإخباره بعدم المجيء.

"لا بأس، أبي، تعال إلى هنا".

أعدّ إبريق القهوة وحضّر لنفسه فنجاناً، متسائلاً مرة أخرى عن مكان وجود بنجامين وموعد عودته إلى المنزل. فقد كان الوقت متأخراً جداً للتواجد خارجاً عشية يوم دراسي، وكان متشوقاً لإخباره بذلك. لكن والده وصل قبلاً، وبدا متعباً وشاحباً. لقد بدا أكبر بسنوات مما كان قبل أسبوع واحد فقط يوم الميلاد، وذكّر ذلك أوليفر مجدداً بالقلب الضعيف لوالده. تساءل ما إذا كان يجدر به القيادة وحده في الليل، لكنه لا يريد إزعاجه الآن بسؤاله.

"هيا، أبي". أمل ألا يكون جرس الباب قد أيقظ سام، فيما رافق والده إلى المطبخ الكبير والحميم. رفض والده تناول القهوة، لكنه شرب كوباً من القهوة السريعة الخالية من الكافين وأرخى نفسه ببطء في إحدى كراسي المطبخ، فيما راقبه أولي. "تبدو منهكاً". لم يكن يجدر به ربما السماح له بالمجيء، لكنه ظن أن والده يحتاج إلى التكلم، وكان محقاً. أخبر أوليفر ببطء عن نتائج صورة الدماغ.

"إنها تعاني داء ألزهايمر، بنيّ. دماغها يتقلّص على نحو ملحوظ، حسب ما تبين في الصورة. لا يستطيعون التأكد طبعاً، لكن هذا وسلوكها الأخير يؤكدان التشخيص على ما يبدو".

"هذا سخيف". لم يشأ أوليفر تصديق الأمر. "أطلب تشخيصاً آخر". لكن جورج واتسون اكتفى بهز رأسه. فهو يعرف أفضل.

"لا جدوى. أعرف أنهم محقون. أنت لا تعرف الأشياء التي أصبحت تقوم بها مؤخراً. فهي تتوه، وترتبك، وتنسى أشياء بسيطة عرفتها طوال الحياة، مثل كيفية استعمال الهاتف وأسماء الأصدقاء". امتلأت عيناه بالدموع. "لا بل إنها ترتبك أحياناً بشأن هويتي. فهي ليست واثقة ما إذا كنت أنا أنا أو

لقد نادتني باسم أوليفر خلال الأسبوع الماضي وكانت تستشيط غضباً [إذا] حاولت تصحيحها. وهي تستعمل لغة لم أسمعها أبداً منها قبلاً. أشعر [أحيا]نا بالإحراج حين أصطحبها أمام العموم. كما أنها نادت موظفة المصرف [التي] نشاهدها كل أسبوع بـ "الحمقاء التافهة" ذات مرة. كادت المرأة المسكينة [ت]صاب بالإغماء'. ابتسم أوليفر رغماً عنه. لكن هذا ليس مضحكاً. هذا [حز]ن. ونظر جورج فجأة من حوله وبدا مندهشاً. 'أين هي سارة؟ في [الس]رير؟"

فكر أوليفر لبرهة في القول له إنها خرجت، لكن لا جدوى من إخفاء [ال]حقيقة عنه. فلا بد أن يكتشف الأمر يوماً ما. لكن الغريب هو أنه كان يشعر [ب]الخزي من ذلك، كما لو أنه أخفق في الحفاظ على زوجته، وكأن كل ذلك كان [ب]سببه. "لقد رحلت، أبي".

"رحلت إلى أين؟". بدا والده منذهلاً. "رحلت إلى الخارج؟"

"لا، عادت إلى المدرسة، إلى هارفارد".

"تركتك؟" بدا جورج مندهشاً. "متى حدث ذلك؟ كانت معك يوم العيد..."

[كان] من المستحيل فهم ذلك، لكنه شاهد فجأة الحزن في عينيّ ابنه وفهم الأمر. "[أ]وه، يا إلهي أولي... أنا آسف جداً... متى حدث كل ذلك؟"

"أخبرتني بالأمر قبل ثلاثة أسابيع. تسجلت في برنامج الماجستير خلال الخريف الماضي، لكني أظن أن المسألة تتعدى ذلك. قالت إنها ستعود لكني لست واثقاً من ذلك. أظن أنها تهزأ من نفسها أكثر مما تهزأ منا. لا أعرف ما الذي يجدر به تصديقه. علينا الانتظار لمعرفة ما سيحدث".

"وكيف يتقبل الأولاد الموضوع؟"

"جيداً جداً ظاهرياً. أخذتهم لممارسة التزلج خلال الأسبوع الماضي، وكان ذلك مفيداً لنا جميعاً. لهذا السبب لم أتصل بك. لقد غادرت في اليوم الذي تلا العيد. لكني أظن في الحقيقة أننا ما زلنا في الصدمة. ميل تلقي اللوم بكل ذلك عليّ، ويعاني سام من الكوابيس كل ليلة، ويبدو أن بنجامين يعالج المسألة

من خلال التواجد مع أصدقائه ليلاً ونهاراً. لست أكيداً من أني أستطيع لومه. فلو حدث لي هذا ربما حين كنت في سنّه، لفعلت الشيء نفسه". لكن فكرة ابتعاد أمه عنهم كانت لا تحتمل بالنسبة إليهما معاً، مما أعاد أفكارهما إليها بعد الخبر المذهل الذي كشف عنه أوليفر. "ماذا ستفعل بشأن أمي؟"

"لست أكيداً مما أستطيع فعله. فقد قالوا لي إنها ستموت، وإن حالتها قد تتقهقر بسرعة كبيرة جداً. وفي النهاية، لن تتعرف إلى أي أحد، ولن تعرفني أنا". امتلأت عيناه بالدموع مجدداً، ولم يتحمل التفكير في الأمر. شعر كما لو أنه يخسرها يوماً بعد يوم، وكانت هذه الفكرة تجعله يشعر بألم أكبر من ذلك المسيطر على أوليفر بسبب فقدان سارة. لكنه ما زال شاباً كفاية، ويستطيع العثور على شخص آخر يوماً ما. أما فيليس فهي المرأة الوحيدة التي أحبها جورج، وبعد سبعة وأربعين عاماً، لا يستطيع تحمل فكرة خسارتها. أخرج منديلاً قماشياً ومسح أنفه وأخذ نفساً عميقاً ثم تابع مجدداً. "قالوا إن المسألة قد تستغرق ستة أشهر أو سنة، أو ربما أقل كثيراً، قبل أن تصبح في حالة ضياع بالكامل. إنهم لا يعرفون بالضبط. لكنهم يظنون أنه سيصعب إبقاؤها في المنزل حين يحدث ذلك. لا أعرف ما الذي يجب فعله..." ارتعش صوته وانفطر قلب أوليفر عليه. تمدد وأمسك بيده. كان يصعب التصديق أنهما يتحدثان عن أمه، المرأة التي كانت دوماً قوية وذكية، وهي الآن تنسى كل شيء عرفته وتحطم قلب والده بسبب ذلك.

"لا يمكن أن تجعل نفسك حزيناً جداً بسبب ذلك، وإلا ستمرض أنت أيضاً".

"هذا ما تقوله مارغريت. إنها الجارة التي أخبرتك عنها. لطالما كانت جيدة جداً معنا. عانى زوجها من داء ألزهايمر طوال سنوات، وتوجب عليها أخيراً وضعه في دار للرعاية. فقد تعرضت هي لنوبتين قلبيتين ولم يعد باستطاعتها الاعتناء به. بقي زوجها على هذه الحال طوال ستة أعوام إلى أن توفي في شهر أغسطس الماضي". نظر بحزن إلى ولده. "أولي... لا أستطيع تحمل فكرة خسارتها... أو عدم تذكرها أي شيء... فهذا شبيه مثل مشاهدتها وهي تختفي شيئاً

...سا، وقد أصبحت صعبة جداً الآن. لطالما كانت طيبة القلب".

"ظننت أنها كانت مضطربة قليلاً يوم العيد، لكني لم أدرك أن شيئاً من ذا القبيل يحدث. لقد كنت مشغولاً جداً في مشاكلي الخاصة حسب ما أظن. ما الذي أستطيع فعله للمساعدة؟" هذا رهيب فعلاً، فها هو يخسر زوجته وأمه، وبالكاد تتحدث إليه ابنته. ها هي النساء في حياته يختفين بسرعة، لكن عليه التفكير في والده الآن، وليس في نفسه. "ما الذي أستطيع فعله لك، أبي؟"

"تواجدك هنا فقط، حسب ما أظن". التقت عيون الرجلين وتسمّرت وشعر أوليفر بقرب من والده لم يحسّ به منذ أعوام.

"أحبك أبي". لم يعد يخجل من قول ذلك الآن، رغم أن هذه الكلمات كانت تحرج والده قبل أعوام. فحين كان أوليفر شاباً، كان والده صارماً جداً. لكنه أصبح أكثر لطافة مع السنين، وهو يحتاج إلى ابنه بشدة في الوقت الحاضر، أكثر مما يحتاج إلى أي شخص آخر.

"أنا أحبك أيضاً بنيّ". راحا يبكيان كلاهما علناً، ومسح جورج أنفه مجدداً، فيما سمع أوليفر صوت الباب الأمامي يفتح ويغلق بهدوء. التفت ليرى بنجامين يتسلق السلم بسرعة فناداه عالياً.

"ليس بهذه السرعة، أيها الشاب. أين كنت حتى الحادية عشرة والنصف ليلا عشية المدرسة؟"

التفت بنجامين وبدا متوهجاً من البرد والإحراج، ثم بدا متفاجئاً لرؤية جده يجلس هناك. 'خارجاً مع الأصدقاء... آسف أبي. لم أظن أنك تبالي. مرحبا جدي، ماذا تفعل هنا؟ هل من مشكلة؟"

"جدتك ليست على ما يرام". كان أوليفر صارماً فجأة وبدا قوياً مجدداً. بدا أن حنان والده منحه قوة جديدة، فهناك على الأقل شخص ما زال يهتم به. وكان والده بحاجة إليه، تماماً مثل الأولاد، حتى لو لم تعد سارة بحاجة إليه بعد الان. "أنت تعرف أنه لا يسمح لك الخروج عشية أيام المدرسة. إذا فعلت هذا مجدداً، سوف أحرمك من الخروج طوال أسبوعين. هل فهمت هذا أيها السيد؟"

"حسناً، حسناً... قلت لك إني آسف". هز أوليفر رأسه. بدا الولد غريباً. غير ثمل أو مخدّر، وإنما هناك شيء مختلف فيه فجأة. بدا أشبه برجل، وبدا غير راغب في النقاش. "ما المشكلة مع جدتي؟"

بدا جده غير سعيد، وأجاب أوليفر بسرعة نيابة عنه. "تعاني جدتك من بعض المشاكل".

"هل ستكون على ما يرام؟" بدا بنجامين فجأة صغيراً وخائفاً جداً. بدا وكأنه لا يستطيع تحمل فكرة خسارة شخص آخر. نظر بقلق إلى الرجلين، وربّت أوليفر على كتفه. "ستكون على ما يرام. يحتاج جدك إلى بعض الدعم، هذا كل ما في الأمر. يمكنك العثور على بعض الوقت الإضافي له ربما، بعيداً عن كل هؤلاء الأصدقاء".

"طبعاً جدي. سوف آتي وأزورك في عطلة نهاية الأسبوع". كان الصبي مولعاً به، وكان جورج واتسون مجنوناً بأحفاده. وفي بعض الأحيان، كان أوليفر يظن أنه يحبهم أكثر مما أحب ولده الوحيد. فقد أصبح الآن أكثر مرحاً وأكثر قدرة على الاستمتاع بهم.

"سوف نحب ذلك أنا وجدتك". وقف، وهو يشعر بالتعب والشيخوخة، ولامس ذراع الصبي كما لو أن هذا يعيد إليه بعض الشباب. "شكراً لكما، من الأفضل أن أعود الآن إلى المنزل. تريد السيدة بورتر العودة إلى منزلها. لقد تركت جدتك معها". مشى ببطء إلى الباب الأمامي، وتبعه بنجامين وأوليفر.

"هل ستكون على ما يرام، أبي؟" تساءل أوليفر ما إذا كان يجدر به أخذه إلى المنزل، لكن والده أصرّ على أنه يفضل استقلاليته. "إتصل بي إذاً حين تصل إلى المنزل".

"لا تكن أحمق!" قال جورج. "أنا بخير. أمك هي التي ليست بخير". لكن وجهه استعاد الهدوء مجدداً وعانق أوليفر. "شكراً لك بنيّ... على كل شيء... و... أنا آسف بشأن..." ألقى نظرة سريعة على بنجامين، وشملت نظرته الرجلين معاً. ".. بشأن سارة. إتصل إذا احتجت إلى أي شيء. وحين تصبح

أفضل، يمكن أن يأتي سام إلينا ويمضي عطلة نهاية أسبوع". لكن يبدو لن تصبح أفضل حالاً أبداً.

شاهد الرجلان جورج وهو يبتعد، وتنهد أوليفر فيما أغلق الباب الأمامي. عد هناك أي شيء بسيط. بالنسبة إلى أي كان. فمن المحزن جداً التفكير في سكلة التي تواجه أمه. التفت لينظر إلى بنجامين وتساءل عما يجري في ه ولا يريد مشاركته.

"إذاً، إلى أين تذهب هذه الأيام حين تبقى خارجاً كل هذه الساعات". نظر بحذر فيما أطفآ الأضواء وتسلقا السلم إلى الأعلى.

"مع الأصدقاء. المجموعة القديمة نفسها". لكن طريقة تحريكه لفمه أنبأت لى بأنه يكذب.

"أتمنى لو كنت تقول لي الحقيقة".

توقف بنجامين لبرهة والتفت لينظر إليه. "ما الذي يدفعك إلى قول هذا؟"

"إنها فتاة، أليس كذلك؟" كان أوليفر أذكى مما يظن، ونظر بنجامين إلى عيد مع ابتسامة غريبة كشفت كل شيء.

"ربما كذلك. ليس الأمر مهماً". لكنه كان كذلك. إنه أمر مهم جداً. قصته غرامية الأولى، وكان مجنوناً بها. كانا يمضيان كل دقيقة مع بعضهما في سرير. فقد كان أهلها خارجاً طوال الوقت. فأهلها يعملان خارج المنزل و أنهما يخرجان كثيراً، وكانت هي الولد الأخير في المنزل، ولذلك يملكان ثير من الوقت الحرّ لنفسهما ويعرفان تماماً ما يجب فعله خلال هذا الوقت. درا هي حبه الأول الكبير. إنها فتاة جميلة من مدرسته. كانا في صف كيمياء نفسه، وهو يساعدها على النجاح في المادة. كانت تخضع للمراقبة كاديمية طوال الوقت، على عكسه هو، ولم تكن تهتم كثيراً. لقد كانت مهتمة ثر فيه، وأحب هو طريقة تفاعل جسمها كلما لمسها. لقد أحب كل شيء فيها.

"لماذا لا تأتي بها إلى هنا أحياناً؟ هل تعرفها ميل أيضاً؟ أود التعرف إليها"؟

"نعم... ربما... في وقت ما... تصبح على خير أبي". اختفى بسرعة في غرفته، وابتسم أوليفر لنفسه عندما ذهب إلى غرفة نومه وشاهد سام تماماً حين بدأ الهاتف يرنّ. أسرع إلى الحمام حاملاً الهاتف، مع السلك الطويل الذي ركبته سارة لتتمكن من التكلم على الهاتف أثناء تواجدها في المغطس، وأجاب بصوت خافت. ظن أن المتصل هو والده ربما. لكن قلبه توقف. كانت سارة.

"مرحبا؟"

"هل هذا أنت؟"

"نعم". صمت طويل قبل أن يحاول استعادة قواه. "كيف حالك سارة؟"

"أنا بخير. عثرت على شقة اليوم. كيف هم الأولاد؟"

"بخير". أصغى وهو يتوق إليها، وشعر من ثم بالكره حيالها لأنها غادرت. "لم يكن الأمر سهلاً عليهم". تجاهلت الملاحظة.

"كيف كان التزلج؟"

"جيد. أمضى الأولاد وقتاً جيداً". لكن الأمر لم يكن هو نفسه من دونك.... أراد أن يقول لها الكلمات، لكنه لم يفعل. فبدل ذلك قال لها الشيء الوحيد الذي وعد نفسه بألا يقوله. "متى ستعودين إلى المنزل لقضاء عطلة نهاية الأسبوع؟"

"لقد غادرت منذ أسبوع فقط". اختفى الوعد بالعودة في عطلة كل نهاية أسبوع. عرف أن الأمر سيكون هكذا، لكنها أنكرته بشدة. وها هي الآن تبدو فجأة قاسية الفؤاد ومختلفة جداً. كان يصعب التصديق أنها بكت فعلاً معه قبل رحيلها. فهي تبدو الآن مثل معرفة عابرة، تتصل لتقول مرحبا، بدل زوجته التي عاشت معه طوال ثمانية عشر عاماً وانتقلت للتو إلى فندق قرب بوسطن. "ظننت أنه يجدر بنا منح الجميع الوقت للتكيف. فبعد الأسبوع الماضي، أظن أننا نحتاج جميعاً إلى تنفس الهواء". لهذا السبب غادرتهم أساساً، لتنفس الهواء.

"وكم سيدوم ذلك؟" كره نفسه لأنه يلحّ عليها، لكنه وجد أنه عاجز عن

ذلك. "أسبوع؟ شهر؟ سنة؟ أظن أن الأولاد يحتاجون إلى رؤيتك".

"أحتاج إلى رؤيتهم أيضاً. لكنني أظن أنه يجدر بنا الانتظار بضعة أسابيع لمنحهم فرصة للاستقرار". وماذا عني؟ أراد أن يصرخ الكلمات في وجهها، لكنه لم يفعل.

"إنهم مشتاقون إليك كثيراً". وكذلك هو.

"أنا مشتاقة إليهم أيضاً". بدت غير مرتاحة، كما لو أنها ترغب في إقفال الخط. لم تستطع تحمل ذنب التحدث إليه. "أردت فقط إعطاءك عنوان شقتي الجديدة. سوف أنتقل إليها يوم السبت، وما إن أحصل على هاتف، سوف أتصل بك".

"وفي غضون ذلك؟ ماذا لو حدث أمر طارئ مع الأولاد؟" كان مجرد ذكر ذلك يبعث فيه الذعر، لكن لديه الحق في معرفة مكان وجودها. احتاج إلى أن يعرف، ولو كان ذلك إكراماً له.

"لا أعرف. يمكنك ترك رسالة لي في الفندق. وبعد هذا، أظن أنك تستطيع إرسال برقية إلى هذا العنوان إذا اضطررت لذلك. يفترض ألا يستغرق الحصول على هاتف الكثير من الوقت".

كان الجليد في صوته لمجرد إخفاء الألم. "يبدو هذا اتفاقاً سخيفاً".

"هذا أفضل ما أستطيع القيام به. إسمع، عليّ الذهاب".

"لماذا؟ هل ينتظرك أحد ما؟" كره نفسه على قوله هذا أيضاً، لكنه شعر بغيرة قوية فيما كان يصغي إليها.

"لا تكن سخيفاً. لقد تأخر الوقت. هذا كل ما في الأمر. إسمع. أول... أنا مشتاقة إليك..." كان هذا أسوأ شيء استطاعت قوله. لا يفترض بها التواجد هناك أصلاً. لقد رحلت بملء خيارها ومزقت قلبه وأحشاءه، وهي تجرؤ الآن على القول له إنها مشتاقة إليه.

"لديك الكثير من الحقد، سارة. لا أفهم اللعبة التي تلعبينها".

"لا يوجد أية لعبة. أنت تعرف تماماً لماذا أتيت إلى هنا. أحتاج إلى فعل ذلك".

"قلت أيضاً إنك ستعودين إلى المنزل في عطلة كل نهاية أسبوع. لقد كذبت".

"لم أكذب. لكني فكرت في الأمر، ورأيت أن الأمر سيكون صعباً على الجميع. أنت، أنا والأولاد".

"هذه الإجازة السخيفة التي قررتها لنفسك صعبة أيضاً على الجميع، وماذا يفترض بي أن أفعل حين ترحلين؟ أحبس نفسي في الحمام مع مجلة بلايبوي؟"

"أولي...لا... أرجوك.... هذا صعب علينا معاً". لكنه كان خيارها، وليس خياره.

"لم أتخلّ عنك. لم أكن لأفعل هذا أبداً".

"لم يكن لديّ الخيار".

"أنت كريهة جداً. كانت أمي محقة قبل بضعة أعوام. أنت أنانية".

"دعنا لا نبدأ مجدداً. بحق الله، أولي، لقد تجاوزت الساعة منتصف الليل". وفجأة، شعرت بالفضول. "لماذا تهمس؟" توقعت أن تكون في السرير، لكن سُمع الصدى في محادثتهما.

"سام نائم في سريرنا. أنا في الحمام".

"هل هو مريض؟" بدت قلقة فجأة، وجعله ذلك غاضباً. ماذا كانت ستفعل لو كان مريضاً؟ تعود إلى المنزل؟ يجدر به القول لها ربما إن سام مريض. لكن الحقيقة كانت أسوأ.

"إنه يعاني من الكوابيس كل ليلة. كما أنه يبوّل في السرير. أراد النوم معي الليلة".

كان هناك صمت طويل فيما تصورتهما في ما كان سريرها قبل بضعة

ايام فقط، ثم تحدثت ببطء. "إنه محظوظ لوجودك قربه. إعتنِ به. سوف أتصل بك حالما أحصل على هاتف".

أراد قول المزيد لها، لكن بدا جلياً أنها لا تريد ذلك. "إعتني بنفسك". أراد ان يقول لها إنه ما زال يحبها، لكنه لم يقل أي شيء. كانت تهزأ من نفسها بشأن كل شيء، بشأن العودة إليهم، وعدم الرحيل إلى الأبد، بشأن العودة إلى المنزل في عطل نهاية الأسبوع وعطل الأعياد. لقد تركتهم، وهذه هي الحقيقة البسيطة. لقد تخلت عنهم جميعاً. والأسوأ من ذلك هو أنه كان يعلم أنه سيحبها على الدوام مهما كانت الظروف.

الفصل السادس

كانت الأسابيع الأولى من دونها صعبة. وبدا كأن فطور كل صباح بمثابة كارثة. فلم يكن البيض جيداً أبداً، وكان عصير البرتقال كثيفاً جداً، والخبز المحمص داكناً جداً أو فاتحاً جداً، وحتى قهوة أولي كانت نكهتها مختلفة بالنسبة إليه. كان الأمر سخيفاً، وهو يعرف ذلك. فآجي تطهو لهم منذ عشرة أعوام، وهم يحبونها، لكنهم اعتادوا على فطور سارة. بدا سام منتحباً طوال الوقت، وشاهده أولي أكثر من مرة وهو يرفس الكلب. أما ميل فبقيت غاضبة طوال الوقت، ولم يعد بنجامين يشاركهم حضوره. فقد خرج بدل ذلك من الباب مصرّاً على أنه لم يتناول الفطور أبداً. وفجأة بدا أن أوليفر يتجادل دوماً معهم. فقد أرادت ميل الخروج في ليلتي عطلة الأسبوع، واستمر بنجامين في العودة متأخراً إلى المنزل خلال أيام الأسبوع، زاعماً أنه يدرس مع رفاقه، وكان سام متململاً في الليل ومتشبثاً دوماً بسرير أولي، الأمر الذي كان مريحاً في البداية، لكنه بدأ يثير أعصابه بعد فترة. لقد اختفت العائلة المسالمة التي كانوا عليها.

اتصلت سارة في النهاية حين حصلت على هاتفها، بعد أسبوعين مما وعدت، ولم تأتي إلى المنزل لمشاهدتهم. ظننت أن الوقت لا يزال مبكراً، وأصبحت كل محادثاتهم الآن موجزة وجافة. بدت شبه خائفة من الأولاد، كما لو أنها تعجز عن مساندتهم. استمرت في الادعاء بأنها ستعود إليهم يوماً ما، وهي أذكى وأكثر ثقافة ونجاحاً. لكن أولي عرف الأمر بصورة أفضل. فالزواج الذي حافظ عليه طوال ثمانية عشر عاماً أصبح بين ليلة وضحاها في سلة المهملات. وقد أثر ذلك في طريقة تعامله مع كل شيء، المنزل، الأولاد، الأصدقاء، وحتى وزبائنه في المكتب. كان يغضب على الجميع، وعليها طبعاً،

وعلى نفسه أيضاً وهو مقتنع سراً، تماماً مثلما كانت ميل، بأنه ارتكب خطأ ما، وكل ذلك بسببه.

اتصل به أصدقاؤه ودعوه للخروج، وهي مسألة تجنبها ببطء حين بدأت آجي تقود سيارة سارة. فهو لا يرغب في مشاهدة أحد. كانوا فضوليين وكثيري الكلام، ويحدثون الكثير من الضجة. وفي خضم كل ذلك، كان جورج يتصل ليلاً ونهاراً، مع تقارير مرعبة عن التقهقر المريع لوالدة أولي. فقد أصبحت كثيرة النسيان في الوقت الحاضر، وتشكل خطراً على نفسها في بعض النواحي، وكان جورج متشبثاً بابنه للحصول على العزاء. لكن أولي نجح بالكاد في إبقاء حياته مستمرة. فهو يواجه صعوبة في التكيف مع الأولاد، وفكر في أخذهم إلى طبيب نفسي، لكن حين اتصل بمعلمة سام لتحدث عن الموضوع، أصرّت على أن كل ما يشعرون به طبيعي. فمن الطبيعي أن يكون سام صعباً وكثير البكاء، وأن تتدهور علاماته في المدرسة، تماماً كما هي الحال مع ميل. ومن البدهي أن تلوم والدها على غياب أمها. فقد قالت المعالجة النفسية في المدرسة إن هذا سليم أيضاً. فهي تحتاج إلى شخص ما لإلقاء اللوم عليه، بدل لوم نفسها، وكان هو كبش محرقة ملائماً. ومن الطبيعي أيضاً أن يبحث بنجامين عن الملاذ بين أصدقائه للهروب من المنزل الذي بات الآن مختلفاً من دونها. سوف يتبدد كل ذلك مع الوقت، يقول الخبراء. سوف يتكيفون، لكن أولي تساءل أحياناً ما إذا كان سيصمد لرؤية ذلك.

كان يعود إلى المنزل مرهقاً كل ليلة، متعباً نتيجة العمل خلال النهار، ليجد المنزل مليئاً بالفوضى، والأولاد غير سعداء ويتشاجرون. لم يعد عشاؤه صالحاً للأكل أيضاً، لأنه ملفوف بورق الألمنيوم ومحفوظ في الفرن لفترة طويلة. وكلما اتصلت سارة، كان يريد رمي الهاتف على الحائط والصراخ عالياً. فهو لا يريد سماع أي شيء عن صفوفها أو عن سبب عدم عودتها إلى المنزل في عطلة نهاية الأسبوع. أرادها أن تعود وتنام معه، وتحبه، وتطهو له، وتهتم بالأولاد. كانت آجي رائعة، لكن كل ما استطاعت تقديمه كان

مختلفاً عن تلك الأمور الصغيرة المميزة التي كانت توفرها لهم أمهم.

كان يجلس في مكتبه بعد ظهر أحد الأيام، ويحدق عبر النافذة في المطر المنهمر وشبه المتجمد الذي يميز أواخر شهر يناير في نيويورك، متسائلاً ما إذا كانت ستعود يوماً. وفي تلك الحظة، قرر إعداد مشروع لعطلة نهاية الأسبوع. لقد رحلت منذ شهر، وهو يشعر بوحدة كبيرة لدرجة أنه لم يعد يستطيع تحمل الأمر.

"ثمة وجه سعيد... هل أستطيع الدخول؟" كانت هذه دافني هاتشنسون، مساعدة نائب المدير في الشركة. إنه يعرفها منذ أربعة أعوام، ويعملان حالياً على تقديم عرض لزبون جديد. كانت امرأة حسنة المظهر لها شعر داكن تربطه إلى الخلف في جديلة مستقيمة. كانت ترتدي الثياب الجميلة وفق الأسلوب الأوروبي الأنيق، وكان كل شيء فيها رقيقاً ومرتباً. وكانت ترتدي دوما وشاحاً جميلاً، وزوجاً باهظاً من الأحذية أو قطعة من المجوهرات الصغيرة وإنما الجميلة. كانت تعجبه، فهي ذكية وسريعة، متكتمة وجادة في العمل، ولم تتزوج أبداً لسبب من الأسباب. كانت في الثامنة والثلاثين من العمر، ولم يكن يوماً اهتمامها في إقامة صداقة مع أوليفر على مر السنوات سوى أمر أفلاطوني. فقد أوضحت منذ البداية، لجميع الموجودين في الشركة، ان قصص الحب في المكتب ليست من أسلوبها، وأثبتت عبر المحاولات المتهورة والجدية صحة ما قالته منذ البداية. وكان أوليفر يحترمها لذلك، مما سهّل عليها مسألة العمل معه. "لديّ بعض النماذج للأسبوع المقبل"، كانت تحمل ملفاً كبيراً لكنها بدت مترددة، "لكنك لا تبدو في مزاج جيد كثيراً. هل تجدر بي العودة؟" سمعت إشاعة مفادها أن سارة غادرت المنزل ولاحظت التوتر في وجهه طوال أسابيع، لكنهما لم يناقشا الأمر أبداً.

"لا بأس، داف، هيا تعالي. أظن أن الوقت مناسب الآن جداً".

كانت قلقة بشأنه ودخلت إلى المكتب. بدا أنه فقد وزنه، وكان وجهه شاحباً وبدا يائساً وغير سعيد البتة. جلست وأظهرت له العمل، لكنه بدا عاجزاً

عن التركيز، فاقترحت عليه في النهاية أن ينسيا الأمر وقدمت له فنجاناً من القهوة. "هل من شيء أستطيع القيام به؟" قد لا أبدو جيدة كفاية"، قالت وهي تبتسم بطريقة ودودة، "لكني أملك كتفين قويين".

ابتسم لها. كانت تملك جسماً رائعاً من عدة نواحٍ، والكثير من الأناقة، ونسي تقريباً مدى قصر قامتها. كانت امرأة رائعة ووجد نفسه مرة أخرى يتساءل عن سبب عدم زواجها أبداً. إنها مشغولة كثيراً ربما، أو منهمكة كثيراً في عملها. يحدث ذلك مع الكثير منهنّ، ويشعرن فجأة بالهلع في عمر الأربعين. لكنها لم تكن تبدو أنها تشعر بالهلع. بدت راضية وهادئة، وكانت عيناها لطيفتين فيما جلس هو في كرسيه مع تنهد كبير وهزّ رأسه. "لا أعرف، داف... أظن أنك سمعت..." حدقت عيناه في عينيها مثل بركتين من الألم الأخضر وتوجب عليها مقاومة رغبة وضع ذراعيها حوله. "غادرت سارة الشهر الماضي للعودة إلى المدرسة... في بوسطن..."

"ليست هذه نهاية العالم، أنت تعلم. ظننت أن الأمر أسوأ من ذلك". فقد سمعت أنهما يطلقان، لكنها لم تقل ذلك لأولي.

"أظن على الأرجح أن الأمر أسوأ من ذلك، لكنها لم تملك الشجاعة للاعتراف به. فلم نشاهدها منذ خمسة أسابيع، ويصبّ الأولاد جنونهم عليّ. تماماً مثلي أنا. أصاب بالجنون كل ليلة حين أحاول الخروج من هنا، وتكون الساعة السادسة أو السابعة في معظم الليالي. وتصبح الساعة الثامنة قبل أن أصل إلى المنزل بحيث يصبح الجميع عندئذ خارج السيطرة، وأجد عشائي قد فسد. نصرخ على بعضنا البعض، ومن ثم نبكي، ويبدأ الأمر مجدداً في صباح اليوم التالي".

"لا يبدو هذا ممتعاً كثيراً. لماذا لا تأخذ شقة في نيويورك لفترة، بحيث تصبح على الأقل أقرب إلى العمل، ويمكن لهذا التغيير أن يجدي الأولاد نفعاً". لم يفكر أبداً في هذا، لكنه لا يرى جدوى من القيام بذلك الآن، بحيث يعرضهم لصدمة تغيير الأصدقاء والمدرسة. وهو يعرف أنهم بحاجة إلى راحة البيئة المألوفة.

"بالكاد أنجح في إبقاء رؤوسنا فوق الماء،، فماذا عن التفكير في الانتقال". أخبرها عن غضب ميل حياله، واختفاء بنجامين عنهم، وتبويل سام في السرير والنوم معه كل ليلة.

"أنت تحتاج إلى إجازة أيها الرجل. لماذا لا تأخذهم إلى مكان ما؟ لماذا لا تذهب إلى الجزر الكاريبية لأسبوع أو إلى هاواي، إلى مكان مشمس وحار وسعيد؟" هل يوجد مثل هذا المكان؟ هل سيشعر أي منهم بالسعادة مجدداً؟ يبدو من الصعب تصديق ذلك، وكان محرجاً من ذكر مشاكله أمامها، لكنها بدت غير مكترثة بالأمر.

"أظن أني ما زلت آمل في أنه إذا بقينا حيث نحن، سوف تعود إلينا ويمكننا إرجاع الساعة إلى الخلف".

"لن ينجح الأمر بهذه الطريقة".

"نعم". مرر يده المتعبة في شعره. "لاحظت ذلك. آسف لأني أضجرك بكل ذلك. لكني أعجز عن ذلك أحياناً. فمن الصعب التركيز على العمل. لكن من الجيد على الأقل الخروج من المنزل. فمن المزعج جداً التواجد هناك في المساء، فيما عطل نهاية الأسبوع أكثر سوءاً. يبدو الأمر وكأننا تشتتنا عن بعضنا ولا نعرف كيف نعثر على بعضنا البعض مجدداً. لم يكن الأمر هكذا قبلاً..." لكنه بالكاد يستطيع تذكر كيف كانت الأمور. بدا وكأنهم يعيشون ألم غيابها منذ زمن طويل.

"هل أستطيع القيام بأي شيء؟". لم تلتقي أبداً بأولاده، لكنها ترغب في فعل ذلك. لديها الكثير من الوقت الحر في عطل نهاية الأسبوع. "سأكون سعيدة باللقاء بهم في وقت ما. قد يجديهم هذا نفعاً، أو تظن أنهم سيشعرون أني أحاول سلبك من أمهم؟"

"لست واثقاً ماذا سيلاحظون". لكنهما يعرفان أن الحال ليست كذلك. ابتسم لها، وهو ممتنّ لأذنها الصاغية. "يمكنك ربما زيارتنا في يوم ما. سيكون ذلك ممتعاً لنا جميعاً، حين تستقر الأمور قليلاً، إذا حدث ذلك أصلاً. كانت أمي

مريضة جداً في الآونة الأخيرة. يبدو وكأنه حين يحدث خطب ما، تنهار كل الأمور مع بعضها دفعة واحدة. هل لاحظت ذلك يوماً؟" كشف عن الابتسامة الصبيانية الجميلة التي تذوّب قلوب النساء وضحكت هي.

"هل تمزح؟ إنها قصة حياتي. كيف حال الكلب؟"

"الكلب؟" بدا متفاجئاً لأنها سألت عنه. "بخير. لماذا؟"

"إنتبه إليه. سيأتي وقت يصاب فيه بالجنون ويعضّ أربعة عشر واحداً من جيرانك". ضحك كلاهما وتنهد هو مجدداً.

"لم أظن أبداً أن أمراً كهذا سيحدث لنا يوماً، داف. لقد فاجأتني تماماً. لم أكن مستعداً لذلك، وكذلك هم الأولاد. ظننت أننا نعيش الحياة المثالية".

"يحدث ذلك أحياناً. يمرض الأشخاص، ويموتون، وتتغير الأمور، ويقعون فجأة في حب شخص آخر، أو يقومون بشيء مجنون مثل هذا. ليس هذا عادلاً، لكن هكذا هي الأمور. عليك فقط الاستفادة مما يجري، وستنظر يوماً ما إلى الوراء وتفهم ربما لماذا حدث ذلك".

"كنت أنا السبب، حسب ما أظن". ما زال يصدق ذلك، لا بد أن يكون كذلك. "شعرت ربما أنها مهملة أو متجاهلة أو مستخف بها".

"أو مختنقة أو سئمة أو ربما لم تكن شخصاً رائعاً في النهاية". كانت أقرب إلى الحقيقة مما تظن، لكن أوليفر لم يكن مستعداً للاعتراف بذلك. "أرادت ربما إحداث تغيير في حياتها. يصعب معرفة الأسباب التي تدفع الأشخاص إلى القيام بأمور ما. لا بد أن الأمر أكثر صعوبة على الفهم بالنسبة إلى أولادك". كانت امرأة حكيمة بالنسبة إلى عمرها، وتذكر أوليفر مجددا كم يحبها، ليس بطريقة غنجة، وإنما كانت توفر القِوام السليم والنفيس الذي تقوم عليها الصداقات المتينة. فقد مضت أعوام على امتلاكه امرأة كصديقة، ليس منذ زواجه سارة.

"إذا كنت لا أفهم الأمر بنفسي، ليس مستغرباً ألا يفهموه هم. وهي لا تساعد الأمور ببقائها بعيداً. فحين غادرت وعدت بأن تأتي إلى المنزل في عطلة كل نهاية أسبوع".

"هذا قاسٍ أيضاً، لكن هذا أفضل لكم ربما. فحين تعود إلى المنزل للزيارة، ستكونون جميعاً أكثر هدوءاً". ضحك بمرارة على الفكرة. بدا هذا مثل مشروع غير محتمل.

"لا يوجد مثل هذه الأمور في منزلنا. فالجميع يبدأ بالتذمر عند الفطور، وحين أعود إلى المنزل، يكون التذمر مستمراً أو لا يكونون في المنزل على الإطلاق، وهذا أسوأ. لم أدرك أبداً أن الأولاد يمكن أن يتصرفوا بهذه الطريقة. لطالما كانوا سهلين جداً وطيبين جداً، وسعداء. والآن... بالكاد أتعرّف إليهم حين أعود إلى المنزل في المساء. الشكاوى، المزاج المتقلب، الجدالات، البكاء. بالكاد أستطيع الانتظار للعودة إلى هنا". وحين يصبح في المكتب، لا يتحمل البقاء فيه أيضاً. كانت محقة ربما. يجدر بهم ربما أخذ عطلة أخرى.

"لا تجعل حياتك على هذا النحو". قالت الأمر مع نظرة معرفة في عينيها. "أنت تدفع ثمن ذلك أيضاً. امنحها فرصة، وإذا عادت يكون ذلك عظيماً. وإذا لم تعد، اجعل حياتك مهيأة لكل شيء. حياتك الحقيقية. وليس هذه الحياة التعيسة. فهذا ليس بديلاً بالنسبة إلى شخص حيّ حقيقي. أنا أتحدث انطلاقاً من خبرة. صدقني".

"ألهذا السبب لم تتزوجي، دافني؟" في مثل الظروف، لم يعد سؤالها عن الموضوع أمراً فظاً.

"نوعاً ما. هذا وبعض التعقيدات الأخرى. أقسمت لنفسي بأن أؤسس لنفسي مهنة إلى أن أصبح في الثلاثين. وبعد ذلك، حدثت بعض الأمور التي أبقتني مشغولة ووجدت الملاذ في عملي مجدداً. ومن ثم... حسناً، إنها قصة طويلة لكن يكفي القول إن هذا هو قدري. أنا أحبه وهو مناسب لي. لكن هذه الحياة ليست ملائمة لمعظم الأشخاص. وأنت لديك أولاد. تحتاج إلى أكثر من ذلك في حياتك. سوف يذهب أولادك يوماً ما، ولن يمنحك هذا المكتب صحبة جيدة بعد منتصف الليل". كان الجميع يعلم أنها تتأخر في المكتب حتى الساعة العاشرة في بعض الليالي. لكن لهذا السبب كانت تقدم أفضل العروض. إنها

تعمل بكدّ كبير في وظيفتها، وكانت لامعة فيها.

"أنت امرأة حكيمة". ابتسم لها ونظر إلى ساعته. "هل تظنين أنه يجدر بنا إلقاء نظرة أخرى على المواد التي أحضرتها؟" كانت الساعة الخامسة تقريباً، وكان يفكر في الذهاب إلى المنزل، لكن الوقت لا يزال مبكراً بعض الشيء.

"لماذا لا تذهب إلى المنزل باكراً للتغيير؟ قد يكون ذلك مفيداً لأولادك، ولك أيضاً. اصطحبهم لتناول العشاء في مكان ما".

بدا متفاجئاً بالفكرة، فلم تخطر له أبداً إذ كان متشبثاً جداً بروتينهم القديم. "إنها فكرة رائعة. شكراً لك. لا تبالين إذا أنجزنا هذا العمل غداً؟"

"لا تكن سخيفاً. سيكون لديّ المزيد لأريه لك". نهضت وتوجهت إلى الباب ونظرت إليه فوق كتفها. 'أصمد جيداً أيها الرجل. فالعواصف قد تضرب كلها دفعة واحدة، لكن الجيد أنها لن تدوم إلى الأبد".

"هل تقسمين بذلك؟'

رفعت إصبعيها إلى الأعلى مع ابتسامة عريضة. "بشرف الكشاف".

غادرت واتصل هو بالمنزل فأجابت أنياس. 'مرحبا آجي". شعر بسعادة أكثر مما فعل طوال أيام. "لا تزعجي نفسك في إعداد العشاء الليلة. فكرت في أن آتي إلى المنزل وآخذ الأولاد خارجاً". أحب فكرة دافني. كانت فعلاً امرأة ذكية.

"أوه". بدت أنياس وكأنه فاجأها بأمر ما.

'هل من خطب ما؟" بدأ الواقع يواجهه مجدداً. فما من شيء سهل الآن. ولا حتى اصطحاب الأولاد لتناول العشاء خارجاً.

"ستكون مليسا في التمرين مجدداً ويملك بنجامين تمريناً في كرة السلة الليلة. وسام في السرير بسبب الحرارة المرتفعة".

"يا إلهي.... عفواً... حسناً، لا تبالي. سنفعل ذلك مرة أخرى". قطّب بعدها جبينه وقال: 'هل سام على ما يرام؟"

"لا شيء مهم. مجرد زكام والقليل من الانفلونزا. أظن أن المشكلة بدأت ..عه منذ الأمس. اتصلت المدرسة وتوجب عليّ الذهاب لإعادته إلى المنزل ..باشرة بعد إيصاله هذا الصباح". ولم تتصل به. كان ولده مريضاً، وهو لا ..رف حتى بالأمر. المسكين سام.

"أين هو؟"

"في سريرك، سيد واتسون. رفض الذهاب إلى سريره، وأظن أنك لا تمانع".

"لا بأس". ولد مريض معه في السرير. كان هذا بعيداً جداً عن الحياة التي عرفها هذا السرير في السابق، لكن يبدو الآن أن كل الأمور انتهت إلى غير رجعة. أغلق سماعة الهاتف وبدا مكتئباً، وظهرت دافني مجدداً في الباب.

"أوه أوه، يبدو مثل خبر سيء مجدداً. الكلب؟"

ضحك أولي. كانت تخلّف تأثيراً مبهجاً فيه، كما لو أنها شقيقته المفضلة. ليس بعد. إنه سام. يعاني من الحمى. والبقية في الخارج. وداعاً لعشاء الليلة". وخطرت له من ثم فكرة. "اسمعي، هل تودّين المجيء إلينا يوم الأحد. سوف نأخذ الأولاد خارجاً عندئذ'.

"هل أنت واثق من أنهم لن يمانعوا؟"

"طبعاً، سيحبون ذلك. سوف نذهب إلى مطعم إيطالي صغير يحبونه. يقدمون فيه ثمار البحر الرائعة والمعكرونة اللذيذة. ما رأيك؟"

"يبدو هذا ممتعاً. ولنعقد اتفاقاً. إذا عادت أمهم إلى المنزل لعطلة نهاية الأسبوع على نحو غير متوقع، ينتهي الأمر. لا مجادلات، لا مشاعر سلبية، لا مشاكل. حسناً؟"

"آنسة هاتشنسون، من السهل جداً الانسجام معك'.

"هذا هو مبدأي في الحياة. وكيف تظن أني وصلت إلى هنا؟ ليس السبب مظهري". كانت متواضعة وذكية أيضاً، ولديها حسّ كبير بالدعابة.

"هراء".

لوّحت بيدها وخرجت مسرعة مجدداً، فيما استعد هو للرحيل، متسائلاً عن سبب عدم انجذابه إليها جسدياً. إنها فتاة حسنة المظهر، ولديها وجه رائع رغم أنها قصيرة القامة، وكانت تخفي شكلها بعناية بارتداء البذلات الرسمية والفساتين البسيطة. تساءل ما إذا كان غير مستعد بعد. فهو في النهاية لا يزال متزوجاً من سارة. لكن كان هناك أكثر من ذلك. فقد أعلنت دافني قبلاً: "سأكون صديقتك ساعة تشاء، ولكن لا تقترب كثيراً يازميلي. لا تلمسني". تساءل عن السبب الكامن وراء ذلك، وما إذا كنت هذه سياستها في العمل أو أكثر من ذلك. سيسألها ربما يوماً ما.

عاد إلى المنزل في السابعة والربع، وكان سام نائماً في سريره، فيما رأسه الصغير ساخن وجاف بسبب الحمى. أما الولدان الباقيان فكانا خارجاً. نزل إلى الأسفل ليعدّ لنفسه البيض المقلي مجدداً. فلم يكن هناك أي عشاء له. أعدّت آجي حساء الدجاج والخبز الفرنسي المحمص لسام وتصورت أن أولي سيتدبّر أمره. وهكذا فعل وانتظر عودة الولدين إلى المنزل، لكن الانتظار كان طويلاً. عادت مليسا في العاشرة مساء، وهي تبدو سعيدة ومتحمسة. لقد أحبت المسرحية وتؤدي دوراً رئيسياً فيها، لكن ما إن شاهدت أوليفر حتى تقطب وجهها وأسرعت إلى غرفتها من دون التفوه بأية كلمة. كانت تشعر بالوحدة وأغلقت الباب خلفها. عاد شقيقها الأكبر إلى المنزل بعد منتصف الليل، وكان أوليفر يجلس في المطبخ ينتظر بهدوء.

سمع الباب الأمامي يغلق وتوجه إليه بسرعة مع نظرة على وجهه تنطق بكل مشاعره. كان بنجامين في ورطة كبيرة.

"أين كنت؟"

"أنا اتمرن على كرة السلة ليلة كل ثلاثاء". لم تخبر عيناه والده بأي شيء، لكنه بدا سليماً وقوياً، ويصرخ كل شيء فيه بالاستقلالية.

"حتى منتصف الليل؟' لم يكن أولي ليصدق القصة.

"توقفت لتناول همبرغر بعد ذلك. عظيم".

"لا ليس عظيماً. لا أعرف ما الذي يجري معك، لكنك تعطي الانطباع الآن انه بعد رحيل أمك، يمكنك فعل أي شيء يرضيك. حسناً، ليست الحال كذلك. فالقواعد نفسها لا تزال سارية. لا شيء تغير هنا، باستثناء أنها رحلت. ما زلت أتوقعك أن تعود إلى المنزل وتبقى في المنزل في ليالي الأسبوع، وتنجز فروضك، وتتفاعل مع بقية العائلة، وتكون هنا حين أعود إلى المنزل. هل هذا واضح؟"

"نعم، طبعاً. لكن ما الفرق في ذلك؟" بدا غاضباً.

"لأننا ما زلنا عائلة. معها أو من دونها. كما أن سام وميل يحتاجان إليك أيضاً... تماماً مثلي..."

"هذا هراء، أبي. فكل ما يريده سام هو أمي. أما ميل فتقضي نصف حياتها على الهاتف والنصف الآخر سجينة في غرفتها. وأنت لا تعود إلى المنزل قبل التاسعة مساء، وحين تعود تكون متعباً جداً للتحدث إلينا. إذاً، لماذا يجدر بي الجلوس هنا وتبديد وقتي؟"

شعر أوليفر بالغضب من كلماته وكان هذا واضحاً. "لأنك تعيش هنا. وأنا لا آتي إلى المنزل في التاسعة مساء. أعود إلى المنزل في الثامنة على أبعد حد. أجهد نفسي للحاق بذلك القطار كل ليلة، وأتوقعك أن تكون هنا. لن أقول لك ذلك مجدداً يا بنجامين. لقد مضى شهر على هذه الحال. أنت تخرج كل ليلة. سوف أحبسك لشهر إذا لم تتوقف عن ذلك".

"إفعل ذلك بحق الجحيم". بدا بنجامين فجأة غاضباً وشعر أوليفر بالصدمة. فلم يُجب ابنه بهذه الطريقة أبداً من قبل. لم يكن ليجرؤ على ذلك. وفجأة بدأ يتحداه علناً.

"حسناً أيها السيد. لقد فزت بالجائزة. ابتداء من هذه الدقيقة، أنت مسجون".

"اللعنة أبي". بدا بنجامين لوهلة وكأنه سيلكم والده.

"لا تتجادل معي". ارتفعت أصواتهما، ولم يشاهد أي منهما ميل وهي تنزل السلم بهدوء ووقفت تراقبهما من باب المطبخ. "قد لا تكون أمك هنا، لكني ما زلت أصدر الأوامر هنا".

"من؟" جاء صوت غاضب من خلفهما، والتفتا كلاهما بدهشة ليشاهدا مليسا وهي تراقبهما. "من يعطيك الحق في أمرنا؟ لم تكن موجوداً أبداً في أية حال. أنت لا تكترث بنا. فلو كنت تكترث، لما طردت أمي أصلاً. إنها غلطتك لأنها رحلت، وتتوقع منا الآن أن نلملم القطع المتناثرة".

أراد البكاء وهو يصغي إلى كليهما. كيف يستطيعان؟ "اسمعا، أريدكما أن تعلما معاً أمراً مهماً". ظهرت الدموع في عينيه حين واجههما. "كنت لأفعل أي شيء لأبقي أمكما هنا. وبقدر ما ألوم نفسي على ما فعلت، أشك في أن جزءاً منها أراد القيام بذلك على الدوام، أي العودة إلى المدرسة والابتعاد عنا جميعاً وعيش حياتها الخاصة. لكن سواء كان ذلك غلطتي أم لا، أنا أحبكم جداً جميعاً". ارتعش صوته بألم وتساءل ما إذا كان يستطيع المتابعة، لكنه فعل، "وأحبها هي أيضاً. لا يمكننا أن ندع هذه العائلة تتشتت الآن، فهي تعني الكثير لنا جميعاً... أحتاج إليكم أيها الأولاد..." بدأ يبكي، وبدت ميل فجأة مذعورة، "أحتاج إليكم جداً.... وأنا أحبكم.." التفت بعيداً، وشعر بيد بنجامين على كتفه، وبعد برهة، شعر بمليسا قريبة منه ومن ثم بذراعيها تطوقانه.

"نحبك ياأبي". همست له بصوت خشن، ولم يقل بنجامين أي شيء لكنه وقف بالقرب منهما. "أنا آسفة لأننا كنا سيئين جداً". ألقت نظرة سريعة على شقيقها الأكبر وكانت هناك دموع في عينيه أيضاً. لكن مهما شعر بالأسف لوالده، بات يملك حياته الخاصة الآن وله مشاكله الخاصة.

"أنا آسف". مضت دقائق عدة قبل أن يتمكن من الكلام مجدداً. "هذا صعب علينا جميعاً. وهو صعب عليها أيضاً ربما". أراد أن يكون عادلاً معها، ولا يحرّض الأولاد ضدها.

"لماذا لم تعد إلى المنزل مثلما قالت؟ لماذا لا تتصل أبداً بنا؟" سألت مليسا بألم فيما مشى الثلاثة ببطء نحو المطبخ. نادراً ما تتصل بهم سارة منذ انتقالها إلى بوسطن.

"لا أعرف، حبيبتي. أظن أن هناك عملاً أكثر مما اعتقدت. أظن أن مثل

هذه الأمور تحدث". لكنه لم يكن يتوقع أن تبقى بعيدة عنهم طوال خمسة أسابيع. فهذا قاسٍ على سام، وعليهم جميعاً، وقد أخبرها بذلك مراراً على الهاتف، لكنها استمرت في القول إنها غير مستعدة بعد للمجيء إلى المنزل. فبعد الانفصال عنهم، والألم الكبير الذي سببه، أصبحت حرة الآن، مهما سبب لك ذلك من ألم. "سوف تعود في أحد هذه الأيام".

هزت مليسا رأسها وجلست أمام طاولة المطبخ. "لكن الأمور لن تعود كما كانت، أليس كذلك؟"

"ربما لا. لكن المختلف قد لا يكون سيئاً جداً. فربما في يوم ما، حين نتخطى كل ذلك، سيكون الحال أفضل".

"لكن كل شيء كان جيداً قبلاً". نظرت إليه وأومأ هو برأسه. لقد أجريا اتصالاً مع بعضهما، وهناك شيء واحد على الأقل يجري جيداً. التفت بعدها للنظر إلى ابنه. "ماذا عنك؟ ما الذي يحدث معك بنجامين؟" استطاع أوليفر الاحساس بأن الكثير من الأمور تحصل، لكن ابنه لن يخبره بأي شيء. لطالما كان سهلاً ومنفتحاً جداً.

"لا شيء مهم". وبدا من ثم غريباً وقال: "من الأفضل أن أذهب إلى السرير الآن". التفت ليغادر الغرفة، وأراد أوليفر التمدد لإيقافه.

"بنجامين..." توقف الولد. أحس أوليفر بشيء ما. "هل هناك خطب ما؟ هل تريد التحدث معي على انفراد قبل أن تذهب إلى السرير؟" تردد ومن ثم هزّ رأسه.

"لا شكراً أبي. أنا بخير". وقال من ثم بنبرة قلقة: "هل ما زلت محجوزاً؟"

لم يتردد أوليفر لبرهة. فمن المهم أن يفهموا جميعاً أنه يمسك بزمام الأمور الآن، وإلا سيفسدون جميعاً. وهو لن يسمح بحدوث ذلك للحفاظ على مصالحهم. "نعم، أنت كذلك بنيّ. أنا آسف. عليك أن تكون حاضراً على العشاء كل ليلة، بما في ذلك عطل نهاية الأسبوع. لمدة شهر. لقد حذرتك قبلاً". كان قاسياً، لكن عينيه أخبرتا بنجامين بأنه يفعل ذلك لأنه يحبه.

هزّ بنجامين رأسه وترك الغرفة وعرف كلاهما إحساس الخيبة الذي ولّده أوليفر للتو. لا بد أن يكون معها هذه الليلة.. عليه ذلك... هي تحتاج إليه. وهو يحتاج إليها أيضاً. لا يعرف كيف سيصمدان أمام ذلك.

نظر أوليفر إلى مليسا بعدما غادر بنجامين، ومشى ببطء للوصول إلى حيث تجلس وانحنى لتقبيلها. "أحبك حبيبتي. أنا أحبك فعلاً. أظن أنه علينا جميعاً التحلي بالصبر الآن. سوف تصبح الأمور أفضل".

هزت رأسها ببطء، ونظرت إلى والدها. كانت تعرف عن بنجامين أكثر مما تريد إفصاحه. فقد شاهدته آلاف المرات مع ساندرا، وكانت تعلم أيضاً أنه يتغيب عن الصفوف. تنتشر الأخبار بسرعة في المدرسة، حتى بين صف السنة الثانية وصف سنة التخرج. وكانت تشك في جدية علاقته مع الفتاة، إذ كانت العلاقة جدية كفاية لتحدي والده.

لم يقلق سام تلك الليلة، فيما نام أوليفر قربه. وفي الصباح، كانت الحمى قد اختفت وبدا الجميع أكثر هدوءاً حين غادر إلى العمل مع قلب سعيد. شعر بالأسف لأنه أجبر على حجز بنجامين، لكن هذا لصالحه وظن أن بنجامين يمكن أن يفهم ذلك. أما التقدم المفاجئ مع ميل فيستحق عناء الليلة الماضية. وفيما كان يغادر للعمل وجد رسالة على مكتبه وتذكر دعوته لدافني في الليلة السابقة بأن تأتي يوم الأحد. وللمرة الأولى خلال شهر، كان متحمساً لمشروع عطلة نهاية الأسبوع.

الفصل السابع

وصلت دافني في القطار يوم الأحد، واستقبلها هو وأوصلها إلى المنزل فيما تحادثا على الطريق عن الأولاد. كانت ميل ودودة معه طوال الأسبوع، فيما سام يعاني من القليل من الزكام. أما بنجامين فكان يتحدث إليه نادراً منذ أن أخبره أوليفر بأنه محجوز. لكنه كان يحترم القواعد في النهاية. فقد كان في المنزل كل ليلة بحلول موعد العشاء، ويدخل إلى غرفته مباشرة بعد ذلك.

"أحذرك، ليسوا مجموعة سهلة هذه الأيام، لكنهم طيبون". ابتسم لها وشعر بالسرور لأنها أتت. لم تتصل سارة بهم منذ أيام، وكانوا يشعرون جميعاً بألم صمتها، وخصوصاً أولي.

"سأحاول إفهامهم أني لست خطراً". ابتسمت له دافني مجدداً، وكانت ترتدي سروالاً جلدياً أسود وسترة من الفرو.

"ما الذي يدفعك إلى قول ذلك؟" لم يكن واثقاً، لكن بدا أنها تريده أن يعلم أنها لا تملك أي اهتمام عاطفي فيه.

"أقول ذلك لأني أحب إبقاء الأمور واضحة وصادقة".

"هل هناك سبب يجعلك غير مهتمة في الرجال؟" حاول أن يكون غير مبالٍ، ولا شك في أنه لا يملك أي اهتمام فوري فيها، لكن من الجميل ربما الخروج معها في أحد الأيام. فهي لديها الكثير لتعطيه لأي رجل. دماغ، مظهر جميل، سحر، ذكاء. إنها تعجبه فعلاً. "أعرف أنك تركزين على عدم مواعدة أي كان في المكتب".

"هذا لأني تعلمت درساً قبل زمن طويل. الدرس الصعب". قررت إخباره. أرادت ذلك ربما لأنها وجدته جذاباً أيضاً. "أمضيت ثلاث سنوات في عملي الأول، بعد تخرجي من جامعة سميث، ووقعت في غرام رئيس مجلس

إدارة وكالة الإعلانات التي كنت أعمل فيها". ابتسمت بهدوء وصفر هو فيما ينظر إليها.

"أنت لا تعبثين، أليس كذلك؟"

"كان أحد الرجال الأكثر إثارة في الإعلانات. ولا يزال كذلك. كان عمره ستة وأربعين عاماً آنذاك. متزوج وله ولدان. كان يعيش في غرينتش وكان كاثوليكياً".

"لا طلاق".

"جيد جداً. ربحت الجائزة: مئتا دولار". لم تكن ساخرة أثناء قول ذلك، وإنما تعرض الحقيقة فقط. أرادت أن يعرف أوليفر ذلك، رغم أنها لم تخبر أحداً قط. هناك بعض الأشخاص الذين يعرفون، لكن الأغلبية لا تعرف أي شيء. "في الواقع، كانت عائلته تملك الشركة. إنه رجل رائع. وقد وقعت في غرامه وقلت لنفسي إنه لا يهم إذا كان متزوجاً". توقفت وراقبت المشهد الريفي كما لو أنها تتذكر، وألح عليها أوليفر للمتابعة. أراد أن يعرف الباقي، ماذا فعل الرجل بها لجعلها تنفر من الرجال. فمن المعيب تبديد حياتها، رغم أنها لا تبدو غير سعيدة.

"و؟ كم دام ذلك؟ ماذا حدث؟"

"قضينا وقتاً رائعاً. سافرنا. كنا نلتقي ليالي الثلاثاء والخميس في شقة يملكها في البلدة. لا يبدو ذلك جميلاً جداً، لكني أستطيع القول حسب ما أظن إني أصبحت عشيقته. وفي النهاية، طردني".

"رائع".

"تصور أن شخصاً ما سيكتشف الأمر، والقليل منهم فعل ذلك لكن الأغلبية لم تعرف أي شيء. كنا متكتمين جداً. وكان دوماً صادقاً معي. كان يحب زوجته وأولاده الذين كانوا صغاراً آنذاك. كانت زوجته تكبرني فقط ببضع سنوات. لكنه أحبني أيضاً. وأنا أحببته. وكنت راضية بالقليل الذي يستطيع منحه لي". لم تكن غاضبة فيما تتحدث عنه وتفاجأ أولي بمدى هدوئها حيال المسألة.

"كم مضى من الوقت منذ شاهدته آخر مرة؟"

ضحكت فيما نظرت إليه. "ثلاثة أيام. فقد دبّر لي وظيفة اخرى. لدينا سة. نمضي ثلاث ليالٍ مع بعضنا في الأسبوع الآن، وهذا كل ما سنصل إليه. سيكون مضى على ذلك ثلاثة عشر عاماً في شهر مارس، وقد تعتبر الأمر جنوناً، لكني سعيدة وأحبه". بدت مكتفية تماماً وكان أوليفر مذهولاً. إنها متورطة مع رجل متزوج، وتبدو سعيدة جداً بالأمر.

"هل أنت جادة؟ أنت لا تبالين، داف؟"

"طبعاً أبالي. أصبح الأولاد في الجامعة الآن. وزوجته مشغولة في النادي الاجتماعي ونحو ست عشرة جمعية خيرية. أظن أن هناك شيئاً في حياتهما يحبه لأنه لا يضطرب ولو لدقيقة. أعرف أنه لن يتركها أبداً".

"لكن هذه صفقة خاسرة لك. فأنت تستحقين أكثر من ذلك".

"من قال ذلك؟ لو تزوجت شخصاً آخر، كنا قد انتهينا بالطلاق أو العيش من دون سعادة. فلا ضمانات مع أي كان. كنت أظن أني أريد أولاداً، لكني واجهت مشكلة قبل خمسة أعوام ولا أستطيع الآن الإنجاب في أية حال. أظن أن هذا كافٍ بالنسبة إليّ. قد أكون غريبة أو شاذة، لكن الأمر جيد لنا. وهذه هي القصة ياصديقي. ظننت أنه يجدر بك المعرفة". ابتسمت له برفق. "لأني أحبك".

"أنا أحبك أيضاً". ابتسم لها ببراءة. "أظن أنك حطمت قلبي للتو". لكنه شعر بالارتياح نوعاً ما. فقد رفع هذا الضغط عنه أيضاً ويمكن أن يكونا الآن صديقين حقيقيين. "هل تظنين أنه سيترك زوجته يوماً ما؟"

"أشك في ذلك. لا بل إني لست واثقة ما إذا كنت سأتزوجه إذا فعل. نحن مرتاحون هكذا. لديّ حياتي، ومهنتي، وأصدقائي وهو. يكون الأمر صعباً أحياناً في عطل الأعياد ونهاية الأسبوع. لكن ما نملكه ربما نفيس جداً لنا لأننا نعرف حدوده". كانت أكثر حكمة مما يظن، وهو معجب فيها، لصدقها كما لبقية الأشياء.

"أتمنى لو أستطيع أن أكون فلسفياً مثلك أنت".

"ستكونين كذلك يوماً ما ربما". تساءل ما إذا كان سيرضى أبداً بيومين في الأسبوع مع سارة. لا يظن ذلك. فهو يريدها أكثر من ذلك. يريد ما كان لديه قبلاً، ولا يبدو أنه سيحصل عليه.

وصلا أمام المنزل والتفت صوبها. 'شكراً لأنك أخبرتني'. وكان يقصد ذلك فعلاً.

"أثق بك". كانت هذه طريقتها في الطلب منه بعدم مشاركة سرها، لكنها تعرف أصلاً أنه لن يفعل ذلك. 'ظننت أنه عليك المعرفة. لا أريد أن يقلق أولادك بشأننا".

"عظيم". ابتسم. "ما الذي يجدر بي قوله حين أعرفك إليهم؟ هاي، أيها الأولاد، لا بأس، إنها متورطة مع رجل متزوج وهي تحبه". ثم تقطب وجهه وكانت عيناه رقيقتين. "أنت امرأة مذهلة، داف. لو كان هناك أي شيء أستطيع القيام به لك، إذا احتجت إلى صديق... فقط أصرخي..."

"لا تقلق. سأفعل. ففي بعض الأحيان أشعر بالكثير من الوحدة. لكنك تتعلم كيف تحمي نفسك، لعدم الإمساك بالهاتف في الليل وعدم الاتصال به حين تظن أنك تعاني من التهاب الزائدة الدودية. تتصل بالأصدقاء وتتعلم أن تعتني بنفسك. أظن أن هذا جيد لي".

هزّ رأسه. "لا أظن أني سأصل يوماً إلى هذا النضج". ففي الرابعة والأربعين، كان لا يزال يتوقع أن تهتم سارة به إذا عانى من الصداع.

"لا تقلق بشأن ذلك. أنا مجنونة ربما. يظن أهلي أني كذلك في أية حال".

"هل يعرفون؟" بدا مذهولاً. لا شك في أنهم متحررون جداً.

"أخبرتهم قبل بضعة أعوام. بكت أمي طوال أشهر، لكنهم اعتادوا على الأمر الآن. أشكر الله لأن أخي أنجب ستة أولاد. فهذا يرفع العبء عني". ضحكا كلاهما وخرجا من السيارة، وقفز آندي فوراً فوق السروال الجلدي،

لكنها لم تكترث على ما يبدو.

وحين دخلا إلى المنزل، كان سام يشاهد التلفزيون، فيما ميل تعدّ شيئاً في المطبخ مع أنياس. واكب أوليفر دافني إلى الداخل وعرّفها إلى سام. بدت مرتاحة وغير رسمية، وكشف سام عن اهتمام فيها.

"أنت تعملين مع أبي؟"

"طبعاً. ولديّ ابن أخ من سنّك. إنه يشاهد الملاكمة أيضاً". بدت على اطلاع باهتمامات أولاد التسع سنوات، وأومأ سام رأسه علامة الموافقة. لا بأس بها.

"أخذني والدي لمشاهدة مباراة في العام الماضي. كانت رائعة".

"أخذت شون مرة أيضاً. أحب ذلك. أما أنا فرأيت الأمر مفزعاً حقاً". ضحك سام وظهرت مليسا ببطء من المطبخ وعرفها أوليفر إليها.

"دافني هاتشنسون، إبنتي مليسا". تصافحا الأيدي كما يجب واختفت أنياس بهدوء متسائلة ما إذا كان بدأ يخرج مع نساء أخريات. لا شك في أن الأمور تغيرت هنا، لكن بعد ما فعلته السيدة واتسون، لا تستطيع لومه كثيراً. فهو يحتاج إلى زوجة، وإذا كانت هي حمقاء لترك مثل هذه الأمور الجيدة فإن امرأة أخرى تستحق ثروتها.

تحادثت المرأتان بسهولة، ولاحظ أولي أن مليسا تنظر إليها بعناية. أعجبت بالسروال الجلدي، والشعر اللامع، وسترة الفرو، وحقيبة هيرمس السوداء المتدلية من كتفها. كانت دافني أنيقة جداً على الدوام، ويفهم الآن أوليفر سبب ذلك. فثمة هالة آتية من الرجل الأكبر سناً الذي يشتري لها الهدايا ويعرّفها إلى الأشياء الراقية. حتى مجوهراتها كانت باهظة بالنسبة إلى النساء العازبات. إلا أن القصة التي أخبرته بها دافني لا تزال تذهله، رغم أنها ممتعة أيضاً. بدا كأن مليسا لم تشاهد أي خطر في هذه المرأة، وأنه لا يوجد شيء سوى الصداقة بينها وبين والدها. راقبتها بحذر في البداية، لكن الرسائل التي أصدرتها دافني كشفت عن مجرد صداقة من دون اهتمام جنسي.

"أين هو بنجامين؟"، سأل أولي أخيراً.

"خارجاً حسب ما أظن". أجابت ميل. "ماذا تتوقع؟" هزت كتفيها وابتسمت إلى دافني.

"لديّ شقيق أكبر سناً أيضاً. كرهته لنحو ثمانية عشر عاماً. لكنه تحسن كثيراً مع التقدم في العمر". كان بعمر أوليفر الآن، وهذا جزء ربما من سبب إعجابها فيه.

جلس الأربعة وتحدثوا لساعات في غرفة الجلوس الحميمة وذهبوا أخيراً في نزهة مع آندي. ومباشرة قبل موعد العشاء، جاء بنجامين إلى المنزل وبدا أشعثاً ومذهولاً. لقد ذهب للعب كرة القدم مع الأصدقاء حسب ما قال، لكنه انتهى عند ساندرا كما هي الحال دوماً. لقد انفصل أهلها الآن أيضاً مما سهل الأمور عليهما. فأمها لا تأتي إلى المنزل أبداً، وانتقل والدها للعيش في فيلادلفيا.

كان بنجامين فاتراً مع دافني حين التقيا، وبالكاد تحدث إلى أي منهم أثناء التوجه إلى العشاء. لقد ذهبوا إلى المطعم الإيطالي الذي أخبرها أوليفر عنه، وأمضوا وقتاً جيداً، وهم يضحكون ويتحدثون ويخبرون النكات. وفي النهاية، تحمس بنجامين رغم أنه كان يوجه نظرات استقصائية إلى والده ودافني.

عادوا إلى المنزل لتناول الحلوى التي وعدت أنياس بإعدادها لهم وكان آندي نائماً أمام الموقد فيما تناولوا هم فطيرة التفاح والسكاكر المنزلية الصنع. كان يوماً مثالياً، الأول لهم منذ وقت طويل، وبدوا جميعاً سعداء.

رنّ الهاتف فيما كانوا يستمعون إلى سام وهو يخبر قصص الأشباح، وذهب أوليفر للإجابة. كان هذا والده، وبالكاد استطاع الآخرون سماع نصف حديث أولي.

"نعم... حسناً أبي... إهدأ.. أين هي؟ هل أنت بخير؟... سأحضر فوراً... إبقَ مكانك. سآتي لاصطحابك. لا أريدك أن تقود إلى المنزل وحدك. يمكنك ترك السيارة هناك وأخذها في الغد". أقفل السماعة مع ملامح شديدة

الاهتياج وبدا الأولاد مذعورين. لكنه أسرع في طمأنتهم رغم أنه جلس قرب الهاتف ويداه ترتعشان. "لا بأس. إنها الجدة. تعرضت لحادث بسيط. أخذت السيارة وحدها وصدمت أحد الجيران. لم يتعرض أحد لأذى كبير. لكنها مصدومة وسيأخذونها إلى المستشفى الليلة لمراقبتها. ويشعر الجد بالغضب. لحسن الحظ أن المرأة التي صدمتها كانت سريعة وقفزت على غطاء محرك السيارة، وكل ما تعرضت له هو كسر في الكاحل. كان يمكن أن يكون الأمر أسوأ لكليهما معاً.

"ظننت أنه لا يجدر بها القيادة أبداً بعد الآن"، قالت مليسا وهي لا تزال تبدو قلقة.

"لا يفترض بها ذلك. كان الجد في الكاراج يرتب بعض الأدوات، وقررت القيام بجولة". لم يخبرهم أنها أخبرت الطبيب أنها تريد اصطحاب ابنها من المدرسة وأن والده كان يبكي حين اتصل به. لقد أخبره الأطباء للتو أنهم يشعرون أنه حان الوقت لوضعها في دار للرعاية حيث تخضع لمراقبة مستمرة. "أكره فعل ذلك"، قال وهو ينظر إلى دافني، "لكن عليّ الذهاب إلى هناك لأراه. أظن أنه يشعر بالصدمة أكثر منها. هل تريدين أن أقلّك إلى المحطة في طريقي؟" لن يحين موعد القطار إلا بعد ساعة، لكنه لا يريد تركها وحيدة.

"أستطيع أخذ سيارة أجرة. إذهب أنت". نظرت إلى الوجوه الثلاثة الصغيرة حولها. "يمكنني البقاء هنا مع الأولاد، إذا سمحوا لي". بدا ميل وسام متحمسين، ولم يلفظ بنجامين أي شيء.

"سيكون ذلك رائعاً". ابتسم لها وأمر ميل بطلب سيارة أجرة في التاسعة والربع. سيوصلها إلى المحطة في الوقت المناسب للحاق بقطار التاسعة والنصف. "يستطيع بنجامين أن يقلّك أيضاً".

"ستكون سيارة الأجرة جيدة. أنا واثقة من أن بنجامين لديه أشياء أفضل للقيام بها في وقته بدل أخذ السيدات المتقدمات في السن إلى المحطة". لقد

شعرت بتحفظه ولم تشأ أن تفرض نفسها عليه. وبعد برهة، غادر أوليفر واختفى بنجامين في غرفته، تاركاً إياها وحيدة مع الولدين الصغيرين.

ذهب سام لتناول المزيد من الفطائر، وصعدت ميل إلى الأعلى لإحضار نص المسرحية لتريه لها. ذهبت أنياس إلى السرير، مثلما اعتادت، بعدما نظفت المطبخ وأصبحت دافني وحدها في غرفة الجلوس حين رنّ الهاتف، ورنّ ورنّ. نظرت من حولها بعصبية وقررت أخيراً الإجابة وهي تخشى أن يكون أولي لأنه سيقلق إذا لم يجب أحد. لقد نسي ربما شيئاً ما. في أية حال، رفعت السماعة وكان هناك صمت مفاجئ في الطرف الآخر، ثم سُمع صوت امرأة يسأل عن أولي.

"أنا آسفة، لقد خرج. هل آخذ أية رسالة؟" بدت وكأنها في العمل، وقالت لها كل غرائزها بأنها سارة. وكانت محقة.

"هل الأولاد هناك". بدت منزعجة.

"طبعاً. هل تودين أن أناديهم؟"

"أنا... نعم..." ومن ثم، "لكن عذراً من أنت؟"

لم تنطق دافني بأية كلمة حين دخلت ميل إلى الغرفة وتحدثت هي في الهاتف. 'الحاضنة. سأدعك تتكلمين إلى مليسا الآن". أعطت الهاتف إلى ميل مع ابتسامة رقيقة ثم توجهت إلى المطبخ لمشاهدة سام. كان يقطّع الفطيرة ويضع قطعاً كبيرة من التفاح في فمه فيما يحاول قطع حصة أخرى لدافني. "أمك على الهاتف حسب ما أظن. إنها تتحدث إلى ميل".

'حقاً؟" بدا مذهولاً وتوقف عما كان يفعله ليركض إلى الغرفة الأخرى فيما دافني تراقبه. مضت عشر دقائق كاملة قبل أن يعودا، وبديا مقهورين، فانفطر قلب دافني عليهما. لقد شاهدت في عيونهم كم يشتاقان إليها بشدة وكان سام يمسح عينيه بكم قميصه. كان يبكي بلا شك. وبدت مليسا رصينة بعد المحادثة أيضاً.

"المزيد من الحلوى لأحدكم؟" أرادت دافني صرف انتباههما، ولا تعرف كيف فيما نظرت ميل إليها بعينين متسائلتين.

"لماذا قلت لها إنك الحاضنة؟"

نظرت دافني إليها مباشرة، صادقة معها كما كانت مع أولي. "لأني لا أريد إغاظتها. فأنا ووالدك مجرد صديقين، ميل. هناك شخص ما في حياتي وأحبه كثيراً، وأنا ووالدك لن نكون أبداً أكثر من صديقين. فلا جدوى من اغاظة أمك أو توليد سوء تفاهم بيننا. الأمور صعبة جداً عليكم جميعاً كما هي الآن، من دون أن أزيد أنا المشكلة".

أومأت ميل لها وبدت شاكرة بصمت. "قالت إنها لن تأتي إلى المنزل في عطلة نهاية الأسبوع القادمة لأنه عليها تحضير تقرير". وفيما قالت الكلمات بدأ سام يبكي بهدوء. ومن دون التفكير، دفعته دافني بقربها وأمسكت به. لقد بددت كل المخاوف التي قد تنتابهم بمجرد إخبارهم عن الرجل الذي تحبه، وكانت سعيدة لأنها فعلت، لا بل أكثر سعادة لأنها أخبرت أولي قبلاً. فهؤلاء الأشخاص ليسوا للأذى وإنما للحب والحنان. وشعرت بالغضب حين علمت أن أمهم تركتهم.

"ربما من الصعب جداً عليها العودة في الوقت الحاضر". كانت تحاول أن تكون عادلة، لكن ميل بدت غاضبة.

"لماذا لا نستطيع إذاً أن نذهب ونراها؟" سأل سام بمنطق.

"لا أعرف سام". مسحت دافني دموعه وجلس ثلاثتهم أمام طاولة المطبخ فيما اختفت شهيتهم ونسي أمر فطيرة التفاح.

"تقول إن شقتها غير جاهزة بعد ولا مكان لنا لننام، لكن هذا غباء". توقف عن البكاء، وتحدث ثلاثتهم ومرت الساعة التاسعة والربع من دون أن يلاحظوا.

"أوه يا إلهي". حين نظرت إلى ساعتها مجدداً كانت الساعة التاسعة

والنصف. "هل هناك قطار آخر؟' تستطيع أخذ سيارة أجرة إلى نيويورك إذا اضطرت لذلك.

لكن مليسا هزت برأسها. "في الحادية عشرة".

"أظن أني سألحق بهذا".

"جيد". تشبث سام بيدها لكن الولدين بديا فجأة مرهقين. وضعت سام في السرير بعد وقت قصير من ذلك وتحدثت مع ميل إلى أن تجاوزت الساعة العاشرة قليلاً، واقترحت عليها من ثم الذهاب إلى السرير وتستطيع هي تدبر أمرها لنصف ساعة أخرى قبل الاتصال بسيارة أجرة. صعدت ميل أخيراً إلى السلم مع أفكارها الخاصة. جاء أولي إلى المنزل في العاشرة والنصف وتفاجأ حين رأى أن دافني لا تزال هناك، تقرأ بهدوء.

"كيف حال والدك؟"

"بخير حسب ما أظن". بدا أولي متعباً. لقد وضع والده في السرير، مثل الطفل، ووعده بأن يعود في اليوم التالي لمساعدته في تقرير ما يجب فعله بشأن أمه. "إنه وضع مريع. تعاني أمي من داء ألزهايمر، وهذا يقتل أبي".

"يا إلهي كم هذا مريع". حمدت الله لأن أهلها ما زالوا في صحة جيدة. كانوا في السبعين والخامسة والسبعين، لكنهما يبدوان كأنهما في الخمسين. وتذكرت من ثم الاتصال من سارة. "اتصلت زوجتك بالمناسبة".

"يا إلهي..." مرر يداً في شعره، متسائلاً ما إذا كان الأولاد أخبروها بوجود دافني، لكنها قرأت النظرة في عينيه وأسرعت إلى طمأنته. "ماذا قالوا لها؟"

"لا أعرف. لم أكن في الغرفة حين تحدثوا إليها. لكن لم يكن هناك أحد في الجوار حين رن الهاتف وأجبت أنا وأخبرتها أني الحاضنة". ابتسمت له ورد لها في المقابل ابتسامة عريضة.

"شكراً على ذلك'. ومن ثم، وبعينين قلقتين مجدداً، "كيف كان الأولاد بعد ذلك؟"

"منزعجين. فهمت أنها أخبرتهم بأنها لن تأتي إلى المنزل في عطلة نهاية الأسبوع القادمة، ولا تستطيع استقبالهم هناك. كان سام يبكي لكنه أصبح على ما يرام حين وضعته في السرير".

"أنت فعلاً امرأة مذهلة". ألقى نظرة سريعة على ساعته بأسف. 'أكره فعل ذلك، لكن من الأفضل أن أصطحبك إلى المحطة للحاق بالقطار. سوف ألحق به'.

"كان يوماً رائعاً أوليفر". شكرته وهي في طريقها إلى المحطة.

"وأنا أيضاً. آسف لأني اضطررت للذهاب في النهاية".

"لا تقلق بشأن ذلك. لديك ما يكفي من المشاكل. لكن الأمور ستتحسن في أحد هذه الأيام'.

"إذا عشت طويلاً". ابتسم متعباً.

انتظر معها وصول القطار وعانقها بطريقة أخوية قبل رحيلها وأخبرها أنه سيراها في اليوم التالي في المكتب. لوحت له فيما ابتعد القطار وعاد هو ببطء إلى المنزل، وهو يشعر بالأسف لأن الأمور ليست مختلفة. لو كانت ربما حرة، قال لنفسه، لكنه عرف أنها كذبة. فمهما كانت دافني حرة وجذابة وذكية، كل ما يريده هو سارة. اتصل برقم هاتفها حين وصل إلى المنزل، لكن حين رن الهاتف لم يكن هناك أي جواب.

الفصل الثامن

وضع جورج واتسون زوجته في دار للرعاية في الأسبوع الذي تلا ذلك. كانت هذه الدار متخصصة في المرضى المصابين بداء ألزهايمر والأشكال المختلفة من الخرف. بدت الدار مرحة وممتعة من الخارج، لكن مجرد إلقاء نظرة على المرضى الذين يعيشون هناك سبب الاكتئاب لأوليفر، حين ذهب لمشاهدة أمه. لم تتعرف إليه هذه المرة، وظنت أن جورج هو ابنها وليس زوجها.

جفف الرجل المسنّ دموعه حين غادرا وأمسك أوليفر بيده وأخذه إلى المنزل وشعر كما لو أنه يهجره حين تركه تلك الليلة وعاد إلى أولاده.

بدا الأمر غريباً، حين فكر فيه، أن يكون هو ووالده يخسران زوجاتهما في الوقت نفسه، وإن بطرق مختلفة. وكان هذا قاسياً عليهما معاً. لكن أوليفر يملك الأولاد على الأقل لإبقائه مشغولاً، والعمل لصرف انتباهه. أما والده فلا يملك أي شيء باستثناء الوحدة والذكريات والزيارات المؤلمة التي يقوم بها إلى دار الرعاية بعد ظهر كل يوم لرؤية فيليس.

وأخيراً جاء اليوم الكبير. اتصلت سارة وأعلنت أنها تريد مشاهدة الأولاد في عطلة نهاية الأسبوع التالية. في بوسطن.

"أريدهم أن يروا أين أعيش". أراد الاعتراض لكنه لم يفعل. وافق بدل ذلك واتصل بها مجدداً حين عرف وقت الوصول التقريبي إلى بوسطن.

"يفترض أن نصل إلى شقتك في الحادية عشرة من صباح يوم السبت إذا استقلينا طائرة الساعة التاسعة". كان يرغب في الذهاب ليلة الجمعة، لكن الأمر معقد كثيراً مع المدارس والعمل، واقترحت هي صباح يوم السبت. "هل لديك المتسع لنا جميعاً؟" ابتسم للمرة الأولى منذ أسابيع، وكان هناك صمت غريب من جهتها.

"لم أكن... ظننت أن بنجامين وميل يستطيعان النوم على الأريكتين القديمتين في غرفة الجلوس. و.... كنت سأجعل سام ينام معي..." ارتعش صوتها فيما كان أوليفر يصغي، وتجمدت يده على الهاتف فيما تذبذبت الكلمات في رأسه. سام... ينام معي، قالت، وليس معنا.

"وأين يتركنا هذا، أقصد أنا؟" قرر أن يكون فظاً معها. أراد أن يعرف موقفها بوضوح. فهو لا يستطيع تحمل عدم المعرفة بعد الآن.

"ظننت ربما...." كان صوتها شبيهاً بالهمس، "... أنك ترغب في الإقامة في فندق... قد يكون هذا أسهل، أولي". كانت هناك دموع في عينيها حين قالت ذلك، لكن الثقل ملأ قلبه حين سمعها.

"أسهل لمن؟ يبدو لي أنك أنت التي وعدت بأن شيئاً لن يتغير، ومنذ وقت غير بعيد كنت تقولين إنك لن ترحلي إلى الأبد. أو نسيت؟"

"لم أنسَ. لكن الأمور تتغير حين تكون بعيداً وتصبح لديك بعض وجهات النظر". إذاً، لماذا لم تتغير الأمور بالنسبة إليه؟ لماذا لا يزال يرغب فيها بشدة؟ أراد هزّها حتى ترتج أسنانها في رأسها، وأراد من ثم تقبيلها إلى أن تتوسله ليأخذها. لكنها لن تفعل ذلك مجدداً. أبداً.

"أنت تقولين لي إذاً إن الأمر انتهى. أليس كذلك، سارة؟" كان صوته عالياً جداً وكان قلبه يخفق بقوة.

"أسألك فقط أن تمكث في الفندق، أولي... هذه المرة..."

"توقفي! توقفي عن اللعب معي، اللعنة!" كان هذا جانباً فظاً فيها لم يعرف أنه موجود.

"أنا آسفة... أنا مرتبكة بقدرك أنت". وفي هذه اللحظة تماماً، كانت تعني ذلك فعلاً.

"اللعنة عليك سارة. تعرفين تماماً ماذا تفعلين. عرفت ذلك يوم غادرت هنا".

"أريد فقط أن أكون وحدي مع الأولاد في عطلة نهاية الأسبوع".

"حسناً". تحول صوته إلى جليد. "سأوصلهم إذاً إلى شقتك في الحادية عشرة". بعد ذلك، أقفل الهاتف قبل أن تعذبه أكثر. ستكون نهاية أسبوع موحشة بالنسبة إليه، فيما تلتقي هي والأولاد في اجتماع سعيد.

كان باستطاعته إرسالهم وحدهم، لكنه لم يشأ ذلك. أراد أن يكون معهم، خصوصاً بعد انتهاء اللقاء، لإعادتهم إلى المنزل. عرف أيضاً في قرارة نفسه انه يريد أن يكون قربها. كان أيضاً قلقاً جداً بشأن سام، وقلقاً نوعاً ما بشأن الآخرين. فبنجامين لم يكن متحمساً للذهاب لأنه سيفوّت لعبة، لكن أوليفر قال له إنه يجدر به الذهاب برأيه. أما ميل فكانت متحمسة للذهاب، وشعر سام بسعادة غامرة. لكنه تساءل عن شعورهم جميعاً بعدما يرونها.

امتازت الرحلة بجو احتفالي، فيما جلس أوليفر بهدوء عبر الممر المقابل لهم، وحين وصلوا إلى عنوانها في شارع براتل، كان عصبياً على نحو لا يصدق. لقد أخبرها أنه سيوصلهم، وحين فتحت الباب ظن أن قلبه سيتوقف حين رآها. بدت رائعة مثلما كانت قبلاً، أو ربما أكثر. كان شعرها طليقاً وأطول، فيما الجينز ملتصق بها بطريقة جعلت أولي يتألم. لكنه حاول الحفاظ على رباطة جأشه أمام الأولاد. قبّلته برقة على وجنته، وعانقت الأولاد وأخذتهم إلى الداخل لتناول الغداء الذي حضرته لهم فيما استقل أوليفر سيارة الأجرة وهو يتوق لها في كل ناحية من جسمه.

كانت تعيش في شقة صغيرة، مؤلفة من غرفة جلوس مريحة وغرفة نوم بالغة الصغر. وفي الخلف، كانت هناك حديقة غير مرتبة. وفيما شرب الأولاد الحساء وتناولوا الطعام وحدقوا فيها بسعادة، تحدث الجميع دفعة واحدة نتيجة ارتياح إطلاق المخاوف والعواطف المكبوتة منذ وقت طويل. بقي سام ملتصقاً بها، وحتى بنجامين بدا أكثر ارتياحاً مما كان منذ مدة. بدا الجميع سعداء، باستثناء أوليفر الوحيد في غرفة الفندق.

لقد حدث ذلك أخيراً وتخلت عنه. لم تعد تحبه بعد الآن. وكانت حقيقة ذلك تكاد أن تقتله. بكى حين تذكر الماضي ومشى لساعات في حرم جامعة

هارفارد. ذهب إلى كل الأماكن التي زاراها قبل أعوام وأدرك فيما كان عائداً إلى غرفة الفندق انه ما زال يبكي. لم يفهم. لقد أخبرته أن شيئاً لن يتغير بينهما، لكنها الآن تصدّه. لقد انتهى كل شيء وأصبحا غريبين. شعر أنه مثل ولد مهجور. وفي تلك الليلة، جلس وحده في غرفة الفندق واتصل بها.

استطاع سماع الموسيقى وأصوات الضحك في الخلفية، وهذا ما جعله يتوق إليها أكثر من قبل. "أنا آسف سارة. لم أشأ أن أقاطع وقتك مع الأولاد".

"لا بأس. إنهم يحضرون الفوشار في المطبخ. لمَ لا أتصل بك لاحقاً؟" وحين فعلت كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل.

"ماذا يحدث لنا؟" كان عليه أن يسألها، عليه أن يعرف. فبعد مرور شهرين، كل ما يستطيع فعله هو التفكير فيها ولا يزال يرغب في عودتها أكثر من أي وقت مضى. فإذا كانت لن تعود فعلاً إليه، عليه أن يعرف ذلك. "أنا لا أفهم هذا. فحين غادرت، قلت إنك ستأتين إلى المنزل في كل نهاية أسبوع. والآن، بعد مرور شهرين تقريباً، تبقيني بعيداً وتتصرفين كما لو أننا مطلقين".

"لا أعرف أنا أيضاً، أولي". كان صوتها رقيقاً، أشبه بعناق مألوف أراد نسيانه، لكنه لم يستطع. "لقد تغيرت الأمور معي منذ وصولي إلى هنا. أدركت كم كنت أريد هذا بشدة، وأني لا أستطيع العودة إلى ما كنا عليه قبلاً. سوف أتمكن ربما يوماً ما... لكن لا بد أن يكون الأمر مختلفاً جداً".

"كيف؟ قولي لي... أحتاج لأن أعلم..." كره نفسه على هذا، لكنه بدأ يبكي مجدداً. لقد حدث شيء مريع في نهاية الأسبوع وعرف ذلك. كانت تتحكم في كل شيء أحبه وأراده، وكان عاجزاً عن تغيير ذلك، أو جعلها تعود إليه مجدداً.

"لا أعرف الأجوبة أيضاً. أعرف فقط أني أحتاج لأن أكون هنا".

"ونحن؟ لماذا هذا؟ لماذا لا أستطيع البقاء هناك؟" لم يعد يملك أي خجل أو فخر. كان يحبها كثيراً وأرادها بشدة.

"أظن أني أخشى رؤيتك".

"لكن هذا جنون. لماذا؟"

"لا أعرف. ربما أنت تريد الكثير مني، أوليفر. يبدو وكأنني شخص مختلف الآن، شخص كنت عليه وسأصبح عليه. شخص كان نائماً طوال هذه السنوات، مهجوراً ومنسياً، لكني الآن حية مجدداً. ولا أريد التخلي عن هذا. لأي كان. ولا حتى لك".

"والعائلة التي كنا عليها؟ هل نسيتها بسرعة؟" لقد مضت سبعة أسابيع فقط، وجعلت الأمر يبدو وكأنه منذ دهر.

"لم أعد ذلك الشخص بعد الآن. لست واثقة من أني أستطيع أن أكون عليه يوماً. أظن أني أخشى رؤيتك لهذا السبب. لا أريد أن أخذلك، لكني لم أعد الشخص نفسه، أولي. لم اعد كذلك ربما منذ وقت طويل، لكني لم أكن أدرك الأمر".

حبس أنفاسه، لكن كان عليه أن يسألها. "هل هناك شخص آخر؟" الآن؟ بهذه السرعة؟ ربما هناك أحد. وكانت تبدو جميلة جداً حين أوصل الأولاد. لقد ابتعدت السنين عنها حين غادرت بورتشايس، وكانت تبدو جميلة بالنسبة إليه آنذاك، لكنها اليوم أصبحت أكثر جمالاً.

"لا، ليس الأمر كذلك". لكنها بدت مترددة حين قالت ذلك. "ليس بعد. لكني أريد أن أكون حرة لأتعرف إلى أشخاص آخرين". يا إلهي. لم يصدق أنها تقول هذه الكلمات. لكنها كانت تقولها فعلاً. لقد انتهى الأمر.

"أظن أن هذا يفسر كل شيء، أليس كذلك؟ هل تريدين الشروع في الطلاق؟" ارتعشت يده على الهاتف فيما كان يسألها.

"ليس بعد. لا أعرف ما الذي أريده. ليس بعد". أرادها أن تصرخ ذعراً لمجرد طرح الفكرة، لكن كان واضحاً أنها تفكر فيها. وكان واضحاً أيضاً أن حياتهما معاً انتهت في أية حال.

"دعيني أعرف إذاً حين تحسمين الأمر. لكن أظن أنك امرأة مجنونة

حقيبة ثيابه بين ساقيه. ألقى أوليفر نظرة سريعة إلى الأعلى وشاهدها تقف في الممر. كانت تلوح لهم، وأراد لبرهة أن يقفز من التاكسي ويركض نحوها ويمسكها ويعيدها معهم. ما زال باستطاعته ربما إعادتها إلى وعيها، وإلا يستطيع على الأقل لمسها والإحساس بها وشم رائحتها. لكنه أجبر نفسه على النظر بعيداً، وطلب من السائق بصوت خشن التوجه إلى المطار. ألقى نظرة سريعة إلى الخلف رغماً عنه فيما كانوا يبتعدون، وبدت أنيقة وشابة فيما استمرت في التلويح من الممر. وفجأة، فيما كان يراقبها، شعر أن مليسا تضع شيئاً في يده. كان كيساً صغيراً من الحرير الأبيض، وحين فتحه، شاهد خاتم الزمرد الذي أعطاه لسارة في يوم العيد. وكانت هناك ملاحظة صغيرة تطلب فيها الاحتفاظ بالخاتم لمليسا. كان هذا إيضاحاً قوياً. لقد كانت عطلة نهاية الأسبوع قاسية عليه، ووضع الكيس الصغير في جيبه من دون التفوه بكلمة. كان فكه صلباً وعيناه باردتين حين نظر خارج النافذة.

لم يتفوه أوليفر بأي شيء لفترة طويلة، واكتفى بالاستماع إلى الأولاد فيما يتحدثون عن العشاء الذي أعدته، والفوشار، وكم أحبوا الشقة. حتى سام بدا أكثر ارتياحاً الآن. وكان واضحاً أن رؤية أمه أفادته كثيراً. بدوا جميعاً مرتبين، وكان شعر سام ممشطاً بالطريقة التي يحبها أوليفر. وكان هذا مؤلماً له بمجرد رؤيتهم بهذه الطريقة. فهم يبدون نضرين بفضل عنايتها، كما لو أنهم ولدوا من جديد، كما لو أنهم انبثقوا للتو منها. لم يشأ أن يسمع كم كان الأمر رائعاً، وكم كانت هي جميلة، وكم كانت الحديقة ظريفة، وكم كانت دروسها صعبة. أراد فقط أن يسمع كم هي مشتاقة إليهم جميعاً، كلهم، وكيف ستعود سريعاً إلى المنزل، وكم تكره بوسطن، وكم كانت مخطئة بالذهاب إلى هناك. لكنه عرف الآن أنه لن يسمع ذلك أبداً.

كانت رحلة العودة إلى نيويورك صعبة، لكن بدا أن الأولاد لم يلاحظوا ووصلوا إلى المنزل في الثامنة مساء من تلك الليلة. كانت آجي في انتظارهم وعرضت عليهم إعداد العشاء. أخبروا آجي كل شيء عن بوسطن، وعما تفعله

أمهم، وما قالته، وما تفكر فيه، وعن كل شيء تقوم به. وأخيراً، وفي منتصف الوجبة، لم يعد باستطاعة أولي تحمل المزيد. وقف ورمى محرمته على الأرض فيما نظر إليه الأولاد مذهولين.

"لقد سئمت وتعبت من سماع كل ذلك! أنا مسرور لأنكم قضيتم وقتاً رائعاً، لكن اللعنة، ألا تستطيعون التحدث عن شيء آخر؟" بدوا مصعوقين وشعر هو فجأة بالإحراج. "أنا آسف... أنا... لا تبالوا..." تركهم وصعد إلى الأعلى، وأغلق باب غرفته، ثم جلس هناك في الظلمة يحدق في ضوء القمر. فقد كان مؤلماً جداً الاستماع إليهم، وسماع أخبارها طوال الوقت. لقد عثروا عليها مجدداً. وهو فقدها. لا مجال الآن لإعادة الساعة إلى الخلف، أو الهروب من الأمر. لم تعد تحبه أبداً، مهما قالت على الهاتف. لقد انتهى الأمر. إلى الأبد.

جلس هناك، في الظلمة، على سريره، لما بدا فترة طويلة من الوقت، ثم استلقى في الظلمة وحدق في السقف. مضى وقت طويل قبل أن يسمع أحدهم بطرق على الباب. كانت هذه ميل، وفتحت الباب قليلاً لكنها لم تشاهده في البداية. "أبي؟" دخلت إلى الغرفة وشاهدته هناك، مستلقياً على سريره في ضوء القمر. "أنا آسفة... لم نقصد إزعاجك... إنها فقط..."

"أعرف، صغيرتي، أعرف. لديك الحق في أن تشعري بالحماس. إنها أمك. أصيبت فقط بالقليل من الجنون لبرهة. فحتى البابا يصبح مسعوراً أحياناً". جلس وابتسم لها ثم أشعل الضوء، وهو يشعر بالإحراج لأنها وجدته عابساً في الظلمة. "أنا فقط مشتاق إليها كثيراً... تماماً مثلك أنت..."

"قالت إنها لا تزال تحبك، أبي". شعرت ميل فجأة بالحزن الشديد عليه، وكانت النظرات في عينيه مخيفة جداً.

"هذا جميل، حبيبتي. أنا أحبها أيضاً. لكن من الصعب أن نفهم أحياناً حين تتغير الأمور"... حين تخسرين شخصاً تحبينه كثيراً...حين تشعرين أن حياتك كلها انتهت..."سوف أعتاد على ذلك".

هزت مليسا رأسها. لقد وعدت أمها بأن تفعل أي شيء تستطيعه، وسوف تفي بوعدها. لقد وضعت سام في السرير تلك الليلة، مع دبه الصوفي، وطلبت منه ترك البابا وحده لإحداث تغيير، والنوم بالتالي في سريره الخاص.

"هل البابا مريض؟" هزت رأسها. "لقد تصرف بغرابة الليلة". بدا سام قلقاً جداً.

"إنه منزعج فقط. هذا كل ما في الأمر. أظن أنه كان صعباً عليه رؤية الماما".

"ظننت أن هذا رائع". ابتسم بسعادة وهو يمسك الدب، وابتسمت له ميل، وهي تشعر أنها كبرت ألف سنة.

"وكذلك أنا. لكني أظن أن الأمر أصعب بالنسبة إليهما".

هز سام رأسه، كما لو أنه فهم أيضاً، لكنه في الحقيقة لم يفهم. وسأل من ثم أخته ما لا يجرؤ سؤاله لأي من أهله. "ميل... هل تظنين أنها ستعود؟... أقصد، كما في السابق... هنا، إلى بابا، وكل شيء..."

ترددت شقيقته لوقت طويل قبل إجابته، وهي تبحث في قلبها وعقلها، لكنها تماماً مثل والدها، كانت تعرف الجواب. "لا أعرف... لكني لا أظن ذلك".

هز سام رأسه مجدداً، وقد أصبح أكثر قدرة على التأقلم مع الأمر الآن، بعد أن زارها ووعدته بأن يعود خلال بضعة أسابيع. لم تقل أي شيء بشأن العودة لرؤيتهم في بورتشايس. "هل تظنين أن والدي مجنون بها؟"

هزت ميل رأسها. "لا. أظن فقط أنه حزين. لهذا السبب، تصرف بغرابة الليلة".

أومأ سام برأسه واستلقى على وسادته. "تصبحين على خير، ميل... أحبك". انحنت لتقبيله ومشطت شعره برفق، تماماً مثلما فعلت سارة في بوسطن.

"أحبك أنا أيضاً، رغم أنك مزعج أحياناً. ضحك كلاهما، وأطفأت الضوء اغلقت الباب. وحين عادت إلى غرفتها شاهدت بنجامين يتسلق من النافذة سقط على الأرض. راقبته من دون إصدار أي صوت أو إشارة. أخفت ظلها ذهبت للنوم في سريرها الخاص. لديها الكثير من الأمور للتفكير فيها. وفي لك الليلة، جميعهم فعلوا ذلك. استلقوا جميعاً مستيقظين لوقت طويل في تلك الليلة، وهم يفكرون في سارة. وأينما ذهب بنجامين، رأت مليسا أن هذا شأنه الخاص. لكن كان من السهل تخمين موقع زياراته. فرغم أن الحجز لا يزال ساري المفعول، لقد ذهب إلى منزل ساندرا.

الفصل العاشر

دخلت دافني إلى مكتب أوليفر في صباح اليوم التالي، بعد الساعة العاشرة بقليل، وظنت في البداية أن كل شيء على ما يرام. فقد عرفت انه أخذ الأولاد إلى بوسطن لرؤية سارة في عطلة نهاية الأسبوع.

"كيف كان الأمر؟" لكن ما إن خرجت الكلمات من فمها، حتى استطاعت رؤية الجواب في عينيه. بدا وكأن صاعقة أصابته.

"لا تسألي".

"أنا آسفة". وكانت فعلاً كذلك، له وللأولاد.

"وأنا أيضاً. هل حضرت شرائح العرض؟". أومأت برأسها، وتجنبا ذكر الموضوع مجدداً. عملا بشكل متواصل حتى الساعة الرابعة، وللمرة الأولى، وجد الارتياح في عمله. فمن الرائع عدم التفكير في سارة، أو حتى في الأولاد.

عاد إلى المنزل في التاسعة مساء من تلك الليلة، وفي أوقات متأخرة في الليالي التالية. عليهم تقديم عرض مستعجل إلى زبون مهم. لكن الأولاد بدوا على ما يرام هذه المرة. وبعد ثلاثة أسابيع من الزيارة الأولى، دعت سارة الأولاد للذهاب إلى بوسطن مجدداً، لكن أوليفر لم يذهب هذه المرة معهم. فقد ذهبت ميل مع سام بدل ذلك. أما بنجامين فكان قد خطط المشاريع للذهاب مع اصدقائه لممارسة التزلج، ولم يشأ تغيير ذلك.

في ليلة الجمعة، حين عاد أولي إلى المنزل في وقت متأخر من الليل، كان المنزل هادئاً ومظلماً. حتى آجي أخذت إجازة لبضعة أيام وذهبت للإقامة مع شقيقتها في نيوجرسي. من الغريب التواجد من دونهم جميعاً، لكن هذا منحه الارتياح أيضاً نوعاً ما. فقد مضت ثلاثة أشهر على رحيل سارة، ثلاثة

أشهر من العناية والبكاء والقلق بشأنهم، وتحمل مسؤوليتهم في كل ساعة من اليوم والتنقل جيئة وذهاباً بين بورتشايس ومكتبه. عليه الاعتراف أحياناً أن دافني محقة. فكان من الأسهل الانتقال إلى نيويورك، لكنه ظن أن أياً منهم غير مستعد بعد لذلك. ربما بعد سنة أو اثنتين... ومن الغريب التفكير في المستقبل الآن، من دونها. فقد بدت حياته مثل مكب نفايات فارغ.

تناول العشاء مع والده ليلة السبت، وذهب لزيارة أمه بعد ظهر الأحد. كان منظرها يسبب الاكتئاب، وكل ما تحدثت عنه هو رغبتها في العودة إلى المنزل، والعمل في حديقتها. لم تكن مدركة لمكان وجودها، لكنها كانت تبدو أحياناً أكثر عقلانية من الآخرين.

"هل أنت على ما يرام، أبي؟" سأله ليلة خرجا معاً.

"نوعاً ما". ابتسم الرجل المسنّ. "أشعر بالكثير من الوحدة من دونها".

تنهد أولي وابتسم لوالده. "أعرف ما تعنيه أبي". من السخرية أن يخسرا زوجاتهما في الوقت نفسه. فهذا مثير للسخرية ومأساوي ومؤلم جداً.

"لديك الأولاد على الأقل برفقتك".

"عليك أن تأتي وتراهم أكثر. يتوق سام إلى رؤيتك".

"ربما بعد ظهر غد". لكن أولي شرح له أنهما في بوسطن مع أمهما.

عادا بمعنويات مرتفعة هذه المرة أيضاً، لكن ميل حذرت سام من عدم التحدث كثيراً عن الموضوع مع والدهما. وقالت له خصوصاً ألا يأتي على ذكر جان بيار. إنه صديق أمهم وقد أتى للقائهم ليلة السبت، وظنت ميل في سرها أنه مولع بأمهم. كان عمره خمسة وعشرين عاماً، وتخرج من فرنسا. جعل الجميع يضحكون وأخبر الكثير من النكات وحضّر البيتزا من لا شيء. ظن سام أنه شاب رائع، لكن ميل أكدت له أن والدهم لا يرغب في سماع أي شيء عنه.

"هل تظنين أنه يخرج مع أمي؟". كان سام فضولياً دوماً، وظن أنه شاهدهما مرة وهما يقبلان بعضهما في المطبخ حين دخل للحصول على كولا.

لكن ميل أسرعت إلى تكذيب نظرياته. "لا تكن سخيفاً".

وشعر كلاهما بالحماس لأن سارة وعدتهما بأن تصطحبهما بعيداً خلال ـجازة الربيع.

"إلى أين تظنين أننا سنذهب؟" سأل سام.

"لا أعرف. سوف نرى".

وفي النهاية، قررت إمضاء أسبوع في ممارسة التزلج الربيعي في ـ ساتشوستس. حتى بنجامين وافق على الذهاب معها. وقبل خمسة أيام فقط من ـغادرتهم، تلقى أوليفر الاتصال في المكتب. إنها مدرسة بنجامين. إنه يتغيب ـن الصفوف منذ أشهر، وأصبح على وشك الطرد، وأرادوا أن يعلم أوليفر أنه ـت خاضعاً للمراقبة الأكاديمية.

"بنجامين؟" بدا مذهولاً. لقد خرج من اجتماع عمل لتلقي الاتصال، وهو ـخشي أن يكون تعرض لأذى. "لا أستطيع تصديق ذلك. لطالما كان على ـلائحة الشرف".

"لم يعد كذلك سيد واتسون". فقد اتصل به مساعد المدير بنفسه. "منذ شهر ـايار، نادراً ما نراه في الصف، ولم ينجح هذا الفصل في أية مادة تقريباً".

"لماذا لم تخبروني قبل ذلك؟ لماذا انتظرتم كل هذا الوقت؟" بدا أوليفر ـمصدوماً وغاضباً، على الولد، على نفسه، على المدرسة، وعلى سارة لأنها ـسبب كل ذلك. بدا وكأن المأساة لن تنتهي أبداً.

"نحن نرسل لك الإنذارات منذ ثلاثة أشهر، ولم تجب علينا".

"الحقير..." أدرك أوليفر على الفور ما الذي كان يحدث. لا بد أن ـجامين أخذها بحيث لا يعرف أوليفر ما الذي يجري. "وماذا عن طلباته إلى الجامعات؟"

"لا أعرف. لا شك في أنه علينا إبلاغ الكليات التي تقدم بطلب إليها، لكنه ـان تلميذاً جيداً قبل ذلك. ندرك أنه توجد عوامل مخففة للمشكلة. إذا وافق

ربما على الخضوع لمدرسة صيفية... ويعتمد كل ذلك طبعاً على علاماته بدءاً من الآن. سيكون فصله الأخير مهماً جداً".

"أفهم". أغلق أوليفر عينيه وهو يحاول استيعاب كل ذلك. "هل هناك مشكلة أخرى في المدرسة يجدر بي معرفتها؟" شعر أن هناك أموراً أكثر من ذلك وأصبح خائفاً فجأة من سماعها.

"حسناً، بعض الأمور التي لا تدخل فعلاً ضمن صلاحياتنا..."

"ماذا يعني ذلك؟"

"أنا أشير إلى فتاة آل كارتر. نشعر أنها جزء من مشكلة بنجامين. فقد كانت لديها مشاكلها الخاصة هذه السنة، عائلة محطمة، وهي ليست... حسناً، لا شك في أنها ليست طالبة جيدة مثل بنجامين، ولم تكن كذلك، لكنني أظن أن علاقتهما تسبب الكثير من قلة الانتباه له. لا بل يجري الحديث عن خروجها من المدرسة. وقد أخبرنا أمها قبلاً أنها لن تتخرج مع صفها...". اللعنة... لقد فرض عليه أوليفر الحجز وطلب منه التواجد في المنزل في موعد العشاء، فتغيب عن الصفوف للقاء فتاة غبية طردت من المدرسة أو على وشك ذلك.

"سوف أعتني بالأمر. وسأكون شاكراً جداً إذا استطعنا القيام بشيء حيال ذلك بحيث لا يؤثر في طلبات بنجامين للجامعات". فمن المفترض أن يسمع الجواب منهم في أي يوم... هارفارد... برينستون... يال... وها هو الآن خاضع للرقابة الأكاديمية.

"تستطيع ربما قضاء المزيد من الوقت معه في المنزل. ندرك مدى صعوبة ذلك في الوقت الحاضر، مع رحيل السيدة واتسون.." وصلته الكلمات بسرعة. كان يفعل كل ما يستطيعه الآن للتواجد مع الأولاد، لكن كلمات بنجامين رنّت في أذنيه... لا تأتي إلى المنزل إلا في التاسعة مساء من كل ليلة....

"سأبذل ما بوسعي. وسأتحدث إليه الليلة".

"جيد جداً، وسوف نبقيك مطلعاً على الوضع من جهتنا.

"في المرة المقبلة، إتصل بي في المكتب".

"طبعاً".

أقفل أوليفر السماعة وجلس لبرهة ورأسه منحنٍ، وهو يشعر بانقطاع النفس. ومن دون أن يعرف ما الذي يجدر به فعله غير ذلك، اتصل بسارة في بوسطن. لكنها كانت خارجاً لحسن الحظ. وهذه ليست مشكلتها في أية حال. لقد تخلت عنهم جميعاً. أصبحت المشكلة خاصة به الآن.

ترك المكتب بعد ظهر ذلك اليوم في الساعة الرابعة ووصل إلى المنزل في السادسة. كان هناك حين دخل بنجامين من الباب، وبدا مسروراً بنفسه، وهو يحمل كتبه. لكن والده أوقفه بنظرة فولاذية.

"تعال إلى غرفة الجلوس من فضلك بنجامين".

"هل من خطب؟" كان واضحاً من وجه والده أن هناك خطباً، لكنه لم يشك أبداً في ما سيجري. وفيما دخل عبر باب غرفة الجلوس، وجه إليه أوليفر صفعة وحشية. كانت هذه المرة الأولى في حياته التي يضرب فيها أحد أولاده باستثناء مرة واحدة حين كان بنجامين في الرابعة وأدخل الشوكة في مقبس كهربائي. أراد أن يترك لديه انطباعاً تلك المرة، وفعل الشيء نفسه الآن أيضاً. لكن الأكثر من ذلك أن الصفعة ناجمة هذه المرة عن الذنب والخيبة. كاد بنجامين أن يصاب بالدوار نتيجة الصدمة وأصبح وجهه أحمر اللون فيما جلس من دون أي صوت وأغلق أوليفر الباب. عرف الآن أن والده اكتشف الأمر، أو بعضه على الأقل. وشك في ما سيأتي لاحقاً.

"أنا آسف... لم أكن أقصد فعل ذلك... لكنني أشعر كما لو أني خدعت. تلقيت اتصالاً اليوم من مدرستك، من السيد يونغ... ما الذي وصلت إليه بحق الجحيم؟"

"أنا... أنا آسف أبي..." حدق في الأرض ومن ثم مباشرة فيه. "لم أستطع.... لا أعرف".

"هل تعرف أنك وضعت تحت المراقبة الأكاديمية؟" أومأ بنجامين رأسه. "هل تدرك أنك قد لا تدخل أبداً إلى كلية محترمة بعد ذلك؟ أو أنه عليك خسارة سنة، أو الخضوع على الأقل لمدرسة صيفية؟ وما الذي حدث لكل تلك الإنذارات التي يفترض أنها أرسلت إليّ؟"

"لقد رميتها". كان صادقاً معه، وبدا أكبر سناً بعشرة أعوام مجدداً، فيما نظر حزيناً إلى والده. "تصورت أني سأستعيد السيطرة على الأمور مجدداً، وأنك لن تعرف أبداً".

راح أوليفر يذرع الغرفة جيئة وذهاباً وتوقف من ثم للتحديق فيه. "وما علاقة الفتاة بذلك؟ أظن أن اسمها ساندرا كارتر". في الحقيقة، كان الاسم محفوراً في عقله وقد شك منذ وقت طويل في أن غرام بنجامين الحالي خارج عن السيطرة، لكنه لم يشك لبرهة في أن الأمور ستصل إلى هذا الحد. "أفترض أنك تنام معها. كم مضى من الوقت على ذلك؟"

حدق بنجامين في الأرض لوقت طويل ولم يجب.

"أجبني اللعنة. ما الذي يجري معها؟ قال السيد يونغ إنها تفكر في ترك المدرسة. أي نوع من الفتيات هي ولماذا لم ألتقِ بها؟"

"إنها فتاة طيبة، أبي". نظر إليه بنجامين فجأة بتحدٍ. "أنا أحبها وهي تحتاج إليّ". قرر عدم الإجابة على سؤال والده الثاني.

"هذا جميل. كزميلة في ترك المدرسة؟"

"لن تترك المدرسة.... لكن.... إنها تواجه وقتاً صعباً... فقد تخلى والدها عن أمها و... لا تقلق. إنها قصة طويلة".

"أنا متأثر. وتخلت أمك عنك، ولذلك تمشيان كلاكما عند غروب الشمس وتمسكان بأيدي بعضكما وتهربان من المدرسة. ومن ثم ماذا؟ تقضي على بقية حياتك، فيما تذهب هي للعمل كنادلة في محل للمشروبات؟ لم يكن هذا ما توقعته منك أو ما أردته أنت لنفسك. أنت تستحق أكثر من ذلك، وهي أيضاً ربما. بحق الله بنجامين، أضبط نفسك". امتلأ وجهه بقسمات قاسية لم يشاهدها

...ه قبلاً، لكن الأشهر الثلاثة والنصف الأخيرة جعلته يدفع ثمناً وهذا جلي. ...يدك أن تتوقف عن رؤية هذه الفتاة. الآن! هل تسمعني؟ وإذا لم تفعل، ...رسلك بعيداً إلى المدرسة الحربية إذا اضطررت لذلك. لن أسمح لك أن تهزأ بحياتك على هذا النحو لمجرد أنك منزعج ونعاني جميعاً أوقاتاً صعبة. سوف ...اجهك الحياة بالعديد من المشاكل، بنيّ. والواقع أن ما تفعله بهذه المشاكل هو ...لذي يجعلك رجلاً أو يحطمك".

نظر إليه بنجامين بهدوء، وهو عنيد بقدر والده، لا بل أسوأ، عنيد بقدر سارة. "سوف أرفع علاماتي أبي وسأتوقف عن التغيب عن المدرسة. لكني لن ...وقف عن رؤية سارة".

"لن تراها إذا قلت لك أنا ذلك. هل تفهمني؟"

نهض بنجامين وحدق بشعره الأحمر وعينيه الزرقاوين في والده. "لن أتوقف عن رؤيتها. أقول لك ذلك صراحة. ولن تستطيع إقناعي. سوف أترك المنزل".

"هل هذه كلمتك الأخيرة حول هذا الموضوع؟"

اكتفى بنجامين بهز رأسه.

"حسناً. أنت محجوز بالكامل حتى نهاية المدرسة إلى أن أرى تلك العلامات تعود إلى ما كانت عليه قبلاً، إلى أن تقول لي المدرسة إنك لم تفوّت خمس دقائق من الصف للذهاب إلى الحمام، إلى أن تتخرج وتدخل إلى الكلية التي تستحقها. ومن ثم سندرس أمر ساندرا". وقف الرجلان وهما يحدقان في بعضهما ولم يضطرب أي منهما. "إذهب الآن إلى غرفتك. وأنا أحذرك، بنجامين واتسون، سوف أتحقق منك ليلاً ونهاراً، ولذلك لا تغش. سوف أتصل بوالدة الفتاة إذا اضطررت لذلك".

"لا تزعج نفسك. فهي غير موجودة دائماً".

هز أوليفر رأسه، وهو لا يزال يائساً جداً من ابنه البكر ومذهولاً من إخلاصه للفتاة. "تبدو فاتنة؟"

"هل أستطيع الذهاب الآن؟"

"أرجوك إفعل...". ومن ثم، فيما وصل بنجامين إلى الباب، قال بصوت أكثر نعومة: "وأنا آسف لأني ضربتك. أخشى أني وصلت إلى حدودي أيضاً، وهذا الهراء منك لا يساعد أبداً". أومأ بنجامين رأسه وغادر الغرفة، مغلقاً الباب وراءه، فيما جلس أوليفر ببطء في كرسي وهو يشعر أن جسمه بكامله يرتعش.

لكن في الأسبوع التالي، وبعد الكثير من التفكير، عرف ما يجدر به فعله، أو ما يستطيع فعله، لتحسين الوضع على الأقل. ذهب إلى مدير المدرسة وتحدث إليه، ولم يكونا واثقين في البداية، لكنهما قالا أخيراً إنه إذا استطاع أوليفر نقله إلى مدرسة مماثلة، سوف يوافقون على ما يقترحه. كان هذا الشيء الوحيد الذي يستطيع فعله، وسيكون قاسياً على الأولاد في البداية، لكنه قد يكون ربما ما أمر به الطبيب لهم جميعاً. أرسلهم أوليفر جميعاً إلى سارة في عطلة المدرسة، ورغم أن بنجامين رفض الذهاب في البداية، فقد أجبره أوليفر. هدده بكل الطرق الممكنة إلى أن غادر الصبي أخيراً مع شقيقيه. واللافت أنه خلال الأسبوع الذي كان الأولاد فيه بعيداً، تحدث أوليفر مع أربع مدارس مختلفة ووجد واحدة جيدة جداً توافق على استقباله. قرر نقلهم جميعاً إلى نيويورك بأسرع وقت ممكن، واستئجار شقة ووضعهم في مدارس جديدة. من شأن ذلك إبعاد بنجامين عن الفتاة، وكل الأصدقاء الذين يصرفون انتباهه، وسيعني ذلك عودة أوليفر إلى المنزل في السادسة مساء. هذا ما اقترحته دافني قبل شهرين، وقال إنه لن يفعل ذلك أبداً، أو على الأقل ليس قبل بضعة سنوات، لكن الفكرة جاءت الآن وليدة اليأس.

وافقت المدرستان المعنيتان على الخطة، لا بل إن المدرسة التي في بورتشايس وافقت على السماح له بالتخرج مع صفه إذا أبلى حسناً في نيويورك للشهرين الباقيين من السنة، ونجح في كل امتحاناته، ووافق على العودة إلى المدرسة الصيفية في بورتشايس. كان هذا رائعاً. ومن دون لغط

...مافى، تم قبول ميل في مدرسة آبر ايست سايد الخاصة بالبنات، فيما وافقت ...سة كولجيات على قبول سام. كانت كلها خطوات ممتازة، وإن كانت ...يعة قليلاً. وفي اليومين الأخيرين قبل عودتهما إلى المنزل، جال أوليفر في ...شوارع مع دافني وتوصل إلى شقة جذابة جداً تعود إلى رجل مصرفي قرر ...لانتقال مع زوجته وأولاده إلى باريس. اشتملت الشقة على أربع غرف نوم ...دة الحجم، مع منظر جميل، وحارس للمصعد، وحارس للباب، ومطبخ كبير. ...في الخلف، كانت هناك غرفة محترمة جداً لتعيش فيها أنياس. سيكلفه هذا البيت ثروة، لكنه كان يستحق ذلك برأي أوليفر. وفي عشرة أيام، أنجز كل ...طوات الانتقال. ولم يبقَ الآن سوى إعلان الخبر أمام الأولاد حين يعودون الى المنزل من عطلتهم مع أمهم.

جلس هو ودافني في غرفة الجلوس بعدما وقع على عقد الإيجار، ...نظرت إليه بقلق. فهذا الرجل لم يكن يرغب في القيام بأية تغييرات قبل ...شهرين فقط، وها هو ينتقل الآن بسرعة كبيرة. لقد تغير منذ أن أدرك أن سارة لن تعود أبداً إلى المنزل.

"أظن أن هذا مفيد لنا جميعاً". كان يدافع عن نفسه أمامها، رغم أنه غير مضطر لذلك.

"وهذا ما أظنه أيضاً. لكن ماذا سيقول الأولاد برأيك؟"

"ما الذي يستطيعون قوله؟ لا أستطيع مراقبة بنجامين فيما أنا أتنقل. وإذا كان الأمر كارثة بين الآن وشهر يونيو، يمكننا دوماً العودة إلى بورتشايس وسأعيد الأولاد إلى مدارسهم القديمة في الخريف. هذا ما كان يجدر بي فعله ربما منذ البداية".

أومأت برأسها مجدداً. كان محقاً. فالأمور ليس نهائية، وكانت هذه على الأقل تجربة جيدة لتفادي التيارات التي تغرق بنجامين في بورتشايس. "ألا تظن أن هذا جذري كثيراً؟"

"هل تقولين لي إني مجنون؟" ابتسم لها بعصبية، متسائلاً عن الأمر نفسه،

ومذهولاً بما حققه منذ ذهب الأولاد في عطلة مع أمهم. كان يخشى إخبارهم، لكنه كان متحمساً جداً. فهذه حياة جديدة ومثيرة بالنسبة إليهم جميعاً، مهما كانت الأسباب التي دفعته إلى القيام بذلك. وبدا ذلك مثل الحل الأفضل لمشاكل بنجامين.

"أظن أنك فعلت الشيء الصحيح، إذا كان هذا مجدياً. لكني أظن أيضاً أنه سيكون تعديلاً كبيراً آخر بالنسبة إليهم".

"تعديل جيد ربما هذه المرة". مشى حول غرفة الجلوس. كانت الشقة جميلة وظن أن الأولاد سيحبون غرفهم، ولا سيما مليسا. كان منزلهم الجديد في الشارع 84 الشرقي، في شارع مرصوف بالأشجار، على بعد مبنيين من سنترال بارك. كان كل ما أراده أوليفر، بعدما حسم أمره للبحث عن شقة في المدينة. "ما رأيك داف؟ هل تظنين فعلاً أني مجنون؟" شعر فجأة بالخوف من إخبار الأولاد. ماذا لو أصيبوا بالجنون مجدداً، لكنه كان واثقاً من أنه القرار الصحيح حين اتخذه.

"لا أظن أنك مجنون، وأظن أن الأمور ستكون على ما يرام. لكن لا تتوقع أن يقفزوا صعوداً ونزولاً ويقولوا لك إنها فكرة رائعة. سيخيفهم الأمر في البداية، مهما حاولت تسهيل الأمور عليهم. امنحهم الوقت للتكيف".

"أعرف. هذا ما كنت أفكر فيه".

لكنه لم يكن مستعداً أبداً للعنف في ردات فعلهم. أخبرهم في اليوم التالي، حين عادوا إلى المنزل من عطلتهم مع سارة. استقبلهم في المطار وأوصلهم إلى البلدة، قائلاً لهم إنه يخبئ مفاجأة لهم، لكنه رفض إخبارهم ماهيتها. كانوا في معنويات جيدة أثناء العودة، وراحوا يخبرونه عن كل ما قاموا به وشاهدوه، وعن متعة التزلج مع والدتهم. واللافت أن الأمر لم يزعجه. شعر فجأة بالحماس لما سيريهم إياه في نيويورك.

"هل سنشاهد دافني، أبي؟" كانت مليسا من يسأله واكتفى بهز رأسه وتابع القيادة. أخبر أنياس في ذلك الصباح وأصيبت بالذهول لكنها وافقت على الانتقال. لم تكن تهتم بالانتقال معهم إلى نيويورك، طالما أنها مع الأولاد.

وصلوا أمام المبنى ووجد مكاناً لركن السيارة، ثم رافقهم وهم ينظرون ولهم بفضول.

"من يعيش هنا، أبي؟" أراد سام أن يعرف، وهز أولي رأسه، مرافقاً إياهم المصعد وطلب الطابق السابع.

"أهلاً سيدي". ابتسم رجل المصعد. أما حارس الباب فتعرّف إليه فوراً سمح لهم بالدخول. كانوا السكان الجدد للشقة 7هـ، ولهذا السبب لم يسألهم الى أين يذهبون.

وقف أوليفر أمام الشقة ورنّ على الجرس. وحين لم يجب أحد، هزّ كتفيه اخرج المفتاح من جيبه وفتح الباب ولوّح بيديه لأولاده فيما وقفوا يراقبونه عيون مذهولة، متسائلين ما إذا كان أصيب بالجنون.

"أدخلوا أيها الأولاد".

"لمن هذه الشقة؟" كانت ميل تهمس وتخشى الدخول، لكن سام جال مباشرة ونظر من حوله. لم يكن هناك أحد في المنزل، وأشار إلى الآخرين بالانضمام إليه.

وفجأة، فهم بنجامين الأمر وبدا قلقاً فيما هو يدخل. بدأت ميل تهتف بجمال التحف الفنية القديمة.

"أنا مسرور لأنها أعجبتك حبيبتي"، ابتسم أولي. "هذه شقتنا الجديدة في نيويورك. كيف أعجبتكم؟"

"واو!" بدت محتمسة. "ومتى سنستعملها أبي". فهم لم يملكوا أبداً شقة في نيويورك قبلاً، وبدا سام قلقاً فجأة.

"ألن تأتي إلى المنزل بعد الآن خلال أيام الأسبوع، أبي؟"

"طبعاً سأفعل. وفي وقت أبكر من قبل. سوف نعيش جميعنا هنا حتى نهاية العام الدراسي، ونعود إليها مجدداً في شهر سبتمبر". كان يحاول أن يجعل المسألة تبدو بمثابة مغامرة لهم، لكنها فسدت فجأة وبدوا جميعاً مذعورين.

"هل تقصد أننا سننتقل إلى هنا؟" بدت ميل مذعورة. "ماذا عن أصدقائنا؟"

"يمكنك رؤيتهم في عطل نهاية الأسبوع وفي الصيف. وإذا لم يعجبنا الأمر، لن نعود إلى هنا السنة المقبلة. لكنني أظن أنه يجدر بنا التجربة على الأقل".

"هل تقصد أنه علينا تغيير المدارس الآن؟" لم تستطع تصديق ما يقوله. ولا مجال لإخفاء الحقيقة عنها. أومأ برأسه ونظر إلى وجوههم جميعاً. بدا سام مصعوقاً، وجلست ميل في كرسي وبدأت تبكي. أما بنجامين فلم يقل أي شيء على الإطلاق، لكن وجهه تحول إلى كتلة من الجليد فيما نظر إلى والده. عرف أن المسألة ناجمة جزئياً عنه، لكن هذا لن يخفف أبداً من غضبه. لا يملك الحق في أن يفعل هذا بهم، على الإطلاق. فمن المريع كفاية أن تكون أمهم قد رحلت، لكن عليهم الآن تغيير المدارس والانتقال إلى نيويورك. فجأة، سيكون كل شيء مختلفاً. لكن هذا ما أراده أوليفر بالضبط. خصوصاً له، وبنجامين عرف ذلك.

"هيا أيها الأولاد، سيكون ذلك ممتعاً. إعتبروه بمثابة حياة جديدة ممتعة".

"ماذا عن آجي؟" بدا سام فجأة قلقاً على نحو مضاعف. لم يعد يرغب في خسارة أي شخص آخر يحبه، لكن والده سارع إلى طمأنته.

"سوف تأتي إلى هنا أيضاً".

"وآندي؟"

"يستطيع المجيء أيضاً، شرط أن يتصرف حسناً. فإذا أفسد كل الأثاث، سوف نتركه مع الجد ونأخذه في عطل نهاية الأسبوع".

"سيكون جيداً، أقسم لك". كانت عينا سام واسعتين، لكنه على الأقل لم يكن يبكي. "هل أستطيع مشاهدة غرفتي؟"

"طبعاً". كان أولي مسروراً. فعلى الأقل، كان سام يحاول حتى لو كان الولدين الكبيرين لا يفعلان ذلك. كانت مليسا لا تزال تؤدي دور كاميل، فيما

بنجامين يحدق خارج النافذة. "لا يبدو المنزل جميلاً جداً الآن، لكن حين نحضر بعض أغراضنا سيبدو رائعاً". لحسن الحظ أن الرجل صاحب الشقة لديه ولدان وابنة واحدة، وهناك بالتالي غرفتان وفق الطراز الذكوري وأخرى باللون الوردي. لكن مليسا رفضت حتى الدخول لرؤيتها. كانت هذه الغرفة بضعف حجم غرفتها في المنزل وأكثر تكلفاً مما اعتادت عليه. وقد أخبرها سام بذلك حين عاد إلى غرفة الجلوس.

"حسناً، ميل... إنها وردية... سوف تحبينها..."

"لا أبالي. لن آتي إلى هنا. سأبقى مع كارول أو ديبي".

"لا، لن تفعلي". كان صوت أولي هادئاً وحازماً. "سوف تنتقلين إلى هنا معنا. وقد سجلتك في مدرسة ممتازة. أعرف أنه تغيير صعب، لكنه لصالحكم فعلاً، ميل، صدقيني".

التفت بنجامين فجأة نحوهم حين انتهى والده من الكلام. "ما يحاول قوله هو أنه يريد مراقبتي عن كثب، ويريد إبقائي بعيداً عن ساندرا. ماذا عن عطل نهاية الأسبوع، أبي؟ هل ستكون بعيدة عني أيضاً؟" كان صوته مريراً وغاضباً.

"ستبقى بعيدة عنك إلى أن تتحسن علاماتك. قلت لك ذلك وأنا لا أمزح معك. فكل فرصك بالالتحاق بكلية محترمة ستذهب في مهب الريح".

"لا أبالي بشأن ذلك. هذا لا يعني لي أي شيء".

"كان ذلك يعني لك الكثير حين أرسلت طلباتك، أم أنك نسيت؟"

"لقد تغيرت الأمور كثيراً منذ ذلك الحين"، تمتم بصوت خافت وعاد مجدداً إلى النافذة.

"حسناً، هل شاهد الجميع كل ما يريده؟". نجح أوليفر بالرغم من كل شيء في أن يبدو مرحاً، لكن سام كان الوحيد الذي أراد المضي قدماً في الأمر.

"هل هناك فناء خلفي؟"

ابتسم أوليفر له. "ليس تماماً. هناك سنترال بارك على مسافة مبنيين. يفترض أن يفي ذلك بالغرض". أومأ سام برأسه علامة الموافقة. "هل يجدر بنا الذهاب؟" أسرعت مليسا إلى الباب، وتبعها بنجامين ببطء أكبر ويبدو كئيباً. كانت رحلة العودة إلى بورتشايس هادئة، وضاعوا جميعهم في أفكارهم، فيما طرح سام بعض الأسئلة بين الحين والآخر.

كانت أنياس قد حضرت لهم العشاء في المنزل، وأخبرها سام عن الشقة الجديدة. "أستطيع اللعب بالكرة في سنترال بارك... ولديّ غرفة كبيرة جداً... وسنعود إلى هنا ما إن تنتهي المدرسة لقضاء فصل الصيف. ما اسم مدرستي، أبي؟"

"كولجيات".

"كولجيات"، كرر فيما أصغت إليه آجي باهتمام وأبقت عينها على الولدين الآخرين. لم يتفوه بنجامين ولا ميل بأية كلمة منذ جلسا على المائدة. "متى سننتقل مجدداً؟"

"في عطلة نهاية الأسبوع التالية". وفيما لفظ هذه الكلمات، انفجرت مليسا بالبكاء، وغادر بنجامين المائدة بعد دقائق قليلة. أخذ مفاتيح السيارة بهدوء عن طاولة المدخل، ومن دون التفوه بأية كلمة، ذهب بعيداً، فيما أوليفر يراقبه.

لم تخرج ميل من غرفتها أبداً تلك الليلة، وكان الباب مقفلاً حين حاول فتحه. وحده سام كان مسروراً بشأن الانتقال. فهذا شيء جديد ومثير بالنسبة إليه. وبعد وضعه في السرير، نزل أوليفر السلم لانتظار بنجامين حتى يعود إلى المنزل. سيتحدثان جدياً بشأن هذه التصرفات.

لم يعد إلى المنزل إلا في الثانية فجراً، وكان أولي لا يزال في انتظاره، فيما يزداد قلقه شيئاً فشيئاً. وفي النهاية، سمع صوت الحصى في الممشى وتوقفت السيارة خارجاً. فتح الباب بهدوء ودخل أوليفر إلى القاعة للقائه.

"هل تريد أن تأتي إلى المطبخ لنتحدث؟" كان مجرد سؤال بلاغي.

"لا يوجد شيء للتحدث بشأنه".

"يبدو لي أن هناك الكثير، ما يكفي لإبقائك خارجاً حتى الساعة الثانية فجراً، أم أن هذا نوع آخر من المحادثة؟" أفسح الطريق إلى المطبخ من دون انتظار الجواب، وسحب كرسيين. وبعد برهة، جلس بنجامين وكان واضحاً أنه لم يكن يرغب في ذلك. "ما الذي يجري بنجامين؟"

"لا شيء أريد التحدث عنه معك". فجأة، أصبحا عدوين. حدث الأمر بين ليلة وضحاها، لكنه لم يعد مؤلماً أو مسبباً للخيبة.

"لماذا أنت غاضب مني؟ بسبب الماما؟ هل ما زلت تلومني على هذا؟"

"هذا شأنك. وما أفعله شأني أنا. لا أحب إخبارك بما أقوم به. أنا كبير جداً على هذا".

"أنت في السابعة عشرة من العمر، ولست ناضجاً بعد، حتى لو أردت ذلك. ولا يمكنك الاستمرار في خرق كل القواعد، لأنك ستدفع ثمن ذلك غالياً عاجلاً أم آجلاً. هناك دوماً قواعد في الحياة، سواء أحببتها أم لا. وفي الوقت الحاضر، قد لا تدخل حتى إلى الكلية".

"اللعنة على الكلية". صدمت كلماته أولي.

"ما كل هذا؟"

"لديّ أشياء أخرى أكثر أهمية أفكر فيها".

تساءل أوليفر لبرهة ما إذا كان ثملاً، لكنه لم يبدو كذلك، وشك أولي في أنه ليس كذلك.

"مثل ماذا؟ تلك الفتاة؟... ساندرا كارتر؟ في عمرك، هذه قصة عابرة، بنجامين. وإذا لم تكن كذلك، عليك الانتظار لوقت طويل قبل أن تتمكن من فعل أي شيء حيال ذلك. عليك إنهاء المدرسة، والذهاب إلى الكلية، والحصول على وظيفة، وجني المال لإعالة الزوجة والأولاد. هناك طريق طويل أمامك، ومن الأفضل لك أن تبقى في المسار الصحيح الآن أو ستقع في ورطة كبيرة قبل أن

تدرك ذلك". بدا بنجامين أنه يضعف تدريجياً فيما يصغي إلى والده، ثم نظر إليه.

"لن أنتقل إلى نيويورك معك. لن أفعل".

"ليس لديك خيار. عليك فعل ذلك. سأقفل المنزل هنا، إلا في عطل نهاية الأسبوع. ولن أدعك تعيش هنا وحدك. الأمر بهذه البساطة. وإذا أردت معرفة الحقيقة، نحن ننتقل من هنا بسببك أنت جزئياً، بحيث تتمكن من الحصول على شهادتك قبل أن يفوت الأوان كثيراً، وأستطيع قضاء المزيد من الوقت معكم جميعاً في المساء".

"لقد فات الأوان كثيراً على ذلك الآن. ولن أذهب".

"لماذا؟" كان هناك صمت طويل في الغرفة فيما أوليفر ينتظر. وأخيراً، أجاب الولد.

"لا أستطيع ترك ساندرا".

"لماذا؟ ماذا لو سمحت لك برؤيتها في عطل نهاية الأسبوع؟"

"سوف تذهب أمها إلى كاليفورنيا، ولن يبقى لها أي مكان لتمكث فيه".
كاد أوليفر يزمجر على الصورة التي كان يرسمها.

"ألن تذهب ساندرا معها؟"

"لا يتفقان معاً. وهي تكره والدها. لن تذهب إلى فيلادلفيا للعيش معه أيضاً".

"ماذا ستفعل؟"

"تتخرج من المدرسة وتعثر على وظيفة وتبقى هنا، لكني لا أريد أن أتركها وحدها".

"هذا نبل منك. لكنها تبدو مستقلة جداً".

"ليست كذلك. هي تحتاج إلي". كانت هذه المرة الأولى التي يكون فيها منفتحاً ويتحدث عنها، وكان أوليفر متأثراً وإنما أيضاً خائفاً مما سيسمعه. لم تكن تبدو من نوع الفتيات التي يستطيع أي كان التورط معهن. إنها تبدو مثل مشكلة. "لا أستطيع تركها أبي".

"سوف تكون مضطراً إلى تركها في الخريف حين تذهب إلى الكلية في اية حال. يمكنك التعاطي مع ذلك الآن، قبل أن تصبح المشكلة أكبر". لكن بنجامين ابتسم للسخرية من كلماته.

"لا أستطيع الذهاب". كان عنيداً وشعر أوليفر فجأة بالارتباك.

"إلى الكلية أو نيويورك؟" كانت هذه فعلاً مشكلة جديدة.

"إلى الاثنين معاً". بدا بنجامين عنيداً وشبه يائس.

"لكن لماذا؟" كان هناك صمت طويل آخر، ونظر إليه بنجامين أخيراً وقرر إخباره كل القصة. لقد تحملها وحده ما يكفي من الوقت، وإذا أراد والده أن يعرف، عليه إذاً إخباره.

"لأنها حامل".

"أوه، يا إلهي... أوه يا إلهي!.... لماذا لم تخبرني بحق الجحيم؟"

"لا أعرف... لم أظن أنك تريد أن تعرف... وفي أية حال، إنها مشكلتي". أمسك برأسه، وهو يشعر بعبئه الكامل، مثلما هي الحال منذ أشهر.

"ألهذا السبب ستتركها أمها وتذهب إلى كاليفورنيا؟"

"جزئياً. لكنهما لا يتفقان، وتملك أمها صديقاً جديداً".

"وما رأيها في أن ابنتها حامل؟"

"تتصور أنها مشكلة ساندرا، وليست مشكلتها. لقد طلبت منها الخضوع لإجهاض".

"و... هل ستفعل؟"

هز بنجامين رأسه ونظر إلى والده مع كل ما يؤمن فيه، في عينيه، مجاهراً بحبه وقيم والده. "لن أتخلى عنها".

"بحق الله، بنجامين..." نهض أوليفر وبدأ يذرع المطبخ جيئة وذهاباً. "لن تخذلها؟ لمَ لا؟ ماذا ستفعل فتاة في السابعة عشرة من عمرها بطفل؟ أم تنوي التخلي عنه للتبني؟"

هز بنجامين رأسه مجدداً. "تقول إنها تريد الاحتفاظ به".

"بنجامين، أرجوك كن منطقياً. أنت تدمر حياة ثلاثة أشخاص، وليس فقط شخصاً واحداً. أطلب من الفتاة أن تجهض".

"لا تستطيع".

"لماذا؟"

"لأنها حامل في شهرها الرابع".

جلس مجدداً بصوت مكتوم. "يا لهذه الجلبة التي ورّطت نفسك فيها. ولا عجب أنك تتغيب عن الصفوف وترسب، لكن لديّ أخبار لك. سوف نجتاز هذه الفوضى معاً، لكنك ستنتقل معي إلى نيويورك في الأسبوع المقبل".

"أبي، لقد أخبرتك". نهض بنجامين، وبدا غير صبور. "لن أتركها. إنها وحيدة وحامل، وهي تحمل طفلي. أنا أهتم بها وبالطفل". وفجأة، امتلأت عيناه بالدموع. كان متعباً ومنهكاً، ولا يريد المجادلة أكثر. فقد كانت الأمور قاسية ما يكفي بالنسبة إليه، من دون تحدي والده أيضاً. "أبي، أنا أحبها... أرجوك لا تتدخل في هذا". لم يقل له بنجامين إنه عرض على الفتاة الزواج، لكن ساندرا رأت أن الزواج غبي. فهي لا تريد أن تنتهي بالطلاق مثل أهلها.

توجه أولي نحوه ووضع ذراعاً حوله. "عليك أن تكون منطقياً... عليك فعل الأمور الصحيحة... لكما معاً. وتبديد حياتك لن يجدي نفعاً لأي كان. أين تعيش الآن؟" عبرت آلاف الاحتمالات رأس أولي فيما كانا يتحدثان، وتمثل أحدها في دفع أجرتها للمكوث في دار للأمهات العازبات.

"في المنزل، لكنها ستنتقل إلى شقة في بورت شستر. أنا أساعدها في دفع الإيجار".

"هذا نبل منك، لكنها ستحتاج إلى الكثير من المال بعد فترة وجيزة. هل لديك فكرة عن مدى تكلفة الأولاد؟ كم يكلف إنجاب الولد؟"

"ماذا تقترح أبي؟" بدا ساخراً مجدداً، "أن نقوم بإجهاض لأنه أرخص؟ إنه

طفلي الذي في داخلها. أنا أحبه وأحبها، ولن أتخلى عن أي منهما، هل تفهم ذلك؟ ولن أنتقل إلى نيويورك. سأحسّن علاماتي هنا، من دون الذهاب إلى أي مكان. أستطيع دوماً البقاء معها إذا اضطررت لذلك".

"لا أعرف ما الذي يجدر بي قوله بعد الآن. هل أنت واثق من أنها حامل في شهرها الرابع؟" هز بنجامين رأسه وشعر أوليفر بالاكتئاب حين أدرك أن حادثتهم" الصغيرة تزامنت مع رحيل سارة. لقد أصيبوا جميعاً بالجنون لبرهة، لكن جنون بنجامين سيدوم لمدى الحياة. "هل ستتخلى عنه؟"

هز بنجامين رأسه مجدداً. "لا، لن نفعل، أبي". هذا مضحك. لطالما ظننت أنك معارض للإجهاض". كانت الصفعة مؤلمة. فقد كان هو الرجل الذي حارب سارة كل مرة لإنقاذ أولاده الثلاثة، لكنه يريد الآن أن يتم إجهاض طفل بنجامين. لكن هذا مختلف جداً.

"في معظم الظروف، أنا كذلك. لكن ما تفعله سيدمر حياتك، وأنا أهتم بك أكثر من ذلك الطفل".

"هذا الطفل جزء مني، وجزء منك، وأمي... وساندرا.... ولن أسمح لأحد بقتله".

"كيف ستعيله؟"

"أستطيع تدبر وظيفة بعد المدرسة إذا اضطررت لذلك. وتستطيع ساندرا العمل أيضاً. إنها لا تفعل ذلك لتنال شيئاً مني، أبي. لقد حصل الأمر فقط ونحن نتعامل معه بأفضل ما يمكن". ولم يكن هذا رائعاً، حتى هو عرف ذلك.

"منذ متى وأنت تعلم؟" هذا يبرر بلا شك جديته في الأشهر الأخيرة واختفاءاته المستمرة وتحديه.

"منذ فترة. شهرين، حسب ما أظن. لم تكن واثقة في البداية، لأن دورتها لم تكن منتظمة أبداً، وأخذتها من ثم إلى عيادة".

"هذا جيد حسب ما أظن. والآن؟ هل تخضع لرعاية طبية ملائمة؟"

"آخذها إلى الطبيب مرة كل شهر". إنه أمر لا يصدق... طفله... طفله الأول... سيصبح أباً. "هذا يكفي، أليس كذلك؟" بدا فجأة قلقاً مجدداً.

"في الوقت الحاضر. هل تظن أنها تقبل الذهاب إلى دار للأمهات العازبات؟ يستطيعون الاعتناء بها، ويساعدونها في النهاية على إعداد الترتيبات للطفل".

"أي نوع من الترتيبات؟" بدا بنجامين مشككاً فجأة.

"هذا يعود لها... ولك.. لكنه سيكون مكاناً محترماً للعيش، مع فتيات لهنّ الوضع نفسه".

أومأ بنجامين برأسه. إنها فكرة في أية حال. "سأسألها".

"ومتى يفترض أن يولد الطفل؟"

"في أواخر سبتمبر".

"ستكون في المدرسة عندئذ".

"ربما". لكن هذا كان شجاراً آخر، وعرف كلاهما أنهما متعبان لهذا. فقد تجاوزت الساعة الرابعة فجراً ويشعران كلاهما بالإرهاق.

"إذهب إلى السرير. سوف نتحدث غداً". لامس كتف بنجامين مع نظرة من الحنان والحزن.

"أنا آسف بنيّ. أنا آسف لأن هذا حدث لكليكما. سوف نتدبر الأمر بطريقة ما".

"شكراً أبي". لكن أياً منهما لم يكن مقتنعاً فيما صعدا السلم إلى الأعلى، مع أفكارهما الخاصة ومشاكلهما الخاصة. وأغلق باب كل غرفة بهدوء وراءهما.

الفصل الحادي عشر

تحدثا طويلاً في الليل، وفي كل ليلة من ذلك الأسبوع تقريباً، ولم توصلا إلى أية نتيجة. وفي إحدى الليالي، ذهب أوليفر لرؤية ساندرا وشعر بالحزن حين شاهد الفتاة. فقد كانت جميلة وغير ذكية كثيراً، خائفة ووحيدة، وكأنها من عالم آخر. تشبثت ببنجامين كما لو أنه الشخص الوحيد الذي يستطيع إنقاذها. وكانت مصرّة على شيء واحد، تماماً مثل بنجامين، ألا وهو إنجاب الطفل.

سيطر اليأس على أوليفر، واتصل بسارة في النهاية.

"هل أنت مدركة لما يجري في حياة ابنك البكر؟" بدا ذلك مثل مسلسل تلفزيوني كوميدي حتى بالنسبة إليه، لكن كان لا بد من القيام بشيء ما حيال ذلك، فهو لا يستطيع قضاء بقية حياته مع هذه الفتاة وطفلهما.

"اتصل بي الليلة الفائتة؟ لا أظن أنه يجدر بك التدخل".

"هل أنت مجنونة؟" أراد خنقها بواسطة حبل الهاتف. "ألا تفهمين ماذا سيفعل ذلك في حياته؟"

"ماذا تريده أن يفعل؟ يقتل الفتاة؟"

"لا تكوني مغفلة أرجوك"، لم يستطع تصديق ما يسمعه منها. "تستطيع التخلص منه، أو على الأقل إرسال الطفل للتبني. ويفترض أن يعود بنجامين إلى وعيه".

"لا يبدو ذلك مثل أوليفر الذي أعرفه... منذ متى أصبحت مناصراً للإجهاض؟"

"منذ أن جعل ابني البالغ من العمر سبعة عشر عاماً صديقته ابنة السبعة عشر عاماً حاملاً، واقترح تدمير حياتهما بالتحلي بالنبل".

"ليس لديك حق التدخل في ما يعتبره صحيحاً".

"لا أصدق أني أسمع ذلك منك. ما الذي يحدث لك؟ ألا تهتمين بتعليمه؟ ألا تدركين أنه يريد التخلي عن المدرسة الآن، والخروج من الثانوية، ونسيان أمر الكلية تماماً؟"

"سوف يغير رأيه. إنتظر حتى يبدأ الولد الصغير بالبكاء ليلاً ونهاراً، تماماً مثلما فعل هو. سوف يتوسل إليك أن تساعده على الفرار، لكن في غضون ذلك عليه أن يقوم بما يراه صحيحاً".

"أظن أنك مجنونة مثله. لا بد أن الأمر وراثي. وهل هذه هي النصحية التي تسدينها إليه؟"

"قلت له أن يقوم بما يؤمن به".

"هذا هراء".

"ماذا تقول له أن يفعل؟"

"أن يوقف جنونه، ويرفع علاماته، ويعود إلى المدرسة، ويرسل الفتاة إلى دار للأمهات العازبات، ويرسل الطفل إلى التبني".

"لا شك في أن هذا لطيف ومناسب في أية حال. من المؤسف جداً أنه لا يوافقك الرأي".

"ليس ضرورياً أن يوافقني الرأي، سارة. إنه قاصر. عليه أن يفعل ما نقوله له".

"ليس إذا قال لك أن تذهب إلى الجحيم، وهذا ما سيفعله إذا أصريت عليه كثيراً".

"تماماً مثلما فعلت؟" كان غاضباً منها، كانت تتلاعب بحياة بنجامين بسبب أفكارها الليبرالية اللعينة.

"نحن لا نتحدث عنا. نحن نتحدث عنه".

"نحن نتحدث عن أحد أولادنا وهو يدمر حياته، وأنت تتفوهين بالحماقات".

"واجه الحقيقة، أوليفر. إنه ولده، وحياته، وسيفعل تماماً ما يريده، سواء أردت ذلك أم لا، ولذلك لا تزعج نفسك بالأمر". لا يجدي أبداً التحدث إليها، وأقفل السماعة في النهاية، وهو يشعر بإحباط أكثر من قبل.

وفي صباح يوم السبت، جاء بنجامين إلى والده فيما ظهرت شاحنة النقل في المدخل. كانوا يرسلون أشياء صغيرة إلى نيويورك، بعض الشراشف والثياب التي يحتاجون إليها.

"هل أنت مستعد للذهاب، بنيّ؟" حاول أوليفر أن يبدو مرحاً، كما لو أنه لا يوجد أي خطب، كما لو أن هذا يشكل فرقاً ويقنعه. لكن بنجامين بدا هادئاً ومصمماً.

"جئت لأقول لك وداعاً، أبي". كان هناك صمت لامتناهٍ بينهما.

"عليك أن تأتي معنا، بنيّ. من أجلك. وربما من أجل ساندرا".

"لن أذهب. سوف أبقى هنا. اتخذت قراري. سوف أترك المدرسة الآن. حصلت على وظيفة في مطعم، وأستطيع المكوث في شقة ساندرا معها". بطريقة ما، لقد أجبره أوليفر على فعل ذلك من خلال الانتقال إلى نيويورك، وشعر بالأسف حيال ذلك.

"وماذا لو سمحت لك بالبقاء في المنزل؟ هل ستعود إلى المدرسة؟"

"سئمت من المدرسة. أريد الاعتناء بساندرا".

"بنجامين، أرجوك.... يمكنك الاعتناء بها بصورة أفضل إذا أكملت تعليمك".

"أستطيع دوماً العودة إلى المدرسة في وقت لاحق".

"هل تعرف المدرسة هذا الأمر؟" بدد بنجامين آخر آمال والده حين هزّ رأسه.

"أخبرتهم بعد ظهر أمس".

"وماذا قالوا؟"

تمنوا لنا التوفيق. كانت ساندرا قد أخبرت أستاذها بشأن الطفل".

"لا أصدق أنك تفعل ذلك".

"أريد أن أكون معها... ومع ابني... أبي، لكنت فعلت الشيء نفسه".

"ربما، لكن ليس بالطريقة نفسها. أنت تفعل الشيء الصحيح، ولكن بالطريقة الخاطئة وللأسباب الخاطئة".

"أنا أفعل أفضل ما أستطيعه".

"أعرف أنك كذلك. ماذا لو خضعت لاختبار الثانوية، وأخذت بعض الاستراحة الآن وذهبت إلى الكلية في الخريف. لا يزال هذا احتمالاً، أنت تعرف".

"نعم، لكن ليس هذا ما أريده بعد الآن. أريد أن أكون خارجاً في العالم الحقيقي. لديّ مسؤوليات حقيقية خاصة بي، ولدي امرأة أحبها... وطفل في سبتمبر". من السخيف التفكير في ذلك، لكنه كان حقيقياً. أراد أوليفر البكاء وهو يقف على المدخل الأمامي، يراقب الرجال وهم ينقلون الصناديق داخل المنزل وخارجه، تحت إشراف آجي. كان كله جنوناً. ففي أربعة أشهر، دمّرت سارة حياتهم، ولن يعود الآن أي شيء إلى ما كان قبلاً. تساءل فجأة عن سبب انتقاله إلى نيويورك إذا لم يكن بنجامين آتياً. ورغم ذلك، كانت هناك بعض الأمور التي أحبها في الفكرة، مثل القدرة على العودة إلى المنزل في وقت أبكر، وقضاء المزيد من الوقت مع ميل وسام. لقد هدأت ميل خلال الأسبوع الماضي، وعرفت أن الانتقال سيستغرق شهرين فقط في الوقت الحاضر، وهو للتجربة، وسوف يعودون إلى بورتشايس في عطل نهاية الأسبوع وفي الصيف بأكمله. وما جعل الأمر أكثر متعة هو أن جميع أصدقائها تأثروا بالفكرة وكانوا متحمسين جداً للمجيء معها ورؤية المدينة. "أبي، عليّ الرحيل. أبدأ عملي في الثانية تماماً، وساندرا تنتظرني في الشقة".

"هل ستتصل بي؟"

"طبعاً. تعال وزرنا حين تكون في المدينة".

"أحبك بنجامين. أنا أحبك فعلاً فعلاً". طوق ولده بذراعيه وجعله قريباً منه فيما راحا يبكيان.

"شكراً أبي. سيكون كل شيء على ما يرام..." أومأ أوليفر برأسه، لكنه لم يصدق ذلك. لن يكون أي شيء على ما يرام مجدداً، أو على الأقل ليس لوقت طويل طويل.

راقب أوليفر الصبي وهو يبتعد والدموع تنهمر على وجنتيه، ولوّح له ببطء، ثم أصبح بنجامين بعيداً عن الرؤية وعاد والده ببطء إلى المنزل. لقد سبب كل هذه الفوضى اللعينة من دون أن يقصد ذلك، وقد خرج الآن بنجامين من المدرسة ليعمل في مطعم ويعيش مع امرأة فاسقة، لكن شيئاً جيداً سينجم عن ذلك ربما، في يوم ما.... في يوم بعيد جداً...

داخل المنزل، كانت الفوضى تسيطر على كل شيء. فقد كان رجال النقل في كل مكان، وكان الكلب ينبح بطريقة مسعورة، وكان سام متحمساً جداً لدرجة أنه بالكاد استطاع تحمل الأمر، وراح يركض في المنزل وهو يمسك دبه. بقيت ميل على الهاتف حتى آخر ثانية تقريباً، وأصرت آجي على ترك كل شيء مرتباً. لكنهم ذهبوا في النهاية، مع نظرة أخيرة على المنزل الذي يحبونه، وهم يتبعون شاحنة النقل إلى مغامرة جديدة في نيويورك. وهناك، استقبلتهم نبتة من دافني، مع فاكهة وحلوى للأولاد، وعلبة من بسكويت الكلاب لآندي. كان هذا الترحيب المثالي، وأطلقت ميل صرخة حماس عالية حين شاهدت غرفتها وحضرت فسحة للهاتف فيها.

وفيما استقروا جميعاً، لم يستطع أوليفر سوى التفكير في بنجامين وحياته الجديدة، الحياة التي سيندم عليها كثيراً يوماً ما، إذا استغرقت المسألة وقتاً طويلاً للندم عليها. وشعر أوليفر كأنه يخسر، الواحد تلو الآخر، الأشخاص الذين يحبهم كثيراً.

الفصل الثاني عشر

كان الانتقال إلى نيويورك أفضل شيء قاموا به منذ سنوات. هذا ما أدركه أوليفر في غضون أيام قليلة. فقد أحب سام مدرسته الجديدة ووجد سهولة في التعرف إلى أصدقاء جدد. وكانت ميل متحمسة جداً لمدرستها الجديدة، وتقضي الوقت مع دافني كلما استطاعت، وتذهب إلى بلومينغدايل، وتتصل بكل شخص تعرفه لإخباره عن التطورات الجديدة في حياتها الرائعة الجديدة في المدينة. والأفضل من كل ذلك أن أوليفر نجح في العودة إلى المنزل قبل العشاء كل ليلة، وكان يمضي الوقت الذي يريده مع أولاده. كانت ميل لا تزال تمضي معظم وقتها على الهاتف رغم أنها تعرف أنه هناك. وكان هو وسام يمضيان ساعات طويلة في التحدث والقراءة واللعب. ومع ازدياد دفء الطقس في بداية شهر مايو، كانا يذهبان أحياناً إلى الحديقة العامة للعب الكرة بعد تناول العشاء. كانت هذه الحياة المثالية، إلا لبنجامين الذي اشتاق إليه أوليفر على الدوام وشعر بالقلق عليه معظم الوقت. لقد خسر شخصين لغاية الآن، رغم أنه أصرّ على رؤية الصبي كل أسبوع حين يعودون إلى المنزل في بورتشايس لقضاء عطل نهاية الأسبوع. أراده أن يأتي ويتناول العشاء معهم، لكن بين كان يعمل في الليل، وهذا ما حطم فؤاد والده تقريباً حين توقف ليشاهده يعمل في المطعم كمساعد للنادل مقابل أجر زهيد. جدد عليه عرضه للسماح له بالبقاء في المنزل، رغم أنه لم يحب فكرة عيشه وحده، وتوسل إليه للعودة إلى المدرسة. لكن بنجامين لن يترك ساندرا الآن. وحين لمحها أوليفر بعد ظهر يوم سبت، أصيب بالصدمة. فقد كانت تبدو أنها حامل منذ أكثر من خمسة أشهر، وتساءل أوليفر ما إذا كان الطفل فعلاً هو من ابنه. سأل بنجامين حين أتيحت له الفرصة، لكن الصبي بدا منزعجاً وأصرّ على أن الطفل منه. قال إنه واثق من ذلك. ولم يشأ أوليفر الضغط عليه.

لكن الصفعة الأصعب جاءت حين بدأت تصل رسائل الجامعات. كان أوليفر يجدها في المنزل في عطلة نهاية الأسبوع. فقد أراد بنجامين الاستمرار في تلقي بريده على هذا العنوان. لم تبلغ المدرسة الجامعات أبداً أن بنجامين خرج من المدرسة، ولذلك تم قبوله في كل الجامعات باستثناء جامعة ديوك. كان باستطاعته الذهاب إلى هارفارد، أو برينستون أو يال، لكن ها هو بدل ذلك يكشط الطعام عن أطباق الأشخاص الآخرين في مطعم، وسيصبح أباً في عمر الثمانية عشر عاماً. كان قلب أولي يتحطم لمجرد التفكير في ذلك. أجاب أولي على كل الرسائل بنفسه، شارحاً للجميع أنه نظراً لظروف عائلية صعبة في الوقت الراهن، لن يستطيع القبول، لكنه يود إعادة تقديم طلبات في السنة المقبلة. ما زال أولي يأمل في جلبه إلى نيويورك لإنهاء المدرسة. ستكون ضاعت سنة من حياته، وليس أكثر. ولم يناقش الموضوع مجدداً مع بنجامين. كان موضوعاً حساساً، وبدا بنجامين منهمكاً تماماً في حياته مع ساندرا.

"ماذا عن المجيء إلى نيويورك لبضعة أيام في وقت ما؟" كان أوليفر ليفعل أي شيء لنقله إلى هناك، لكن الصبي كان جاداً بشأن مسؤولياته، ولذلك رفض العرض دوماً شارحاً أنه لا يستطيع ترك ساندرا وحدها. ولم يوسع أوليفر الدعوة أبداً لتطالها. ولم يذهب بنجامين أيضاً إلى بوسطن لرؤية أمه منذ أن ترك المنزل، لكن بدا أنه يتحدث إليها بين الحين والآخر. لكن سام وميل زاراها بعد أن استقرا في منزلهما الجديد. بديا أكثر هدوءاً بشأن الأمور هذه المرة حين عادا، وشعر أوليفر أن سام يشعر بعدم السعادة من أمر ما. حاول سؤال ميل عن الأمر ذات مرة، لكنها كانت غامضة واكتفت بالقول إن أمها مشغولة جداً في المدرسة. لكن أوليفر شعر أن هناك أمراً آخر، واكتشف الأمر ذات مرة حين كان يلعب هو وسام بالورق. كانت ليلة هادئة وكانا وحدهما. أما ميل فكانت تدرس في غرفتها.

"ما رأيك في الأشخاص الفرنسيين، أبي؟" كان هذا سؤالاً غريباً ونظر إليه والده بوجه مقطب ومذهول.

"الأشخاص الفرنسيون؟ لا بأس بهم. لماذا؟"

"لا شيء. كنت أتساءل فقط". لكن أولي شعر أن هناك المزيد وأراد الصبي التكلم رغم أنه كان خائفاً.

"هل هناك صبي فرنسي في مدرستك؟"

هز سام رأسه ورمى ورق اللعب مرة أخرى، وهو يربت على رأس ادي فيما ينتظر والده للعب. كان يحب الأمسيات التي يتشاركانها في الوقت الحاضر. لقد بدأ حقاً يستمتع بحياتهم الجديدة. لكنه ما زال يشتاق إلى أمه وبنجامين، مثلما يفعل ثلاثتهم. "أمي لديها هذا الصديق..." خرجت الكلمات من فمه فيما كان يلعب، وحدق في الورق، وفجأة انتصبت هوائيات والده. هذه هي القصة إذاً. لديها صديق.

"أي نوع من الصديق؟"

هز الولد كتفيه، واختار ورقة أخرى. "لا أعرف. لا بأس به حسب ما اظن". صادف أن ميل كانت مارة وتوقفت لتحاول لفت انتباه سام، لكن هذا الأخير لم يكن ينظر إليها. نظر أوليفر إليها وشاهد النظرة في وجهها فيما كانت تتوجه ببطء نحوهم.

"من يربح؟" حاولت صرف انتباههما معاً عما قاله سام للتو. عرفت أنه لا يجدر بهما التحدث عن الأمر، رغم أن سارة لم تطلب منهما ذلك، لكن هذا كان مفهوماً بينهم.

"سام يربح. كنا نتحدث قليلاً".

"نعم". نظرت ميل إلى سام مستنكرة. "هذا ما سمعته".

"تملك أمك صديقاً فرنسياً جديداً؟".

"أوه، ليس جديداً"، أضاف سام بسرعة. "كان هناك قبلاً. التقيناه مرة أخرى أيضاً. لكنه يعيش الآن مع أمي. أنت تعرف، مثل صديق. إنه من فرنسا واسمه جان بيار. إنه في الخامسة والعشرين، وهو هنا ضمن برنامج تبادل لسنتين".

"كم هذا جميل له". اشتدت قسمات وجه أوليفر فيما كان يختار ورقة أخرى من دون حتى أن يراها. "هذا جميل لأمك أيضاً، حسب ما أظن. كيف هو شكله؟" كان يكره انتزاع المعلومات من الولد، لكنه أراد أن يعرف الآن. إنها تعيش مع رجل في الخامسة والعشرين، وتكشف له عن أولادها. كان الأمر يغضبه بمجرد التفكير فيه.

"ليس مهماً كثيراً. نام على الأريكة حين كنا نحن هناك". وحين لا تكونان هناك، أراد أن يسأل. أين ينام حينها؟ لكنهم كانوا جميعاً يعرفون الجواب. حتى سام ذكر الأمر أمام ميل في طريق العودة، لأنه أراد أن يعرف ما إذا كانت تظن أنه أمهم تحبه. وأصريت عليه عندئذ بأن يعدها بألا يخبر والدهم.

"هذا جميل"، كرر مجدداً. "هل هو شاب لطيف؟"

"لا بأس به". بدا سام غير معجب به. "إنه يهتم كثيراً بأمي. هذا ما يفعله الرجال الفرنسيون حسب ما أظن. يجلب لها الأزهار والأشياء وجعلنا نتناول الكرواسان. أنا أحب المافن الانكليزي أكثر، لكن لا بأس بها. ليس الأمر مهماً كثيراً". إلا لأوليفر الذي شعر كأن الدخان يخرج من أذنيه. فبالكاد استطاع الانتظار حتى يضع سام في السرير، وبدا أن الأمر طال ساعات عدة حتى نجح أخيراً في التحرر منه، وجاءت إليه ميل عندئذ وهي تشك في كيفية شعوره بشأن ما قاله سام.

"لم يكن يجدر به إخبارك بهذا. أنا آسفة أبي. أظن أنه مجرد صديق لأمي. من الغريب فقط أنه كان يعيش هناك".

"أراهن أنه يفعل ذلك".

"قال إن إيجاره انتهى، وكانت أمي تسمح له بالنوم على الأريكة إلى أن يجد مكاناً آخر للعيش فيه. كان لطيفاً معنا. لا أظن أن هذا يعني أي شيء". كانت عيناها كبيرتين وحزينتين، وعرف كلاهما أن الأمر يعني أكثر مما تريد الاعتراف به أمام والدها. فقد كان ذلك يعني أن سارة رحلت، وهناك رجل في حياتها، على عكس أوليفر الذي لا يزال يتوق إليها كل ليلة، ولم يواعد امرأة

منذ غادرت، ولا يزال غير راغب في فعل ذلك.

"لا تقلقي بشأن ذلك، ميل". حاول أن يبدو أكثر استرخاء مما يشعر به حقيقة، لأجلها هي إذا لم يكن لشيء آخر. "لدى أمك الحق في أن تفعل ما تريده الآن. إنها حرة. كلانا كذلك، حسب ما أظن".

"لكنك لا تخرج أبداً، أليس كذلك أبي؟" وحين نظرت إليه، بدت فخورة به. ابتسم لها. لإنه أمر غريب للافتخار به.

"أنا لا أجرب الموضوع، حسب ما أظن. فأنا مشغول في القلق عليكم جميعاً".

"يجدر بك فعل ذلك ربما في أحد هذه الأيام. تقول دافني إن هذا سيكون مفيداً لك".

"أوه هل تقول ذلك؟ حسناً، قولي لها أن تهتم بشؤونها. فلديّ ما يكفي من الارتباك في حياتي من دون إضافة ذلك".

ثم نظرت إليه ابنته وعرفت الحقيقة. شعرت بالأسف حياله. "ما زلت تحب أمي، أليس كذلك أبي؟"

تردد لوقت طويل، وهو يشعر بالحماقة لقول ذلك، لكنه هزّ رأسه فيما تكلم. "نعم، أنا كذلك، ميل. أظن أحياناً أني سأبقى دوماً كذلك. لكن لا جدوى من هذا الآن. فقد انتهى الأمر لنا جميعاً". هي تعرف ذلك منذ مدة، وشك في انهم يفعلون جميعاً ذلك. فقد مرت خمسة أشهر منذ أن غادرت ولم ينتج أي شيء مثلما وعدت. لا عطل في نهاية الأسبوع، لا عطل، ونادراً ما تتصل في الوقت الحاضر. وهو الآن يعرف السبب إذا كانت تعيش مع شاب في الخامسة والعشرين من فرنسا واسمه جان بيار.

"أظن أن الأمر كذلك". بدت ميل حزينة عليه. "هل ستطلقان؟"

"في أحد هذه الأيام، حسب ما أظن. لست على عجلة. سوف أرى ما تريد أمك فعله". وبعدما ذهبت ميل إلى السرير، اتصل بها في تلك الليلة، متذكراً ما قاله

سام، ولم يحوم حول الموضوع دون الدخول فيه. فلا جدوى من فعل ذلك. لقد ولى منذ مدة زمن اللعب معها.

"ألا تظنين أنها قلة ذوق حقيقية أن يكون هناك رجل معك حين تستقبلين الأولاد؟" لم يكن هناك غضب في صوته هذه المرة، وإنما مجرد قرف. فهي لم تعد المرأة التي عرفها وأحبها. إنها شخص آخر. وهي تنتمي إلى شاب اسمه جان بيار. لكنها كانت أم أولاده أيضاً، وهذا ما أقلقه أكثر.

"أوه... ذلك... إنه مجرد صديق، أولي. وقد نام على الأريكة. أما الأولاد فناموا في الغرفة معي".

"لا أظن أنك تضحكين على أحد. فقد عرف كلاهما ما يجري. على الأقل ميل فعلت ذلك، أستطيع أن أؤكد لك ذلك. وأظن أن سام يملك فكرة واضحة أيضاً. ألا يزعجك هذا؟ ألا يحرجك أن يكون عشيقك موجوداً؟" كان هذا اتهاماً في الوقت الحاضر، وما أزعجه فعلاً هو عمر الشاب. "أشعر أني لم أعد أعرفك. ولست واثقاً من أني أريد ذلك".

"هذا شأنك الآن، أوليفر. أما كيف أعيش حياتي ومع من فهذا شأني. قد يجديهم نفعاً لو كانت حياتك أنت طبيعية أكثر قليلاً".

"فهمت. ماذا يعني ذلك؟ يجدر بي إحضار فتاة في التاسعة عشرة من عمرها لمجرد إثبات نفسي أمامهم؟"

"لا أثبت أي شيء. نحن صديقان جيداً. والعمر ليس مهماً".

"لا أهتم بذلك. حد أدنى من الذوق، على الأقل حين يكون أولادي هناك. إعرفي فقط كيف تحافظين عليه".

"لا تهددني، أوليفر. لست واحدة من أولادك. لست خادمتك. لم أعد أعمل لصالحك بعد الآن. وإذا كان هذا ما تقصده حين تقول إنك لا تعرفني، فإنك محق. أنت لم تعرفني أبداً. كنت مجرد امرأة مستأجرة للحفاظ على ترتيب أولادك وغسل ثيابك".

"من المقرف قول ذلك. لقد عشنا شيئاً أكثر من ذلك، وأنت تعرفين هذا. لما كنا بقينا مع بعضنا عشرين سنة لو كنت بالنسبة إليّ مجرد خادمة".

"لم يلاحظ أحد منا الأمر ربما".

"وما الفرق الآن، سوى أنك هجرت أولادك؟ ما الذي أصبح أفضل؟ من يطهو؟ من ينظف؟ من يخرج النفايات؟ لا بد أن يفعل أحدهم ذلك. كنت أقوم بعملي. وكنت تقومين بعملك. وقد نفذنا معاً شيئاً رائعاً إلى أن أفسدت الأمر، وتخليت عنه، وعنا جميعاً، وخاصة عني. لكني أعرف على الأقل ما كان لدينا. كان لدينا شيئاً جميلاً ومحترماً وجديراً. لا تحطي من قدره الآن لمجرد انك رحلت".

كان هناك صمت طويل في جهتها، ولم يكن واثقاً لبرهة ما إذا كانت تبكي.

"أنا آسفة... أنت محق ربما... فقط.. أنا آسفة، أولي... لم أستطع تحمل الأمر..."

أصبح صوته أكثر رقة مجدداً. "أنا آسف لأنك كذلك". كان صوته عذباً وأجشاً. "أحببتك كثيراً، سارة، وحين غاردت ظننت أن هذا سيقتلني".

ابتسمت عبر دموعها. "أنت طيب جداً وقوي جداً لتسمح بأي شيء بأن يحطمك طويلاً. أولي، أنت لا تعرف الأمر حتى، لكنك الفائز".

"إذاً، ما الذي حدث؟" ابتسم بكآبة. "لا يبدو لي أني ربحت. فحين نظرت لآخر مرة، لم أجدك في غرفة نومي".

"لقد فزت ربما. لكنك ستحصل هذه المرة على شيء أفضل. شيء أفضل يلائمك أكثر وما تريده. كان يجدر بك الزواج من فتاة ذكية ورائعة أرادت أن تكوّن لك منزلاً جميلاً وتنجب لك الكثير من الأولاد".

"هذا ما حصلت عليه معك".

"لكنه لم يكن حقيقياً. لقد فعلت ذلك لأني كنت مجبرة فقط. هذه هي المشكلة في ذلك. أردت أن أفعل ذلك، أن أعيش حياة غجرية من دون مسؤوليات غير مسؤولياتي. لم أشأ أن أدين لأي كان أو لأي شيء. لم أشأ أبداً. أردت فقط أن أكون حرة. وها أنا الآن".

"اللعنة في ذلك أني لم أعرف أبداً.... لم أدرك أبداً..."

"ولا أنا لوقت طويل. أظن أنك لهذا السبب لم تفعل أيضاً".

"هل أنت سعيدة الآن؟" أراد أن يعرف ذلك، لسلام عقله الشخصي. لقد قلبت حياتهم رأساً على عقب، لكن إذا عثرت على ما كانت تبحث عنه، فإن ذلك يستحق العناء ربما. فقط ربما".

"أظن أني كذلك. أكثر سعادة في أية حال. وسأكون أكثر سعادة بكثير حين أحقق شيئاً أظن أنه جدير بالعناء".

"لقد فعلت... لكنك لا تعرفين ذلك. لقد أعطيتني عشرين سنة رائعة، وثلاثة أولاد مذهلين. ربما هذا يكفي. لا يمكنك ربما الاعتماد على أي شيء للأبد".

"هناك بعض الأشياء التي تستطيع الاعتماد عليها. أنا واثقة من ذلك. سوف تعرف في المرة التالية ما الذي تبحث عنه وما الذي لا تريده، تماماً مثلي أنا".

"وصديقك الفرنسي؟ هل هو كذلك؟" لم يتخيل كيف يمكن أن يكون هو في الخامسة والعشرين، لكنها كانت امرأة غريبة. ربما هذا ما أرادته الآن.

"إنه مناسب في الوقت الحاضر. إنه تدبير وجودي جداً".

ابتسم أوليفر مجدداً. لقد سمع الكلمات قبلاً، قبل فترة طويلة. "تبدين الآن مثلما كنت حين عشت في سوهو. تأكدي فقط من أنك تمضين قدماً وليس إلى الخلف. لا يمكنك العودة إلى الخلف، ساري. لا يجدي ذلك نفعاً".

"أعرف. لهذا السبب، لا أعود أبداً إلى المنزل". فهم الآن. ما زال ذلك يجعله حزيناً، لكنه على الأقل فهم الأمر.

"هل تريدين مني أن أحضر الأوراق؟" كانت هذه المرة الأولى التي يطرح عليها السؤال مباشرة، وللمرة الأولى لم ينفطر قلبه عند قول الكلمات. لقد أصبح مستعداً ربما أخيراً.

"حين يكون لديك الوقت. لست على عجلة".

"أنا آسف، حبيبتي..." شعر أن الدموع تخز عينيه.

"لا تكن كذلك". ثم تمنت له ليلة سعيدة وبقي وحده مع ذكرياته وندمه، أوهامه بشأن جان بيار... الحقير المحظوظ..

جاء سام إلى سرير والده في تلك الليلة، للمرة الأولى منذ أن حضر إلى منزل نيويورك، ولم يهتم أوليفر للأمر. فمن المريح وجوده بقربه.

وفي عطلة نهاية الأسبوع، ذهبوا إلى بورتشايس، لكنهم لم يروا بنجامين. كان الولدان مشغولين مع أصدقائهما، وكانت حديقة سارة متفتحة بالأزهار، لذلك انهمكت اجي في تقليم الأشياء التي تريد أخذها معها إلى المدينة. وفي صباح السبت، فيما كان أوليفر مستلقياً في السرير، يحلم بهدوء، رن الهاتف.

كان هذا جورج، وفيما أصغى إليه أوليفر، جلس منتصباً في سريره. لم يكن والده ينطق بكلام مفهوم كثيراً، وكل ما استطاع فهمه هو أن باصاً صدم أمه وأصبحت في غيبوبة. لقد عادت إلى المستشفى مجدداً وكان والده يبكي وصوته متقطعاً.

"سأحضر على الفور، أبي. متى حدث ذلك؟" لقد حصل الأمر في الساعة الثامنة صباحاً.

كان في المستشفى في أقل من ساعة، شعره بالكاد ممشط، يرتدي سروالاً كاكيّ اللون والقميص الذي ارتداه في الليلة الفائتة ووجد والده يبكي بهدوء في القاعة. وحين شاهد أوليفر، رفع ذراعيه مثل الولد التائه.

"يا إلهي، أبي، ما الذي حدث؟"

"إنها غلطتي. أصبحت أفضل قبل بضعة أيام، وأصريت على إحضارها للمنزل في عطلة نهاية الأسبوع". لكنه كان يفتقدها كثيراً، ويتوق إلى وجودها قربه في السرير الذي تشاركاه لنصف قرن تقريباً. وحين بدت أفضل بالنسبة اليه، أوهم نفسه بأنه سيجديها نفعاً أن تأتي إلى المنزل لبضعة أيام. حاول

الأطباء ثنيه عن ذلك، لكنه أصرّ على أنه سيعتني بها جيداً تماماً مثلهم. "لا بد أنها نهضت قبل أن أستيقظ. وحين استيقظت، وجدتها وهي ترتدي كل ثيابها. بدت مرتبكة قليلاً وقالت إنها ستذهب لتعدّ الفطور. ظننت أنه من المفيد لها أن تقوم بشيء مألوف مثل هذا، ولذلك سمحت لها. نهضت واستحممت وحلقت، وحين ذهبت إلى المطبخ، لم تكن هناك. كان الباب الأمامي مفتوحاً، ولم أستطع العثور عليها. بحثت عنها في كل مكان، في الحديقة، في السقيفة. جلت في كل المنطقة المجاورة، ومن ثم..." بدأ يبكي مجدداً، "شاهدت سيارة الإسعاف... قال سائق الباص إنها ظهرت فجأة أمامه. كبح على الفرامل بقدر ما يستطيع ولم يستطع التوقف في الوقت المناسب. كانت بالكاد حية حين أحضروها إلى هنا، ولا يعرفون الآن... أوه، أولي، يبدو وكأني قتلتها. أردت بشدة أن أعيد الساعة إلى الخلف، وأدعي لنفسي بأنها على ما يرام مجدداً، ولا شك في أنها لم تكن كذلك، والآن...." كانت في العناية الفائقة، وحين شاهدها أولي، أصيب بصدمة قوية. لقد تعرضت لإصابات فادحة في الرأس وكسرت معظم عظامها. لكنهم قالوا إنها لحسن الحظ فاقدة الوعي منذ لحظة صدمها، مما يوفر بعض العزاء.

انتظر الرجلان في القاعة، وعند الظهر، أصرّ أوليفر على أخذ والده إلى الكافتريا لتناول الغداء. كانا يشاهدانها كل ساعة لثانية أو اثنتين، ولكن من دون حدوث أي تغيير. وفي منتصف الليل، اتضح لهما معاً أن سهرهما لن يجدي نفعاً. فلم يكشف الأطباء عن أي أمل، وتعرضت مباشرة قبل الفجر لسكتة دماغية قوية. كان والده قد رحل إلى المنزل عندئذ، فيما لا يزال أوليفر منتظراً. اتصل بالمنزل مرات عدة وأبلغ الوضع إلى آجي. لكنه أراد منها ألا تخبر الولدين بعد. قالت لهما إنه اضطر للعودة إلى المدينة لأمر طارئ في العمل. لم يشأ إزعاجهما في الوقت الراهن.

جاء الطبيب للتحدث إليه في السادسة صباحاً فيما غلبه النعاس في القاعة. لقد شاهد أمه للمرة الأخيرة قبل ساعتين. ففي وحدة العناية الفائقة، لا

حد ليل أو نهار، وإنما هناك فقط أضواء ساطعة وأصوات الآلات، وضخ برة التنفس وأنين الكومبيوتر بين الحين والآخر، والقليل من الدمدمات رينة والوحيدة. لكن أمه لم تحرك ساكناً حين شاهدها.

لمس الطبيب ذراعه وأيقظه على الفور.

"نعم؟"

"سيد واتسون... تعرضت أمك لنزف دماغي حاد".

"هل هي... هل..." كانت هذه طريقة مرعبة للفظ الكلمات الآن. ففي الرابعة والأربعين، كان لا يزال يريد أمه. حية. إلى الأبد.

"لا يزال قلبها يعمل، وقد وضعنا لها جهاز التنفس. لكن لا تصدر أية موجات من الدماغ. أخشى أن المعركة انتهت". لقد ماتت قانونياً، لكن من الناحية التقنية، وبفضل مساعدتهم، لا تزال تتنفس. "يمكننا إبقاءها على الآلات بقدر ما تشاء، لكن لا جدوى فعلاً من ذلك الآن. يعود الأمر إليك الآن". تساءل ما إذا كان والده يرغب في أن يتخذ القرار نيابة عنه، وعرف فجأة أنه لن يفعل ذلك. 'ماذا تريدننا أن نفعل؟ نستطيع الانتظار إذا أردت استشارة والدك'. هز أوليفر رأسه وهو يشعر بألم سكين الوحدة وهي تطعنه. لقد تركته زوجته قبل خمسة أشهر، وهو الآن على وشك خسارة أمه. لكنه لا يستطيع التفكير في الأمر بطريقة أنانية الآن. عليه التفكير في جورج وما تعنيه له خسارة زوجته بعد سبعة وأربعين عاماً. سيكون ذلك قاسياً. لكنها في الحقيقة غادرته قبل أشهر، حين بدأت تذبل. فغالباً ما كانت تنسى من هو. وكانت لتصبح أسوأ كثيراً في السنة التالية. قد يكون هذا أفضل، وإن بطريقة مروّعة.

"سوف أتصل به'. لكن فيما كان متوجهاً إلى الهاتف، فكر في الأمر بصورة أفضل، ومشى إلى الخارج ليجد سيارته مغطاة بندى الربيع. كان الجو جميلاً في الخارج، والهواء منعشاً، والشمس دافئة، والعصافير تزقزق. كان يصعب التصديق أنها ماتت، وأنه عليه الذهاب الآن وإخبار والده.

"دخل إلى المنزل بمفتاح كان يحتفظ به للحالات الطارئة، ودخل بهدوء

إلى غرفة نوم أهله. كان الأمر على حاله، سوى أن والده كان نائماً وحده في السرير القديم الذي امتلكاه منذ يوم زواجهما.

"أبي؟" همس، وتحرك والده وتمدد من ثم برفق ولمسه. "أبي...." كان يخشى إخافته. ففي الثانية والسبعين، أصبح قلبه ضعيفاً، وكانت رئتاه ضعيفتين، لكنه ما زال يحتفظ بالوقار والقوة واحترام ابنه. استيقظ فجأة ونظر إلى أولي.

"هل... هل..." بدا فجأة مذعوراً فيما جلس.

"لا تزال هناك، لكن علينا التحدث".

"لماذا؟ ما الأمر؟"

"لماذا لا تستيقظ لبرهة". كان لا يزال يبدو مثل شخص نهض من نوم عميق.

"أنا مستيقظ. هل حدث شيء ما؟"

"تعرضت أمي لسكتة دماغية". تنهد أولي فيما جلس بحذر على السرير وأمسك بيد والده. "ما زالوا يوصلونها بالآلات. لكن أبي... هذا كل ما تبقى..." كره أن يقول الكلمات، لكنها كانت الحقيقة البسيطة. "إنها ميتة دماغياً".

"ماذا يريدون منا أن نفعل؟"

"يستطيعون نزعها عن الآلات، وهذا عائد إليك".

"وستموت حينها.' هز أولي رأسه وانهمرت الدموع ببطء على وجنتيّ الرجل العجوز فيما غرق مجدداً ببطء بين وساداته. "كانت جميلة جداً، أوليفر... رائعة جداً في شبابها.... فاتنة جداً حين تزوجتها. كيف يستطيعون سؤالي لقتلها. ليس هذا عادلاً. كيف أستطيع فعل ذلك بها؟" كان هناك تنهد حزين وتوجب على أوليفر حبس دموعه فيما راقبه.

"هل تريدني أن أتولى هذا؟ فكرت فقط في أنك تريد أن تعرف... أنا آسف، أبي". كانا يبكيان معاً، لكن الحقيقة كانت أن المرأة التي أحباها معاً

... قبل برهة. لم يعد هناك أي شيء باقٍ الآن.

جلس جورج ببطء مجدداً ومسح عينيه. "أريد أن أكون هناك حين يفعلون ..."

"لا"، عارض ابنه على الفور. "لا أريدك أن تفعل ذلك".

"ليس هذا قرارك. إنه قراري. أنا مدين لها. لقد كنت معها طوال خمسين ...ا تقريباً، ولن أخذلها الآن". بدأت الدموع مجدداً. "أوليفر، أنا أحبها".

"أعرف أنك تفعل، أبي. وهي تعرف ذلك أيضاً. لقد أحبتك أيضاً. لا ...حدر بك تعريض نفسك لذلك".

"لقد حدث ذلك بسبب غلطتي".

أخذ أوليفر يديّ الرجل العجوز بين يديه. "أريدك أن تصغي إليّ. لم يبقَ ...اب شيء من أمي، لا شيء مما نعرفه ونحبه. لقد رحلت، وذلك منذ وقت طويل، وما حدث في الأمس ليس غلطتك. قد يكون الأمر أفضل هكذا. فلو عاشت، لكانت ضعفت وماتت، ولن تعرف أي شخص، ولن تتذكر أي شيء من الأشياء التي اهتمت بها أو أحبتها... أنت... أحفادها... أنا... أصدقاءها... منزلها... حديقتها. لكانت تحولت إلى نبتة في بيت زجاجي، وكانت لتكره ذلك لو علمت به. أما الآن فقد ارتاحت من كل ذلك. إنه قدرها، أو إرادة الله، وتوقف عن لوم نفسك. فالأمر ليس تحت سيطرتك. ومهما فعلت الآن، ومهما حدث، سيكون الأمر بهذه الطريقة. وحين ندعها ترحل، ستكون حرة".

هز الرجل العجوز رأسه، وهو ممتن لكلمات ابنه. ربما هو محق. وفي أية حال، لا يمكن تغيير أي شيء الآن.

ارتدى جورج واتسون بعناية بذلة داكنة مقلّمة، مع قميص أبيض وربطة عنق كحلية كانت فيليس قد اشترتها له قبل عشرة أعوام. بدا مميزاً ومسيطراً على نفسه حين غادرا المنزل. نظر من حوله للمرة الأخيرة، كما لو أنه يتوقع رؤيتها، ثم نظر إلى ابنه وهز رأسه.

"من الغريب جداً التفكير بأنها كانت هنا صباح أمس".

لكن أولي هز رأسه جواباً على ذلك. "لا لم تكن هنا أبي. لم تكن هنا منذ وقت طويل طويل. أنت تعرف ذلك".

هز جورج رأسه، وتوجها إلى المستشفى بصمت. إنه صباح جميل... صباح جميل للموت فيه، استمر أوليفر في التفكير. ثم صعدا الدرج واستعملا المصعد للوصول إلى الطابق الرابع وطلبا رؤية الطبيب المناوب. كان الرجل نفسه الذي تحدث إلى أوليفر قبل ساعتين فقط، ولم يكن هناك أي تغير في حالة السيدة واتسون، سوى أنها تعرضت لعدة تشنجات، وهذا أمر متوقع بعد النزف. لم يتغير أي شيء مهم. كانت ميتة دماغياً، وستبقى على هذه الحال للأبد، فيما تبقيها آلتهم حية للوقت الراهن.

"أراد والدي أن يكون هنا بنفسه"، شرح أولي.

"أفهم". كان الطبيب الشاب لطيفاً وودوداً.

"أريد أن أكون هناك حين... متى..." ارتعش صوته ولم يستطع لفظ كلماته فيما أومأ الطبيب رأسه علامة الفهم. لقد عاش التجربة عشرات المرات قبلاً، لكنه لم يصبح قاسياً حيال ذلك بعد.

كانت هناك ممرضة معها حين دخلوا، وكانت الآلات تنبض وتصفر. سار الخط في المرقاب في نمط مستقيم، وعلموا جميعاً أن هذه محاكمتها الأخيرة. لكنها بدت مرتاحة فيما كانت نائمة هناك. كانت عيناها مغمضتين، وشعرها نظيفاً، ويداها بجانبيها، فيما تمدد جورج وأمسك بواحدة. وضعها على شفتيه وقبّل أصابعها.

"أحبك، فيليس... لطالما فعلت، وسأفعل دوماً... وفي يوم ما سنكون معاً مجدداً". ابتعد الطبيب وأولي، فيما انهمرت الدموع على وجنتيّ الابن، متمنياً لو أن كل شيء يمكن أن يكون مختلفاً، أن تعيش لوقت طويل طويل، ولا يتغير أي شيء، أن تعيش لتشاهد سام يكبر وينجب أولاداً بنفسه. 'أرقدي بسلام حبيبتي"، همس جورج للمرة الأخيرة ونظر إلى الطبيب. استمر في الإمساك

بيدها، وتم إطفاء الآلات. وبهدوء وسلام، توقفت فيليس واتسون عن التنفس فيما زوجها يمسك بيدها في لحظة الموت، مثلما فعل في لحظات الحياة.

أغلق جورج عينيه لوقت طويل، ثم انحنى لتقبيلها، وأنزل يدها، ولمس وجنتها لبرهة ونظر إليها لوقت طويل طويل كما لو أنه يريد حفر تلك النظرة الأخيرة في قلبه إلى الأبد. ثم توجه خارجاً ووجهه مليء بالدموع. لقد تشاركا سبعة وأربعين عاماً من حياتهما، وانتهى الحب الذي ربطهما لمعظم حياتهما. لكن ثمة شيء جميل في طريقة حصول ذلك بسبب الشخصين اللذين كانا. حتى الطبيب تأثر فيما غادرهما لتوقيع الأوراق. جعله أوليفر يجلس على كرسي في القاعة، ثم أعاده إلى المنزل مجدداً. بقي مع والده حتى الظهر، وذهب إلى المنزل للشروع في إعداد الترتيبات.

كان الولدان بانتظاره هناك، وأدركت ميل فوراً أن أمراً ما حصل. فقد بدا والدها غير مرتب ومرهقاً، ولم تصدق أبداً قصة آجي. "ماذا حدث أبي؟"

امتلأت عيناه بالدموع. "توفيت الجدة للتو، حبيبتي. وكان هذا حزيناً جداً، وجميلاً نوعاً ما في الوقت نفسه. سيكون الأمر صعباً جداً على الجد". بدأت ميل تبكي، وبعد برهة، انضم إليهما سام حين شعر بوجود أمر ما. أخبره أولي الأمر وراح يبكي أيضاً. سوف يشتاق إليها كثيراً.

"هل نستطيع رؤية جدي؟"

"بعد برهة. عليّ إنجاز بعض الأمور أولاً". فلا بد من ترتيب مراسم الدفن، وإنهاء التفاصيل الأخيرة في المستشفى. بعد ظهر ذلك اليوم، قرر إرسالهما إلى المنزل في القطار مع أنياس. اتصل بدافني قبل أن يفعل ذلك، وطلب منها إيصالهم إلى الشقة. عبّرت له عن مدى أسفها. ليس من العدل أن يحدث كل ذلك له، قالت له، وكان متأثراً وشاكراً لها.

اتصل ببنجامين أيضاً وأطلعه على الخبر، واقترح عليه المرور بجده متى يستطيع. طلب منه إخباره بموعد الدفن. ظن أن الأمر قد يتم يوم الأربعاء.

ثم عاد إلى منزل والده وشعر أولي بالارتياح لرؤية السيدة بورتر، جارتهم الوفية، هناك، تعتني بوالده. كانت هادئة ومهذبة ولطيفة معه، وكانت رقيقة جداً. وحين عاد أخيراً إلى المنزل، وحده ومرهقاً، اتصلت به سارة. أخبرته عن مدى أسفها واعتذرت مسبقاً عن عدم تمكنها من المجيء للدفن لأن لديها امتحانات.

"سوف أشرح الأمر لأبي".

"أخبره عن مدى أسفي". كانت تبكي هي أيضاً.

"شكراً سارة". وللمرة الأولى، لم يشعر بأي شيء تجاهها. كل ما استطاع التفكير فيه هو وجه والده وهو يمسك بيد أمه، ونظرة الحب والرقة التي وجهها إليها. هذا ما أراده أيضاً في حياته، وأمل في أن يعثر عليه يوماً ما. لكنه يعرف الآن أن ذلك لن يكون مع سارة.

عاد إلى منزل والده في الصباح، وفي ذلك الحين، كانت كل الترتيبات قد انتهت. عاد الولدان ليلة الثلاثاء، وكان الدفن يوم الأربعاء. كانت مسألة بسيطة، مع الموسيقى التي أحبتها أمه، والكثير من الأزهار الجميلة من حديقتها. ثم أنزلوا النعش ببطء في الأرض، وتركها هناك، ليأخذ والده إلى المنزل، ليعيش وحيداً، ليواجه حزنه، ولينهي أيامه من دون المرأة التي أحبها.

الفصل الثالث عشر

حل شهر يونيو قبل أن يستعيدوا جميعاً أنفاسهم مجدداً. انتهت المدرسة و انتقلوا جميعاً إلى الريف لقضاء فصل الصيف. جاء جورج لزيارتهم بين الحين والآخر، وبدا متعباً وأكبر سناً. وكان واضحاً أنه يشعر بوحدة كبيرة، أكثر مما شعر حين كانت فيليس في دار الرعاية. فعلى الأقل، كان باستطاعته زيارتها، وكل ما يستطيع فعله الآن هو التحدث عنها أمام عائلته وأصدقائه.

عاد أولي للتنقل مجدداً، وهو قرار قد اتخذه لفصل الصيف. وشعر بسعادة مضاعفة الآن لأنه استأجر شقة نيويورك. فمن الصعب العودة في وقت متأخر إلى المنزل لرؤية الأولاد، لكن الأمر لم يكن سيئاً جداً في الصيف. كانوا يسبحون في الحوض حين يعود إلى المنزل، ويخلد الأولاد إلى السرير في وقت متأخر أكثر مما يفعلون في الشتاء.

احتفلوا بذكرى الرابع من يوليو مع بعض الأصدقاء وحفلة شواء. وبعد أسبوعين، سينضم ميل وسام إلى سارة لقضاء بقية الصيف معها. سوف تأخذهم إلى فرنسا لقضاء شهر هناك مع جان بيار. اتصلت به لتخبره ذلك وقرر تركها وشأنها. لقد أصبح الولدان كبيرين كفاية ليفهما. فقد أصبحت ميل في السادسة عشرة من عمرها وسام في العاشرة تقريباً، وكانا متحمسين بشأن الرحلة.

حتى جورج أتى لحضور حفلة الشواء، وجلب معه مارغاريت بورتر، الجارة اللطيفة التي التقوها جميعاً قبلاً. كانت امرأة جذابة لها شعر رمادي وعقل مرح. عملت كممرضة في شبابها، وكان زوجها المتوفي طبيباً، وبدت أنها تعتني جيداً بوالد أولي. فقد حرصت على أن يجلس حين يجدر به ذلك، وجلبت له الطعام، ومزحت معه ومع أصدقائه بلطف، وبدا أن جورج أحب

الأمر. تحدث عن فيليس كثيراً، وعرف أولي أنه ما زال يشعر بالذنب بشأن الحادث الذي ادى إلى وفاتها. لكن بدا أنه يخرج من المحنة. كانوا جميعاً كذلك، بطريقتهم الخاصة، من صفعات العام الماضي. حتى أولي شعر بنفسه أكثر الآن. تقدم بأوراق الطلاق في شهر يونيو، وبناء على إلحاح دافني المستمر، خرج لمواعدة امرأة تبين أنها كارثة. فقد خرج مع امرأة مبدعة من وكالة أخرى، وأصرّ بعد ذلك على أن الفتاة مجنونة. أرادته أن يجرب الكوكاين، وكانت رياضتها المفضلة مصارعة النساء. هزئت منه دافني كثيراً على هذا الأمر، لكنها كانت بداية على الأقل.

جاء بنجامين وساندرا إلى حفلة الشواء أيضاً، وكانت آنذاك حاملاً في شهرها السابع. شعر أولي بالأسى عليها. لم تكن ذكية، وبدا وجهها الطفولي مضحكاً مع جسمها الضخم. تحدثت عن الطفل كثيراً، وشعر أولي لبرهة بالذعر، متسائلاً ما إذا كانا سيتزوجان أيضاً. لكن حين سأل، قال بنجامين إنهما لا يملكان مشاريع لذلك بعد. ظن أنهما صغيران على ذلك.

حاولت ميل التحدث إليها مرات عدة، لكن بدا أنها لا تملك أي شيء لقوله، فاستسلمت ميل في النهاية وعادت للثرثرة مع أصدقائها. جاءت دافني أيضاً، وأمضت مع مارغريت بورتر الكثير من الوقت في التحدث قرب حوض السباحة.

"قضيت وقتاً رائعاً"، أخبرت دافني أولي قبل مغادرتها. "احتفال قديم الطراز بالرابع من يوليو مع أصدقاء جيدين. لا يمكنك طلب أكثر من ذلك في الحياة". ابتسمت بسعادة وضحك هو، متذكراً الأيام الماضية.

"أستطيع. لكني أظن أني لا أريد. موعد آخر مثل ذلك الذي حصلت عليه، وقد أموت". ضحك كلاهما، وتذكرا السيدة هاوية المصارعة.

"يبدو أن والدك على ما يرام، وأحب صديقته. إنها امرأة مثيرة جداً. لقد سافرت مع زوجها كثيراً إلى الشرق الأقصى وأسسا عيادة في كينيا طوال سنتين".

"تبدو جيدة لأبي. هذا شيء على الأقل. أتمنى فقط أن يخرج بنجامين نفسه من الورطة. هذه الفتاة طيبة لكنها ستدمر حياته إذا تركها".

"إمنحه فرصة. إنه يحاول القيام بالشيء الصحيح. لكنه لا يعرف بعد ما هو هذا الشيء".

"يصعب تخيله مع طفل منه. فهو لا يزال ولداً، وهي تبدو مثل فتاة في الرابعة عشرة من عمرها. ويا إلهي، دافني، تبدو غبية جداً".

"إنها فقط خارج محيطها هنا، وعليك الاعتراف بأنها في وضع حرج. فهي تعرف ما هو رأيكم جميعاً فيها، وما تخلى عنه بنجامين ليكون معها. وهذا عبء كبير بالنسبة إليها.

ابتسم أولي لصديقته بمكر. "بالمناسبة، تبدو وكأنها حامل بثلاثة توائم".

"لا تكن غير لطيف"، أجابته.

"لماذا؟ إنها تدمر حياة ابني".

"ربما لا. قد يكون الطفل مذهلاً".

"ما زلت أرغب في أن تتخلى عنه".

هزت دافني رأسها. فقد تحدثت إلى كليهما، وهي تعرف الأمر أفضل. "لا أظن أن بنجامين يسمح لها. إنه يشبهك كثيراً، أخلاقي جداً، متحفظ جداً، قلق جداً لتحدي ما يؤمن فيه ويقوم بالشيء المناسب للجميع. إنه ولد رائع. سيكون كل شيء على ما يرام".

"ما الذي يجعلك أكيدة؟"

"إنه ولدك، أليس كذلك؟" عادت من ثم إلى نيويورك، وغادر الآخرون بعد فترة وجيزة من ذلك. ساعد أولي أنياس في عملية التنظيف، ورغماً عنه، فيما استلقى وحده قرب حوض السباحة في وقت متأخر من تلك الليلة، وجد نفسه يفكر في سارة، متسائلاً عما تقوم به في هذا الوقت. لطالما كانت ذكرى الرابع من يوليو مميزة لهما. وقد مضى على زواجهما تسعة عشر عاماً هذا الصيف. جعله ذلك

يفكر في أشياء أخرى أيضاً... أهله... ووالده... ومارغاريت بورتر. تساءل ما إذا كان والده مهتماً بها، أو ممتناً فقط لمساعدتها، وسعيداً لوجود شخص يتحدث معه. ربما الاثنان معاً. لكن من الغريب التفكير أن يكون والده مهتماً في أي شخص، إلا في زوجته المتوفاة.

من المضحك أنهم يملكون جميعاً شخصاً مميزاً الآن... سارة لديها جان بيار، ووالده لديه مارغاريت بورتر لأي سبب كان، وحتى ابنه لديه الفتاة التي تحمل طفله. وكان أوليفر وحيداً، ينتظر دخول شخص في حياته لإحيائها مجدداً. تساءل ما إذا كان هذا سيحدث يوماً.

"أبي؟" إنها ميل، تهمس في الظلام، وتبحث عنه. "هل أنت هناك؟"

"أنا قرب الحوض. ما الذي يجري؟"

"تساءلت فقط ما إذا كنت على ما يرام". وصلت إلى الحوض وجلست بالقرب منه.

"أنا بخير حبيبتي". لمس شعرها الأشقر الطويل وابتسم. كانت فتاة طيبة، وعادت الأمور جيدة بينهما مجدداً. بدا أنها استقرت كثيراً منذ انتقالهم إلى نيويورك، وكانت أقرب إليه مجدداً. أقرب مما كانت إلى سارة. "كان يوماً جميلاً، أليس كذلك؟"

"نعم، كان كذلك". ثم وكأنها تردد أفكاره، قالت: "ما رأيك في صديقة جدك؟"

"مارغاريت؟ أُحبّها".

"هل تظن أنه سيتزوجها؟" بدت ميل محتارة وابتسم أولي لها.

"أشك في ذلك. فقد أحب جدتك كثيراً ليفعل ذلك. لا تجدين ذلك أكثر من مرة واحدة في الحياة".

"كنت أتساءل فقط". ثم، وبقلق حديث، "هل تظن أن أمي ستتزوج جان بيار؟... إنه صغير جداً بالنسبة إليها..." رغم أنها لن تقول ذلك أبداً لأمها.

"لا أظن ذلك، حبيبتي. أظن أنها تستمتع فقط".

هزت مليسا رأسها وبدت مرتاحة. "يا إلهي، أليست ساندرا المسكينة مريعة؟"

أومأ رأسه علامة الموافقة، وشعر بالسرور فجأة لأنهما يتبادلان آراءهما بشأن الجميع بعد رحيل الضيوف، مثلما يفعل المتزوجون. "أصاب بالجنون حين أرى بنجامين يبدد حياته معها، يعمل كمساعد نادل لإعالتها".

"ماذا سيفعلان بالطفل؟"

"الله يعلم. أظن أنه يجدر بهما التخلي عنه، لكن بنجامين يصرّ على أنهما يريدانه. ومن ثم ماذا؟ سألعن نفسي إذا سمحت لهما بالزواج".

"لا أظن فعلاً أنه يريد ذلك. إنه يحاول فقط أن يكون لطيفاً معها. لكنه يبدو سئماً جداً معها أيضاً. وهي استمرت في النظر إلى الشبان الآخرين الذين أتوا إلى الحفلة. لا أظن أنها تعرف ما تريده. يا إلهي، أبي... تخيل أن تكون في السابعة عشرة من العمر ولديك طفل!".

"تذكري هذا عزيزتي، إذا أصابك الجنون ذات مرة!" لوح لها بإصبعه وضحكت وتوردت خجلاً في الظلمة.

"لا تقلق. لست غبية إلى هذا الحد". لم يكن واثقاً تماماً مما تعنيه. إذا كان يعني ذلك أنها لن تفعل الأمر أبداً، أو إذا فعلت، ستكون أكثر حذراً. دون ملاحظة عقلية لنفسه بأن يجعل دافني تتحدث إليها عن الموضوع قبل رحيلها إلى فرنسا لقضاء الصيف.

"هل سام نائم؟"

"نام بسرعة".

"يجدر بنا الذهاب أيضاً إلى السرير". وقف ومدد جسمه ومشيا كلاهما ببطء إلى الداخل وهما يمسكان بأيدي بعضهما. لقد كان يوماً جميلاً، مشمساً وحاراً، وأصبح الليل بارداً الآن. كان تماماً مثلما يحبه.

قبلها قبلة النوم على باب غرفتها، واستلقى هو في سريره تلك الليلة، متذكراً كيف كان العام الماضي. كم من الأمور تغيرت، وكم أصبحوا هم مختلفين الآن. فقبل عام واحد فقط، في الرابع من يوليو، كان كل شيء مختلفاً جداً. كانت سارة هنا، أمه... كان بنجامين لا يزال يبدو مثل طفل. لقد كبروا جميعاً تلك السنة، أو بعضهم على أية حال. لا يعرف شيئاً عن سارة. وظن أنها لا تزال تتلمس طريقها. لكنه شعر كما لو أنه استقر أخيراً، وفيما خلد إلى النوم، وجد نفسه يتساءل مجدداً عن قصة والده ومارغاريت بورتر.

الفصل الرابع عشر

في شهر يوليو، غادر ميل وسام إلى أوروبا مع سارة وصديقها الفرنسي، وانتقل أوليفر مجدداً إلى الشقة في نيويورك. فلا جدوى الآن من التنقل كل يوم مع رحيل الأولاد. من الأسهل عليه البقاء لوقت متأخر في العمل، ومن ثم العودة إلى الشارع رقم 84. كان يمضي مع دافني الكثير من الوقت في العمل معاً، ويملكان الآن موعداً ثابتاً لتناول المعكرونة ليالي الاثنين والجمعة. وكانت تبقى مع صديقها في الليالي الثلاث الأخرى الباقية من الأسبوع. وكانت تحدث أولي عنه بين الفينة والأخرى. "لماذا تفعلين ذلك بنفسك؟" وبخها أكثر من مرة. "ففي عمرك، يفترض أن تكوني متزوجة وتعيشي مع شخص يستطيع منحك أكثر من ثلاث ليالٍ في الأسبوع. داف، أنت تستحقين ذلك".

كانت دوماً تهز كتفيها وتضحك. كان رجلاً رائعاً، حسب ما تقول، ولا تريد أكثر من ذلك. إنه ذكي ولطيف وكريم معها، وهي تحبه. ومن دون الأولاد، لا يبدو الزواج مهماً بالنسبة إليها.

"سوف تندمين يوماً ما".

لكنها لم توافقه الرأي. فما تملكه ملائم لها، حتى لو كانت تشتاق إليه حين لا يكون معها. "لا أظن ذلك، أولي". اعترف لها بمدى وحدة عيش الإنسان وحيداً، من دون الأولاد. فقد يشتاق إلى وجود أحد يتحدث إليه في الليل، وإلى الصحبة التي عرفها طوال عشرين عاماً تقريباً مع سارة.

بات يذهب الآن إلى بورنتشايس لمجرد زيارة بنجامين ووالده. أصبحت ساندرا أضخم حجماً الآن. وللمرة الأولى في حياته، بدا بنجامين شاحباً له. لم يعد يخرج إلى الشمس أبداً. إنه يعمل دوماً. لديه وظيفتان الآن. الأولى في محطة محروقات، والثانية ليلاً كمساعد نادل. إنه يحاول ادخار المال ليوفر لها

رعاية ملائمة عند الولادة، ودفع إيجار الشقة التي يتشاركانها، وامتلاك ما يكفي من المال لإعالة طفلهما. وحين عرض مساعدتهما، رفض بنجامين.

"إنها مسؤوليتي أنا الآن، أبي. ليست مسؤوليتك".

"هذا سخيف. أنت ولد. يفترض أن تكون في المدرسة، تلقى الدعم والتعليم". لكنه كان يتعلم أشياء أخرى، مثل كيف تكون الحياة حين تكون في الثامنة عشرة، ولديك عائلة لإعالتها ولم تنه الثانوية حتى. توجب على ساندرا التوقف عن العمل في النهاية، لأن كاحليها انتفخا مثل رأسيّ شمام، وخشي الطبيب من أن تصاب بتسمم الدم. كان بنجامين يأتي إلى المنزل في موعد الغداء ليحضّر لها وجباتها. وفيما كانت تستلقي على الأريكة وتشاهد التلفزيون، وهو يطهو الطعام، كانت تتذمر طوال الوقت من أنها لم تعد تراه أبداً. كان يعود إلى المنزل كل ليلة في أبكر وقت ممكن، لكنه كان يعمل عادة حتى الثانية فجراً. وكان أوليفر يصاب بالجنون لمجرد التفكير في ذلك. كان أوليفر يحاول دوماً إعطاءه المال للتخفيف من عبئه، ووجد أخيراً حلاً أكثر بساطة. كان يعطي المال إلى ساندرا، وكانت سعيدة دوماً لأخذ أي شيء يعطيه لها. ألحّ عليهما الذهاب إلى المنزل واستعمال حوض السباحة على الأقل، لكن ساندرا لم تكن ترغب في الذهاب إلى أي مكان، فيما بنجامين لا يملك الوقت. كان مشغولاً كثيراً في العمل.

لم يكن عكس أمه، قال أوليفر لنفسه يوماً ما، بعدما حرر شيكاً بقيمة 500 دولار لساندرا وقال لها أن تشتري كل ما تحتاج إليه للطفل. لم تأخذ سارة أي قرش منه منذ غادرت. كانت تنفق على نفسها من المال الذي تركته لها جدتها، وأصرّت على أنه من غير اللائق أن يعيلها أولي. كانت الأمور صعبة معها، وتحدث الأولاد دوماً عن أشياء لا يستطيعون القيام بها حين يذهبون لزيارتها، لأن "الماما لا تستطيع الإنفاق على ذلك. لكن هذا هو أسلوب العيش الذي أرادته سارة على الدوام. فالحياة التي وفرها لها لم تعد مهمة لها بعد الآن. لقد أعطت كومات من الثياب إلى ميل، وتركت البقية في المنزل في

بورتشايس. كانت تعيش بالجينز الأزرق والقمصان القطنية والصنادل. وكانت هي وجان بيار فخورين من حقيقة سفرهما إلى أوروبا بمبلغ صغير من المال. تلقى العديد من البطاقات البريدية من الأولاد منذ رحيلهما، لكنهما لم يتصلا أبداً، ولم يكن واثقاً تماماً من مكانهما. وهذا ما جعله عصبياً بين الحين والآخر، لكن سارة قالت فقط إنهما سيقيمان مع أقرباء جان بيار في فرنسا، وفي فنادق متواضعة في الدول الأخرى التي سيسافرون إليها. لا شك في أنها ستكون تجربة مختلفة بالنسبة إليهما، لكن هذا مفيد لهما أيضا ربما. وكان يثق في قدرتها على الاعتناء بهما. فهي أمهما، في النهاية، ولطالما وثق فيها. لكن الآن، ومع رحيلهم جميعاً شعر بالذهول لمدى اشتياقه إليهم. فكان يشعر بألم جسدي تقريباً حين يعود في الليل إلى الشقة الفارغة. لقد منح آجي إجازة فصل الصيف، واستأجر خدمة تنظيف أسبوعية للاعتناء بالشقة. أما المنزل في بورتشايس فكان مغلقاً وبقي الكلب مع والده. فهو كان يمنحه الرفقة على الأقل. وعندما استقل أوليفر القطار لزيارته بعد ظهر يوم الأحد، تأثّر حين وجد والده يعتني بحديقة زوجته المتوفاة. لطالما كره الاعتناء بالحديقة، لكن من الضروري الآن الحفاظ على الورود التي كانت تعني لها الكثير.

"هل أنت على ما يرام، أبي؟"

"أنا بخير. الجو هادئ هنا على نحو مريع، خصوصاً بعد رحيلك أنت والأولاد. نخرج أنا ومارغاريت إلى العشاء بين الحين والآخر، لكن لدي الكثير من الأعمال الواجب القيام بها، لتنظيم ممتلكات أمك". يبدو أن الأعمال الضرائبية التي يجدر به القيام بها لإثبات صحة الوصية تبقيه مشغولاً، ولديها بعض الأسهم التي يريد نقلها الآن إلى أولاد أولي.

شعر أولي بالحزن بعدما أمضى بعد الظهر معه، وعاد بالقطار في تلك الليلة وهو يشعر بالكآبة. كانت سيارته في الكاراج، وشعر بالغرابة أن يعود إلى المنزل بالقطار بدل قيادة السيارة. حجز مقعداً في الحافلة الردهية، وفتح كتاباً أحضره معه. توقف القطار مرات عدة قبل أن يصبح المقعد الذي بقربه

محجوزاً. ألقى نظرة سريعة وشاهد امرأة شابة تجلس قربه، لها شعر داكن طويل ويطغى عليها الاسمرار القوي.

"آسفة"، اعتذرت حين صدمته بحقيبتها. بدا أنها تحمل معها معدات عطلة نهاية الأسبوع، فضلاً عن مضرب تنس موثوق بحقيبة كبيرة كان يخزه في الساق على نحو متكرر إلى أن أبعدته. "آسفة على كل هذه الأغراض". أومأ برأسه وطمأنها بأن كل شيء على ما يرام، وعاد إلى كتابه فيما سحبت هي ما يبدو مثل المخطوطة وبدأت تدون الملاحظات. وشعر أكثر من مرة أنها كانت تراقبه إلى أن نظر إليها أخيراً وابتسم، وأدرك أنها جذابة جداً. كانت عيناها زرقاوين، مع القليل من النمش على وجه لا يمكن أن يكون عمره أكثر من خمسة وعشرين أو ستة وعشرين عاماً. أما شعرها فكان مربوطاً إلى الخلف ولم تكن تضع أي ماكياج.

"كيف يبدو الكتاب؟" سألته فيما وصلا إلى محطة أخرى.

"ليس سيئاً". كان هذا الكتاب الأكثر مبيعاً في الصيف، وأحبه، رغم أنه يفضل عموماً عدم قراءة الكتب الخيالية. لكن دافني أعطته إياه وأصرّت على أنه سيستمتع به. "هل تعملين على تأليف مخطوطتك؟". شعر بالفضول حيالها، وضحكت هي وهزت رأسها، وبدت لبرهة أكبر سناً. كانت في الواقع في الثلاثين من عمرها، لكن مظهرها الطبيعي ذكّره ببعض أصدقاء ميل. إنها تملك صوتاً عميقاً وودوداً، ولها عينان ذكيتان، فيما راحت تشرح له ماذا تقرأ ولماذا.

"أنا محررة، ونحن نشرنا الكتاب الذي تقرأه. لهذا السبب، سألتك إذا أحببته. هل تعيش هنا؟" شعرت بالفضول حياله، لكنها بدت مهتمة في الجميع. كانت منفتحة وسهلة، ولاحظ عبر ثوبها الصيفي أنها تملك ذراعين وكتفين جميلين جداً.

"كنت أعيش هنا. أما الآن فأعيش في المدينة. معظم الوقت في أية حال".

آه، قالت لنفسها. والد لعطل نهاية الأسبوع. "تزور أولادك؟"

هز رأسه، مسروراً بأسئلتها الصريحة. "لا، أبي".

"أنا أيضاً"، ابتسمت. "لقد رزقا للتو وهو زوجته بطفل". شرحت أن والدها يبلغ ثلاثة وستين عاماً وتزوج للمرة الثالثة. كما تزوجت أمها ثانية أيضاً وهي تعيش في لندن.

"يبدو ذلك مثل عائلة ممتعة".

"هي كذلك". ابتسمت ابتسامة عريضة. "زوجته أصغر مني بأربع سنوات. لم يكن أبي يوماً من النوع الذي يبدد وقته". لم تخبره أن أمها تزوجت إلى اللورد برونسون، حديث أوروبا بقصوره ومنازله الريفية وحفلاته المترفة. أرادت أن تبتعد عن كل ذلك، وذهبت للعمل في نيويورك، تماماً مثل بقية العالم. لم تكن مولعة كثيراً بالحياة المتنقلة التي يعيشها أهلها. "وأنت ماذا تفعل؟"

ضحك فجأة عليها. كانت فتاة مضحكة. مضحكة ومنفتحة ولطيفة وجذابة جداً. "أعمل في الإعلانات". تساءلت حينها ما إذا كان متزوجاً، لكنها لم تسأله.

"مثل أبي". بدت مسرورة. "روبرت تاونساند، أنت تعرفه ربما".

إذاً هذه هي. كان تاونساند أحد أهم الرجال في عالم الإعلانات. "لقد التقيته. لا أستطيع القول فعلاً إني أعرفه". ثم قرر تقديم نفسه لها. "أنا أوليفر واتسون".

صافحت يده مع قبضة محكمة من قبلها. "ميغان تاونساند". وضعت مخطوطتها بعيداً، وراحا يتحدثان بقية الطريق. أحب التحدث إليها، ونسي أمر كتابه، وعرض عليها إيصالها إلى المنزل حين وصلا إلى محطة غراند سنترال في نيويورك.

كانت تعيش في بارك والشارع 69، على بعد خمسة عشر مبنى فقط من منزله. وبعد أن أوصلها، أوقف سيارة الأجرة وقرر الذهاب إلى المنزل سيراً على الأقدام. كانت ليلة دافئة، وأحب التواجد في نيويورك خلال فصل الصيف. كانت المدينة شبه قاحلة، باستثناء بعض الناذرين أنفسهم للعمل، الأشخاص الذين يعملون بكد مثله، وبعدد ضئيل من السياح.

كان الهاتف يرن حين وصل إلى المنزل، وافترض أنها دافني. فلا أحد غيرها يتصل، الآن بعد رحيل الأولاد، باستثناء والده بين الحين والآخر. لكن أصيب بالذهول حين سمع صوت المرأة التي أوصلها للتو. كانت ميغان تاونساند.

'مرحبا، خطرت لي فكرة. أتريد أن تأتي لشرب كأس وتناول السلطة؟ أنا لا أجيد الطهو كثيراً، لكني أستطيع تدبر الأمر. فكرت فقط...." بدت فجأة غير واثقة من نفسها، وخطر في بالها أن يكون متزوجاً. ففي عمره، يكون معظم الرجال متزوجين. لكنها تصورت أنها إذا كانت مخطئة، سيقول لها ذلك. فهو يبدو مثل رجل مستقيم جداً.

"سيكون ذلك لطيفاً جداً". كانت هذه تجربة جديدة بالنسبة إليه، أن تختاره امرأة وتدعوه إلى العشاء ليلة الأحد. لم يخطر له حتى أن يطلب رقم هاتفها، وأدرك حينها أن دافني كانت محقة. كان يجهل أصول التصرف. "هل أستطيع إحضار أي شيء؟"

"لقد رتبت كل شيء. هل تأتي في الثامنة مساء؟"

"هذا رائع"، ومن ثم، "أنا مسرور لأنك اتصلت".

"ليس هذا ما أفعله عادة، حسب ما أظن"، قالت ضاحكة في الهاتف وهي تبدو مرتاحة تماماً لما قامت به، فتساءل حينها ما إذا كانت تفعل ذلك غالباً، "لكن الحياة قصيرة جداً. أحببت التحدث إليك في القطار".

"وأنا أيضاً".

ثم قررت سؤاله قبل أن تبدد المزيد من الوقت. فالرجال المتزوجون ليسوا من النوع المفضل لديها، رغم أنها لا تمانع تناول عشاء معهم. "بالمناسبة، هل أنت متزوج؟"

"أنا..." لم يعرف تماماً كيف يجيبها. كان متزوجاً، لكن ليس بطريقة يمكن التعويل عليها بعد الان، وقرر إخبارها الحقيقة. "أنا متزوج... لكني منفصل منذ سبعة أشهر".

بدا جوابه مرضياً لها. "تصورت أنك كنت تزور أولادك اليوم حين شاهدتك".

"إنهم في أوروبا لقضاء عطلة الصيف، اثنين منهم في أية حال. أما الثالث فهو في بورت شستر حيث يعمل". لكنه لم يخبرها أن بنجامين يبلغ فقط ثمانية عشر عاماً ويعيش مع زميلة له خرجت من المدرسة فيما ينتظران ولادة طفلهما.

'أراك عند الثامنة'. أقفلت السماعة مع ابتسامة، وهي مسرورة لما قامت به. بدا أوليفر مسروراً أيضاً، ونزل مجدداً إلى بارك أفنيو بعد نصف ساعة.

كانت شقتها في الطابق العلوي، مع حديقة جميلة جداً. كانت الشقة في مبنى صغير وفريد، وأدرك أوليفر أنه مبنى خاص. لم تكن هذه فتاة عادية، وعرف أن روبرت تاونساند ليس رجلاً ناجحاً فقط في الإعلانات، وإنما يتحدر أيضاً من عائلة بارزة جداً في بوسطن. وكانت تربية ميغان تظهر فيها كلها، بدءاً من شعرها وصولاً إلى حذائها، مروراً بصوتها الجميل والقميص الحريري الأبيض الباهظ الذي ارتدته مع سروال جينز لاستقباله. كان شعرها طليقاً، وأحب طريقة انسداله على ظهرها وكتفيها. لم تكن فقط أنيقة، حسب ما أدرك الآن، وإنما أيضاً جميلة، وجذابة جداً. لقد وضعت بعض الماكياج ورافقته إلى غرفة الجلوس التي يطغى عليها اللونان الأبيض والكروم، مع رخام بالأبيض والأسود في الأرض، وسجادتان مرقطتان تعلوهما طاولة زجاجية عملاقة. وكان هناك جدار تغطيه المرايا لعكس الرؤية، فيما الطاولة الزجاجية في غرفة الطعام معدّة لاستقبال شخصين. ورغم أنها كانت ترتدي الجينز والقميص الحريري فقط، كانت تحيط بها هالة من التكلف الرائع.

"إنه مكان رائع!" أذهله المنظر، ورافقته إلى المصطبة فيما قدمت له شراباً منعشاً.

"هذا هو دليلي الوحيد على التدليل المفرط". أراد والدها أن يشتري لها منزلاً لمناسبة عيد ميلادها الثلاثين، في وقت سابق من هذه السنة، لكنها

رفضت رفضاً قاطعاً. فهي تحب المكان الذي لديها، وهو كبير كفاية. وفهم أوليفر سبب عشقها لهذا المكان. "أنا أمضي الكثير من الوقت هنا. أمضي معظم عطل نهاية الأسبوع هنا، وأنا غارقة بين المخطوطات". ضحكت بسهولة وابتسم هو.

وقرر من ثم مشاركتها اللعبة. هناك الكثير من الأمور التي أراد فجأة أن يعرفها عن ميغان تاونساند. "ماذا عنك؟ متزوجة؟ مطلقة؟ أم لاثني عشر ولداً؟" رغم أن هذا الاحتمال يبدو بعيداً. كان كل شيء فيها يصرخ بأنها عازبة وغير مرتبطة.

"لم أتزوج أبداً. لا أولاد. لا كلاب أو هررة أو عصافير. وفي الوقت الحاضر، لا عشاق متزوجين". ضحك كلاهما، وكشف هو عن ابتسامة حزينة.

"أظن أن هذا يضعني خارجاً".

"هل ستعود إلى زوجتك؟"، سألته فيما جلسا على كرسيين من الجلد الأبيض في الخارج.

"لا، لن أفعل". حدّق في عينيها، لكنه لم يخبرها أنه كان يرغب في ذلك حتى وقت غير بعيد. "لقد أخذت حياتنا اتجاهين مختلفين جداً. إنها تدرس الآن في جامعة هارفارد، وتطمح لأن تكون كاتبة".

"يبدو هذا جميلاً".

"ليس تماماً". لا يزال هناك أثر من المرارة في صوته، كلما تحدث عن سارة أمام الغرباء. "لقد تخلت عني وعن ثلاثة أولاد للذهاب إلى هناك".

"يبدو هذا عبئاً ثقيلاً".

"هو كذلك".

"ولا يزال هكذا؟" كانت سريعة وبدت متشوقة للتعرف إليه.

"أحياناً. لكن الأمر أصبح أفضل في الآونة الأخيرة. لا يمكنك الاستمرار في الغضب للأبد"، ابتسم بحزن، "رغم أني حاولت فعل ذلك لوقت طويل. فقد

استمرت في الإصرار على أنها ستعود، لكنني أظن أن التمثيلية أصبحت واضحة الآن. وبدأ الأولاد يكتيفون... وكذلك أنا..". ابتسم لها، وضحك فجأة على نفسه. "لكن عليّ الاعتراف لك أن هذا أول "موعد" لي منذ عشرين عاماً. لذا، قد تجدين أساليبي قديمة الطراز بعض الشيء".

"ألم تخرج مع أي امرأة منذ أن غادرت؟" كانت ميغان متأثرة. لا بد أن المرأة التي تركته مهمة جداً. فهي لم تعش أبداً من دون رجل في حياتها لأكثر من شهر، وهي واثقة من أنها لا تريد ذلك. لقد رحل عشيقها الأخير قبل ثلاثة اسابيع فقط، بعد أن عاش معها ستة أشهر، وهو يتنقل بين شقتها العلوية ومنزله في فيفث أفنيو. لقد عرفت الكثير من الرجال، لكن شيئاً في أوليفر أثار حيرتها. نظراته، سحره، وشيء اوحى له بأنه وحيد جداً. "هل أنت جاد؟"

وتذكر فجأة السيدة هاوية المصارعة وضحك مجدداً. "لا كذبت... واعدت امرأة قبل شهرين، وكانت كارثة. وقد جعلني هذا الموعد أشفى تقريباً من ألمي".

"يا إلهي، أوليفر"، ضحكت ووضعت جانباً ما تبقى من مشروبها المنعش. "أنت بتول تقريباً".

"يمكنك قول ذلك". ضحك وتساءل لبرهة ما إذا كان وقع في ورطة هذه المرة. فهو لم يمارس الحب مع امرأة منذ سبعة أشهر، وتساءل فجأة ماذا سيحدث إذا حاول. لن ينجح الأمر ربما. فطوال سبعة أشهر، لم يرغب في أحد سوى سارة. ولم يتشارك الفراش مع أحد آخر خلال العشرين عاماً الماضية. لم يخدع زوجته أبداً، وتبدو هذه الفتاة نوعاً ما كأنها معتادة على الحصول على الرجل الذي تريده. فجأة، أراد صبي صغير في داخله الهروب إلى المنزل بأسرع ما يمكن، وشعر أنه مثل سام حين وقف وذهب لتأمل المشهد مجدداً، فيما عادت هي لإنهاء إعداد السلطة التي وعدت بها.

"أحذرك، لا أستطيع الطهو. سلطة قيصر وكارباتشيو هما الحد الأقصى لمهاراتي. بعد ذلك، يقتصر الأمر على البيتزا والوجبات الجاهزة".

"بالكاد أستطيع الانتظار. أنا أحبها كلها". وكان يحبها، أيضاً، رغم أنها أخافته قليلاً.

جلسا لتناول العشاء في غرفة الطعام، وتحدثا عن عملها وعمله، وبدأ هو يشعر بالارتياح مجدداً. ثم سألته في النهاية عن أولاده، وحاول وصفهم لها.

"لقد تلقوا جميعاً ضربة قوية حين غادرت أمهم، تماماً مثلي أنا. لكني أظن أنهم يتخطون الأمر الآن". كلهم باستثناء بنجامين والكارثة التي ألحقها بنفسه مع ساندرا.

"وماذا عنك؟ كيف تشعر الآن؟" بدت أكثر رقة بعد تناول النبيذ الفرنسي الأبيض، وشعر هو أيضاً بالاسترخاء. من الأسهل التحدث إليها الآن، وناقشا أمور الحياة عند تناول عشائهما البسيط.

"لا أعرف. لا أفكر في الأمر كثيراً الآن. أبقي نفسي مشغولاً بالعمل والأولاد. لم أفكر أبداً في كيفية شعوري. ربما هذا دليل جيد".

"هل ما زلت تفتقدها؟"

"طبعاً. لكن بعد اثنين وعشرين عاماً، سأكون مجنوناً إن لم أفتقدها. لقد تزوجنا منذ ثمانية عشر عاماً، وتواعدنا لأربع سنوات قبل ذلك. وهذه فترة طويلة في حياة أي شخص. بالنسبة إليّ، إنها نصف حياتي".

"هل أنت في الرابعة والأربعين؟". ابتسمت وأومأ هو برأسه. "تصورت أنك في التاسعة والثلاثين".

"تصورت أنك في الخامسة والعشرين".

"أنا في الثلاثين". ضحك كلاهما.

"وكيف يبدو ذلك؟" مرعب مثلما يقولون؟ امتعضت سارة حين أصبحت في الثلاثين، وشعرت كأن حياتها كلها أصبحت خلفها. لكن هذا لم يكن شيئاً مقارنة مع التاسعة والثلاثين... والأربعين.... والواحد والأربعين... أظن أن هذا ما وصلت إليه أخيراً. كانت تخشى ألا تحقق أبداً أي شيء قبل أن تصبح

كبيرة فعلاً في السن، ولذلك هربت. والمؤسف أنها حققت الكثير، أو على الأقل هذا ما أظنه، لكنها لم تدرك ذلك".

"أنا لا أعلق الكثير من الأهمية على هذه الأمور، لكني أظن أن السبب يعود إلى كوني غير متزوجة ومسؤولة عن أولاد. لقد فعلت تماماً ما أردت فعله في كل حياتي. أظن أنك تستطيع القول إني فتاة مدللة". قالت هذا مع نظرة مرحة، وضحك هو لأنه شك في أنها محقة فيما ألقى نظرة سريعة على الشقة الباهظة من حوله.

"ما هو المهم بالنسبة إليك؟ أعني، ما الذي تهتمين به فعلاً؟"

نفسي، قالت بصوت عالٍ، ثم قررت أن تكون أقل صدقاً نوعاً ما. "عملي، حسب ما أظن، حريتي. عيش حياتي تماماً مثلما يرضيني. أنا لا أجيد المشاركة، ولا أفلح كثيراً في العيش وفقاً لتوقعات الآخرين. نحن نعمل وفق قواعدنا، وأنا أحب قواعدي. لا أفهم لماذا يتوجب على الشخص أن يقوم بأي شيء، ويتزوج، وينجب الأولاد، ويتقيد ببعض القواعد. أنا أفعل الأمور على طريقتي، وأحب ذلك".

"أنت مدللة"، قال بصراحة، لكنه في الوقت الحاضر، لم يكن واثقاً من أن هذا يهمه.

"لطالما طلبت مني أمي ألا أعبث بقواعد الآخرين، ولم أفعل ذلك أبداً. أبدو دوماً قادرة على تخطي ذلك. يكون ذلك أحياناً بمثابة قوة، لكنه في أحيان أخرى ضعف كبير. وفي بعض الأحيان، يشكل عائقاً لأني لا أفهم سبب تعقيد الأشخاص لحياتهم. عليك أن تفعل ما تريده في الحياة، فهذا هو الشيء الوحيد المهم".

"وماذا لو أذيت الآخرين من خلال ذلك؟" كانت تدوس على أرض حساسة، لكنها كانت أيضاً ذكية كفاية لمعرفة ذلك.

"هذا هو الثمن الذي تدفعه أحياناً. عليك أن تعيش مع ذلك، لكن عليك أن تعيش مع نفسك أيضاً، وهذا أكثر أهمية أحياناً".

"أظن أن سارة رحلت لهذا. لكني لا أوافق على ذلك. في بعض الأحيان، تدينين للأشخاص الآخرين أكثر مما تدينين لنفسك، وعليك أن تكوني صارمة وتفعلي ما هو صحيح لهم، حتى لو كلفك ذلك غالياً". كان هذا الفرق الأساسي بينه وبين زوجته، وربما الفرق بينه وبين ميغان.

"إن الشخص الوحيد الذي أدين له بأي شيء هو أنا، ولهذا أحب حياتي في الوقت الحاضر. لهذا السبب، لا أملك الأولاد، ولست مجبرة على الزواج، رغم أني في الثلاثين. أظن أن هذا ما نتحدث عنه فعلاً. أنا أتفق معك في ناحية ما. فإذا كان لديك أولاد، أنت تدين بالكثير لهم، وليس فقط لنفسك. وإذا لم ترغب في العيش كرمى لهم، لا يجدر بك إنجابهم. انا لا أريد كل تلك المسؤولية، ولهذا السبب ليس لدي أولاد. لكن زوجتك لديها. أفترض أن الخطأ الرئيسي الذي ارتكبته كان الزواج منك وإنجاب الأولاد أساساً". كانت أكثر ذكاء مما تظن، وقد أصابت فلسفات سارة مباشرة على الرأس، الأمر الذي أثار دهشة أوليفر.

"هذه غلطتي حسب ما أظن. لقد أقحمتها في كل ذلك. ومن ثم.... بعد عشرين عاماً، عادت إلى ما كانت عليه حين التقينا... وهربت..."

"لا يمكنك لوم نفسك على ذلك. إنها مسؤوليتها أيضاً. فأنت لم تجبرها على الزواج منك. كنت تفعل ما آمنت به، لنفسك. لا يمكن أن تكون مسؤولاً عن سلوك الأشخاص الآخرين في الحياة". كانت امرأة مستقلة تماماً، غير مرتبطة بأحد أو أي شيء، لكنها كانت على الأقل صادقة حيال ذلك.

"ما رأي عائلتك في طريقة عيشك؟". كان فضولياً لمعرفة ذلك، أيضاً، وبدت كئيبة لبرهة.

"أوه، أفترض أن هذا يزعجهم. لكنهم تخلوا عني. يستمر والدي في الزواج وإنجاب الأولاد. لديه ولدان من أمي، وأربعة من زوجته الثانية، وقد رزق للتو بولده السابع. أما أمي فتزوجت للتو، لكنها تنسى إنجاب الأولاد، وهذا جيد لحسن الحظ، لأنها لا تحبهم فعلاً. أمضينا أنا وأختي معظم حياتنا في

المدارس الداخلية الباهظة، منذ أن كنا في السابعة. كانوا يريدون إرسالنا قبلاً لو استطاعوا، لكن المدارس لم تكن تقبلنا".

"كم هذا مريع". بدا أوليفر مذعوراً. لم يستطع حتى تخيل إرسال أولاده بعيداً. ففي عمر السابعة، كان سام لا يزال طفلاً. "هل أثر ذلك فيك؟" لكنه ادرك، فور قوله ذلك، أنه سؤال غبي. فهناك أسباب جلية وواضحة لسبب عدم تعلقها بأي شيء وأي كان في الوقت الحاضر.

"أفترض أنه فعل. لست جيدة جداً في تكوين ما يسميه الانكليزيون الروابط الدائمة". يأتي الأشخاص ويذهبون. لطالما فعلوا ذلك في حياتي، وأنا معتادة على الأمر... مع بعض الاستثناءات". بدت فجأة حزينة، وبدأت تنظف الطاولة.

"هل أنت قريبة من أختك؟"

توقفت ونظرت إليه بغرابة. "كنا كذلك. قريبتين جداً. كانت الشخص الوحيد الذي أستطيع الاعتماد عليه. كنا توأمين متطابقين، إذا يمكنك تخيل ذلك. مشكلة مزدوجة إذا شئت. لكنها كانت كل شيء لم أكن عليه. جيدة، لطيفة، حسنة السلوك، محتشمة، مهذبة، تلتزم بالقواعد، وتصدق أي شيء يقوله لها الآخرون. وقعت في غرام رجل متزوج حين كانت في الحادية والعشرين. وانتحرت حين لم يترك زوجته". لقد تغير كل شيء بالنسبة إلى ميغان بعد ذلك، واستطاع أوليفر إدراك ذلك من خلال عينيها وهي تخبر القصة.

"أنا آسف".

"وأنا كذلك. لم يكن لدي أبداً صديقة أخرى مثلها. كان الأمر مثل خسارة نصف نفسي. النصف الأفضل. كانت تمثل كل الأمور الجيدة، كل الأشياء الحلوة التي لم أكن عليها أبداً ولن أكون عليها البتة".

"أنت قاسية جداً على نفسك". تحدث إليها بنعومة كبيرة، لكن لطافته جعلت الأمر مؤلماً أكثر.

"ليس تماماً. أنا صادقة. فلو كنت أنا، لقتلت ذلك الشرير، أو قتلت زوجته. لما كنت قتلت نفسي". ثم، وبنظرة قلقة، "حين أجروا التشريح، وجدوا أنها كانت حاملاً في شهرها الرابع. لم تخبرني أبداً. كنت هنا في المدرسة. وكانت هي تعيش في لندن مع أمي". نظرت إليه بعينين قاسيتين؟ "هل ترغب في شرب القهوة؟"

"نعم، من فضلك". كانت هذه قصة مذهلة. يصعب تصديق الأشياء التي تحدث في حياة الأشخاص الآخرين، المآسي، الألم، العجائب، اللحظات التي تغير الحياة. شك في أن ميغان كانت مختلفة جداً قبل وفاة شقيقتها، لكنه لن يعرف ذلك أبداً.

تبعها إلى المطبخ، ونظرت إليه بابتسامة دافئة. "أنت رجل لطيف، أوليفر واتسون. لا أخبر الأشخاص عادة قصة حياتي، أو على الأقل ليس من المرة الأولى التي ألتقيهم فيها".

"لي الشرف في أنك فعلت ذلك". فهذا يشرح الكثير عنها.

عادا إلى المصطبة لشرب القهوة المرة التي أخرجتها من الآلة، وجلست بالقرب منه فيما راقبا المنظر. وشعر بأنها تريد شيئاً منه، لكنه لم يكن مستعداً لمنحه لها. فالوقت لا يزال مبكراً جداً بالنسبة إليه، وما زال خائفاً مما سيكون عليه الأمر حين يغازل امرأة غير سارة.

"هل ترغبين في تناول الغداء في وقت ما من هذا الأسبوع؟"

"أحب ذلك كثيراً". ابتسمت. كان لطيفاً وبريئاً جداً، وإنما قوياً ومحتشماً ولائقاً. كان كل شيء خافت منه على الدوام ولم ترغب فيه أبداً. "هل تود إمضاء الليل معي هنا؟" كان سؤالاً جريئاً وفاجأه السؤال فيما كان يضع فنجان القهوة. نظر إليها مع ابتسامة جعلته يبدو وسيماً وصبيانياً في الوقت نفسه.

"إذا قلت لا، هل ستفهمين بأن هذا ليس رفضاً؟ لا أحب استعجال الأمور. أنت تستحقين أكثر من ذلك. كلانا نفعل ذلك".

"لا أريد أي شيء أكثر من ذلك". كانت صادقة معه. كان هذا أحد مزاياها.

"أنا أريد. ويجدر بك أن تفعلي ذلك أنت أيضاً. نقضي الليل، نستمتع قليلاً، ثم ماذا؟ ما الذي يمنحنا إياه؟ حتى لو أمضينا ليلة واحدة معاً، سيكون اجمل لكلينا إذا عنت تلك الليلة شيئاً لنا".

"لا تضع الكثير من الأهمية على ذلك".

"هل سيكون الأمر أكثر بساطة إذا قلت إني غير مستعد؟ أو هل يجعلني ذلك أبدو مثل خاسر؟"

"هل تذكر ما قلته، أوليفر؟ عليك أن تلعب وفق قواعدك الخاصة. هذه هي قواعدك. لديّ قواعدي. سوف أقبل دعوة الغداء، ولا تكن مصدوماً كثيراً لأني اقترحت عليك هذا الأمر".

ضحك، وشعر بالمزيد من الارتياح مجدداً. بدا كل شيء مقبولاً بالنسبة إليها. كانت مرنة وغير متطلبة، ومثيرة جداً، لدرجة أنه أراد ضرب نفسه على عدم القبول بعرضها قبل أن تغير رأيها.

"سوف أتصل بك غداً". وقف. لقد حان الوقت للذهاب. قبل أن يفعل شيئاً يندم عليه لاحقاً، حتى لو لم تندم هي عليه. "شكراً على العشاء الرائع".

"في أي وقت". راقبته عن كثب وهما يتوجهان إلى الباب، ثم نظرت في عينيه بنظرة رآها القليل من الرجال. صحيح أنها تشاركت الفراش مع العديد من الرجال، لكن عدداً ضئيلاً منهم عرفها. "أوليفر... شكراً لك... على كل شيء..."

"لم أفعل أي شيء سوى الأكل والتكلم، والاستمتاع بوجودي معك. لا حاجة إلى شكري".

"سوف أتصل بك". ثم انحنى وأخذها بين ذراعيه وقبلها. كانت هذه أول امرأة يقبلها منذ أن غادرت زوجته، وكان فمها شهياً ودافئاً، وجسمها قوياً ومثيراً. أراد أن يمارس الحب معها أكثر من أي شيء آخر، لكنه عرف أنه يجدر به الذهاب. أراد أن يفكر في ذلك. كانت امرأة قوية جداً للاستخفاف بها.

"تصبح على خير"، همست له فيما وصل المصعد، وابتسم فيما نظر إليها مباشرة في العينين مع إغلاق الباب. وقفت هناك لوقت طويل، ثم دخلت ببطء إلى شقتها وأغلقت الباب. عادت إلى المصطبة، وجلست، وراحت تفكر فيه... وفي الأخت التي لم تتحدث عنها منذ أعوام. ومن دون أن تعرف لماذا، ولأي سبب، بدأت تبكي بهدوء.

الفصل الخامس عشر

اتصل بها، كما وعدها، في صباح اليوم التالي ودعاها إلى الغداء في فندق الفور سيزونز ذلك اليوم. كان قد استلقى في السرير يفكر فيها لساعات طويلة في الليلة الفائتة، وكره نفسه لعدم البقاء وممارسة الحب معها. فقد كان كل شيء في العالم مهيأ له على طبق من فضة، لكنه هرب. شعر أنه أحمق كبير، وكان واثقاً من أن ميغان تشاركه رأيه.

التقيا في فندق الفور سيزونز عند الظهر، وكانت ترتدي فستاناً حريرياً باللون الأحمر اللامع وتنتعل صندلاً جلدياً أسود عالي الكعب، ورأى أنها المرأة الأكثر جاذبية التي عرفها. وجعله ذلك يشعر أنه كان أكبر أحمق في الليلة الفائتة، وأخبرها بذلك فور جلوسهما على المائدة. كانت النافورة في وسط الغرفة تنشر رذاذاً ناعماً، وكان هناك أشخاص من عمله وعملها في كل مكان. ليس هذا مكاناً كتوماً ليلتقيا فيه، لكن أياً منهما لا يملك أي سبب لإبقاء الأسرار.

أخبرته عن الكتاب الجديد الذي تهتم في نشره، وشرح لها مطولاً عن أحد زبائنه الجدد. وشارفت الساعة على الثالثة قبل أن يلتفتا حولهما ويدركان أنهما كانا الشخصين الوحيدين الباقيين في المطعم. ضحكت ميغان وبدا أوليفر محرجاً قليلاً.

"ماذا عن العشاء ليلة غد؟"، سألها فيما كانا يغادران.

"هل تجيد الطهو؟"

"لا"، قال ضاحكاً. "لكني أستطيع التظاهر بذلك. ماذا تحبين؟ بيتزا؟ طعام صيني؟ سندويش باسترامي. تشيزبرغر من همبرغر هافن؟"

ضحكت من كلامه. "لماذا لا أجلب معي بعض الأشياء من مطعمي المفضل ونتناولها معاً؟"

"يبدو هذا رائعاً". أحبَّ الفكرة، ودفئها، وخصوصاً مشروع رؤيتها مجدداً.

"هل تحب المصقعة؟"

"أعشقها". لكنه كان مهتماً فيها أكثر من الوجبة، وقبلها قبلة خفيفة على الوجنة فيما ودعها في سيارة الأجرة وعاد سيراً إلى مكتبه.

"زبون جديد؟" سألته دافني عند الرابعة بعد الظهر حين دخلت إلى مكتبه مع بعض النماذج لعرضها عليه.

"من؟"

"تلك المرأة التي شاهدتك معها على الغداء". ابتسمت له ابتسامة سعيدة عبر مكتبه وتورد هو خجلاً وحاول التظاهر بأنه يركز على النماذج الخاصة بالعرض التجاري.

"ماذا تفعلين. تتجسسين علي؟"

"هل أشم عطراً ربيعياً في الهواء؟ أم أنه عطرها؟"

"اهتمي بشؤونك الخاصة. إنها ربما رائحة مبيد الحشرات. فقد وجدت صرصوراً تحت مكتبي هذا الصباح".

"قصة محتملة. حتى النباتات البلاستيكية لا تستطيع التنفس في هذا المكان، فماذا القول عن صرصور جميل وسليم. إنها فاتنة. من هي؟"

"مجرد فتاة التقيتها ذلك اليوم".

"جميل جداً. جدية؟". كانت كشقيقة بالنسبة إليه، وأحبها هو لذلك.

"ليس بعد، وربما أبداً. إنها واحدة من تلك النساء المستقلات مثل زوجتي السابقة. فهي تؤمن في المهن والحرية وعدم التعلق بأي كان". كانت هذه المرة الأولى التي يسمي بها سارة بهذه الطريقة، وكان هذا بحد ذاته خطوة في الاتجاه الصحيح.

"تبدو مثل مشكلة كبيرة. لذا، أمضِ معها بعض الوقت الممتع قبل أن تحطم قلبك".

"سأفعل ذلك".

"تهانينا".

"شكراً لك. والآن، هلا رغبت إذا عدنا إلى العمل أو تفضلين بدل ذلك إسداء النصائح إلى المحروم من الحب؟"

"لا تكن شديد الحساسية". لكنهما نسيا موعد العشاء في تلك الليلة وعملا كلاهما حتى وقت متأخر. وحين عاد إلى المنزل، اتصل بميغان. كانت خارج المنزل، وأجابت الآلة المجيبة. ترك اسمه وقال لها إنه اتصل ليقول لها مرحبا فقط، وأعاد توكيد موعدهما في الليلة التالية.

وصلت في تمام الساعة الثامنة، وتحمل في يديها الكثير من الأشياء، وراحا يفتحان العلب معاً في مطبخه.

"إنه مكان جميل"، قالت بتهذيب، لكنه لم يكن يشبه مكانها أبداً، ولا يزال يعطي الانطباع بأنه شقة شخص آخر. وحدهم الأولاد تركوا آثارهم الشخصية في غرفهم، لكن أولي لم يغير الكثير من غرفة الجلوس. ومع غياب آجي عن المنزل، لم يكن هناك حتى أزهار. تذكر الأمر في وقت متأخر جداً، بعد أن عاد إلى المنزل.

"كيف كان يومك؟"

"ليس سيئاً. وأنت؟". بدت مسترخية وسعيدة بتنورتها البيضاء الحريرية المشقوقة حتى الفخذ تقريباً، وقميصها الفيروزي الذي جعل بشرتها المسمرّة تبدو أكثر اسمراراً.

أخبرها بما قام به طوال اليوم، وكان جميلاً وجود شخص لمشاركة الأخبار معه، فيما تناولا المصقعة على طاولة المطبخ.

"لا بد أنك تشعر بالوحدة هنا، مع ذهاب الأولاد".

ابتسم لها، متسائلاً ما إذا كانت هذه دعوة للعودة إلى شقتها. "يصبح الجو هادئاً قليلاً من دونهم. لكني كنت أعمل حتى وقت متأخر في معظم الليالي".

وراوده فجأة الإحساس بأنه لن يفعل ذلك لوقت أطول.

تحدث عن أشياء مجنونة، وعن البولو والبايسبول، وأهلها مجدداً، وكرهها للانكليز. شك في أن هذا يعزى ربما إلى الرجل الذي سبَّب انتحار شقيقتها. كانت تملك آراءً قوية بشأن كل شيء. وحين ساعدته في تنظيف الصحون، لاحظ الشق في تنورتها مجدداً وشعر بإثارة لا تقاوم.

جلسا في غرفة الجلوس بعد ذلك، وهما يتناولان المشروبات ويتحدثان. وفجأة، ومن دون أن يعرف كيف حدث ذلك، وجد نفسه يقبلها وكانا مستلقيين على الأريكة وأراد بشدة ممارسة الحب معها. كانت تنورتها حول خصرها، وفخذاها عاريتين، وفيما مرر يده فوق لحمها الطري، أدرك أنها لم تكن ترتدي أي شيء سوى جسمها تحت التنورة، وتأوه رغبة حين لمسها. عثرت أصابعه على ما كان يبحث عنه، وتأوهت هي بنعومة، فيما ابتعدت عنه السنوات وعاد شاباً مجدداً، شاباً وعاشقاً ومغموراً بالشغف. نزع عنها قميصها، وفكت هي تنورتها بطريقة سحرية، واستلقت عارية تحت يديه. والواقع أن مجرد رؤيتها هكذا حبست أنفاسه لأنها كانت تبدو فاتنة جداً.

"يا إلهي، ميغان... يا إلهي..". ثم، وبطريقة مثيرة، ومحكمة، خلعت عنه ثيابه واستلقيا معاً على الأريكة ومارسا الحب مثلما لم يفعل هو قبلاً. فقد فعلت له أشياء لم يجرؤ أبداً على الحلم بها، وملأته برغبة قوية بحيث أخذها بقوة ودخل فيها مثل الزلزال. ثم استلقى فوقها، وشعر بجسمها يرتعش، وبدأ بعدها يتلوى ببطء. لم يستطع التصديق أنها تريد المزيد، لكنها قادت يديه إليها، ثم أقحم رأسه بين ساقيها، وداعب لسانه الأماكن التي أرادتها. تأوهت وبكت وارتعشت، وفي لحظة دخلها مجدداً، واستلقيا يمارسان الحب لساعات، مجدداً ومجدداً. سحبته إلى الأرض، وأخذها من ثم إلى غرفة نومه. وفي النهاية، استلقيا مرهقين، جنباً إلى جنب، وضحكت هي ضحكتها العميقة وشدته إليها مجدداً فيما أصدر هو التأوهات.

"يا إلهي، أيتها المرأة، سوف تقتلينني".

"لكن يا لها من طريقة للموت!" ضحك كلاهما، وبعد فترة وجيزة، أخذته الى الحمام ومارسا الحب في المغطس. كانت ليلة لا تنسى لهما معاً، وحين أشرقت الشمس، كانا يجلسان بسعادة في المغطس. لم تكن تشبه أي شخص عرفه قبلاً. فقد كانت مليئة بالرغبة، وولدت الشيء نفسه فيه. لم يظن نفسه قادراً أبداً على الأعمال الفذة التي جعلته يؤديها، لكنه أحب ذلك.

"هل تدركين أننا نمارس الحب منذ عشر ساعات تماماً؟ إنها الساعة السابعة صباحاً". كان مذهولاً بما قاما به. مذهولاً ومسروراً بنفسه وبها. لم يكن الأمر شبيهاً أبداً بممارسة الحب مع سارة، وكان يظن أن حياتهما الجنسية مثالية.

"بعد سبعة أشهر، ألا تظن أنك تستحق هذا؟" ابتسمت له وضحك هو.

"لم أفكر في الأمر بهذه الطريقة. ربما يجدر بنا التجربة مجدداً". كان هو يمزح فقط، لكنها لم تكن كذلك. جلست منفرجة الساقين في المغطس فيما ضحك هو واستلقى فوقها مجدداً. وأصيب بالدهشة، حين شعر بعد لحظات أنه يتوق إليها مجدداً، ولعبا والتفا ووثبا مرحاً مثل دلفينين صغيرين في المغطس. ثم دفعها إلى حافة المغطس ودخلها فيما تأوهت هي، ومن دون أن تشعر بالسيطرة على نفسها، طلبت منه ألا يتوقف إلى أن صرخت في النهاية، وانفجرا كلاهما من أعماق المياه الفاترة المليئة بالصابون. "أوه، ميغان... ماذا تفعلين بي!..." كان صوته عميقاً وأجشاً فيما راح يقبل عنقها. فتحت هي عينيها للنظر إليه وربتت على شعره الأشقر الذي بات أشعثَ نتيجة شغفهما. "لم أعرف أبداً أحداً مثلك".

"لم يسبق لي أن فعلت هذا أيضاً". لم تقل ذلك لأي كان، وكانت تقصد ذلك فعلاً. "أنت مميز، أوليفر".

"أنت أيضاً امرأة مذهلة". بالكاد استطاع إجبار نفسه على ارتداء الثياب للذهاب إلى العمل، وحين انتهى من ارتداء ثيابه مجدداً وكانا مستعدين للمغادرة، أمسكت به وراحت تربت برفق على المكان الذي يفترض أن يكون مرهقاً، لكنه لم يكن كذلك. "لا أستطيع تصديق ذلك... ميغان... لن نخرج أبداً من هنا..." وبدأ يفكر أنه لا يجدر بهما فعل ذلك.

"يجدر بنا ربما الاتصال بالعمل وادعاء المرض"، همست في أذنه فيما دفعته إلى أرض الممر وبدأت تعضّ عنقه وتقضم وجهه برفق، وتوبخه ساخرة فيما تلاطف جسمه. أخذها بقوة مجدداً، بقوة أكبر مما كان يعلم وبقوة أكبر مما كان يصدق أنها لا تزال لديه بعد اثنتي عشرة ساعة تقريباً من ممارسة الحب مع ميغان تاونساند.

وفي النهاية، فعلا مثلما اقترحت. اتصل كلاهما بالعمل مدعيين المرض، وأمضيا النهار في السرير، وعلى الأرض، وفوق الأريكة، وفي المغطس. حتى أنهما مارسا الحب وهما منحنيان على الحائط في المطبخ، حين دخلا أخيراً لتسخين بعض المصقعة. كان هذا نوعاً من الجنون سيطر عليهما. وفي تلك الليلة، استلقيا في السرير وأمسكها بالقرب منه فيما راحت تطعمه رقاقات الشوكولاته.

"هل تظنين أنه يجدر بنا الاتصال بطبيب؟" سألها بسعادة. "ربما هذا مرض... أو أننا مخدران..."

"ربما السبب هو رقاقات الشوكولاته"

"مم... جيد... أعطني المزيد..." كان يصعب التخيل أنهما سينفصلان مجدداً، أو يتمكنان حتى من ارتداء ثيابهما. ثم تساءل فجأة عن أمر كان يجدر التفكير فيه في اليوم السابق، وسألها ما إذا كانت تقلق بشأن الحمل.

"لا". بدت مسترخية تماماً. "لقد خضعت لربط الأنابيب قبل تسعة أعوام".

"في الحادية والعشرين؟" بدا مصدوماً، ثم تذكّر. حصل ذلك حين ماتت شقيقتها وهي حامل في شهرها الرابع.

"أعرف أني لم أكن أريد الأولاد في أية حال، ولم أكن لأسمح لأي وغد أن يفعل بي ما حصل مع بريسيلا".

"ولم تندمي أبداً على ذلك؟ ماذا لو أردتِ إنجاب الأولاد يوماً ما؟"

"لن أفعل، وإذا فعلت، أستطيع تبنيهم. لكني أشك في أن أفعل ذلك. أنا لا أريد هذا النوع من الصداع. لماذا؟ هل تريد المزيد من الأولاد؟"

"كنت أريد. لكن سارة لم ترغب أبداً في المزيد من الأولاد. لقد ربطت أنابيبها هي أيضاً حين رزقنا بـــ سام. "لطالما نَدِمَتْ على ذلك، لكنها لم تفعل أبداً".

"هل تريد المزيد من الأولاد الآن؟" لم تكن قلقة، وإنما فقط محتارة. لم تخيل في أنها تريد المزيد من الأولاد، أو أية أولاد أصلاً، من أجلها هي.

"لست واثقاً. لقد فات الأوان قليلاً الآن. لكني أفترض أني لن أمانع إذا حصل ذلك".

"حسناً، لا تعتمد عليّ". ابتسمت واستلقت على وسادتها.

وبعد أن شعر بالارتياح والانفتاح معها، صارحها بأمر بنجامين. "ابني البالغ من العمر ثمانية عشر عاماً ينتظر طفلاً في سبتمبر. إنها فوضى عارمة. إنه يعمل كمساعد نادل ويعيل الفتاة. لقد خرجا كلاهما من الثانوية، فيما كان باستطاعته الذهاب إلى هارفارد".

"سيفعل ذلك يوماً ما ربما". لكنها بدت فجأة آسفة لأولي. فمن الواضح كم هو غاضب على الولد. "هل سيحتفظان بالطفل؟"

"يريدان ذلك. لقد فعلت كل ما بوسعي لثنيهما عن ذلك. لكنهما على الأقل لن يتزوجا لحسن الحظ". كان شاكراً لإصرار ساندرا في هذا المجال.

"سيعودان ربما إلى رشدهما حين يواجهان الحقيقة. فالأطفال ظرفاء فقط في إعلانات الحفاضات. وفي بقية الأوقات، يكونون مثل وحوش صغيرة".

"وكم عرفت من الأطفال، آنسة تاونساند؟"

"أقل قدر ممكن، شكراً جزيلاً لك". استلقت فوقه وأمسكت بإحكام عضوه المفضل، ثم أزاحت البطانية ونزلت إلى الأسفل لتحرك لسانها برفق حوله. "أفضل شخصياً الآباء على الأطفال..."

"كم أنا محظوظ". ابتسم وأغلق عينيه، ثم سحبها إليه ليقابلها بالمثل. وفي تلك الليلة، خلدا أخيراً إلى النوم، مرهقين، بعد منتصف الليل. كان هذا يوماً ماراثونياً، ويوماً لن ينسى أبداً. إنه أعجوبة ميغان تاونساند.

الفصل السادس عشر

التهبت العلاقة الرومنسية في الشهر الأكثر حرارة من السنة. فقد كان الطقس حاراً جداً في أغسطس، تماماً مثل علاقتهما. وقد تناوبا بين شقته وشقتها، وفي إحدى الليالي، أمضيا الليل وهما يمارسان الحب على المصطبة. لكنهما كانا لحسن الحظ أعلى من بقية المباني المحيطة بهما.

كان بالكاد يملك الوقت لرؤية دافني، لكنها عرفت ما يحصل، وكانت مسرورة لأجله. فقد كان يكشف عن نظرة مغشّاة في عينيه، وكان دوماً غامضاً وشارد الذهن، وأملت في أن يكون متزناً، لصالحه هو.

ذهبا إلى بورتشايس في أحد الأيام، بحيث يستطيع رؤية بنجامين ووالده، وأوصل ميغان إلى منزل والدها، ثم أخذها لإعادتها مجدداً إلى المدينة. لكنهما لم يتوقفا في المنزل. فلم يشأ الذهاب معها إلى هناك لأن المكان لا يزال مفعماً بذكريات سارة.

نادراً ما يفكر فيها الآن. فقد كان مهووساً في ميغان، وممارستهما للحب، وجسمها. وبعد ظهر يوم أحد، كانا يتجولان عاريين في شقته، حين رن الهاتف. لم يعرف من هو المتصل. ربما دافني، لتتحقق من سلامته، رغم أنها نادراً ما تتصل به الآن. فهي لم تشأ إزعاجهما.

دوّى في أذنيه ضجيج الأسلاك البعيدة حين رفع السماعة، ثم انقطع الخط. رن بعدها الهاتف مجدداً وأخبره عامل هاتف أجنبي أن هناك اتصالاً له من سان ريمو. بالكاد استطاع سماع أي شيء، وابتسم، فيما كانت ميغان تعرض نفسها أمامه. ولبرهة، شعر بالحزن، مفكراً في التعديلات التي يجدر بهما اتخاذها. يفترض أن يعود الأولاد إلى المنزل في عطلة نهاية الأسبوع المقبلة.

"مرحبا؟" استطاع سماع صوت في البعيد. بدا ذلك مثل البكاء، لكنه عرف أن هذا تشوش.

"مرحبا؟" صرخ عالياً وسمع فجأة ميل تبكي وهي تقول: "أبي..."

"مليسا؟ مليسا! تحدثي إليّ". اختفى الخط، ثم عادت إليه، مع صدى، وإنما بصوت أوضح قليلاً. "ما الأمر؟ ماذا حدث؟"

"...حادث..."أوه، يا إلهي.... لا.... سام.... ليس سام... أرجوكم... ولا حتى سارة...

"صغيرتي، لا أستطيع سماعك! تحدثي بصوت أعلى!" امتلأت عيناه بالدموع فيما انتظر، وراقبته ميغان. لقد نسي أمرها تماماً، في يأس لفهم ابنته.

"...حادث... قتل... أمي..." يا الله إنها سارة...

وقف منتصباً كما لو أن هذا يحسّن الاتصال وصرخ في سماعة الهاتف بأعلى صوت ممكن. في إيطاليا، إنها الآن منتصف الليل. "ماذا حدث لأمك؟"

"... سيارة... تقود... كنا في سان ريمو.... جان بيار..."

"مليسا، هل أصيبت أمك بأذى؟" ولاحظت ميغان في وجهه أنه ما زال يحبها، لكنها لم تلمه على ذلك بعد عشرين عاماً. ووقفت هي مشلولة من الخوف أيضاً. ذكرها ذلك بالاتصال الذي تلقته قبل عشرة أعوام تقريباً... من أمها... حبيبتي... أوه حبيبتي... إنها بريسيلا...

"أمي على ما يرام..." انهمرت الدموع على وجنتيه حين سمع هذه الكلمات.

"سام؟ ماذا عن سام؟"

"... كسر سام ذراعه. أبي، كان ذلك مريعاً جداً..." ثم بدأت تبكي مجدداً، ولم يستطع فهم أي شيء. لكن إذا كان سام حياً... إنه حي، أليس كذلك؟... وسارة... ومليسا على الهاتف.... "سيارة صدمتنا... مباشرة... قتل السائق... وولدان... وجان بيار... قتل جان بيار على الفور... أوه أبي...

كان هذا مريعاً..." يا إلهي... الرجل المسكين... لكن ولداه على قيد الحياة على الأقل. ولداه في أية حال، إذا لم يكن الآخرون. إنها طريقة أنانية مرعبة للتفكير، لكنه كان شاكراً كثيراً.

"صغيرتي، هل أنت على ما يرام؟... هل أصبت بأذى؟"

... أنا بخير..."

"أين أمك؟"

"في المستشفى... طلبت مني أن أتصل بك... علينا العودة إلى فرنسا لحضور الدفن... سنعود إلى المنزل يوم الجمعة".

"لكنك على ما يرام؟ أنت واثقة؟ هل تأذت أمك؟"

"... صدمة في العين... ورضوض في كل مكان... لكنها بخير..." كان الأمر أشبه بلعبة التلغراف، لكنهم كانوا على قيد الحياة، حتى لو أصيبوا بالرضوض والكسور. وقد شاهدوا عشيق أمهم وهو يموت، فضلاً عن رجل آخر وولدين. ارتعش لمجرد التفكير في الأمر.

"هل تريدين مني أن آتي؟"

"... لا أظن ذلك... سوف نبقى... مع أهل جان بيار... سنعود الليلة... تقول أمي إنك تملك الرقم".

"أملكه. سوف أتصل بكم. وصغيرتي..." بدأ يبكي فيما أمسك الهاتف بيد مرتعشة "... أنا أحبك... أخبري سام أني أحبه أيضاً... وقولي لأمك إني آسف".

بدأت ميل تبكي مجدداً، ثم أصبح الاتصال سيئاً جداً، وتوجب عليهما إنهاء المكالمة. بدا أولي مصدوماً بشدة حين أقفل الهاتف وحدق في ميغان. لقد نسي أمرها تماماً فيما كان يتحدث إلى ابنته.

"هل هم على ما يرام؟" كانت تقف عارية، وجميلة، أمامه قبل أن تعطيه كأساً من البراندي.

"أظن ذلك. كان الاتصال سيئاً. لقد حصل حادث... قتل عدة أشخاص حسب ما فهمته. قتل صديق زوجتي على الفور. كان يقود السيارة. في سان ريمو'.

'يا إلهي. كم هذا مريع". جلست بالقرب منه، ورشفت القليل من البراندي الذي لم يلمسه. "هل أصيب الأولاد بأذى؟"

"كسر سام ذراعه. أظن أن مليسا على ما يرام. تعرضت سارة للرضوض، لكني أظن أنهم على ما يرام. لا بدّ أن ذلك كان مروّعاً". وفيما لا يزال مصدوماً، نظر إلى ميغان. 'حين بدأت الكلام، ظننت... ظننت أن سام... أو ربما سارة... من المريع فعلاً قول ذلك مع موت أشخاص آخرين، لكني مسرور لأنهم لم يموتوا".

"أعرف". وضعت ذراعها حوله وأمسكته بالقرب منها، لوقت طويل، وجلسا هناك. بقيا في هذا المكان تلك الليلة، في حال اتصل الأولاد مجدداً، وللمرة الأولى منذ شهر، لم يمارسا الحب أبداً. فكل ما استطاع التفكير فيه هو أولاده. وببطء، أعادتهما الصدمة إلى رشدهما. فقصتهما المجنونة سوف تتغير حين يعود الأولاد إلى المنزل. لا يستطيع البقاء خارجاً طوال الليل، ولا تستطيع هي البقاء في الشقة معه، وعليهما أن يكونا أكثر حذراً مع الأولاد. فبطريقة ما، جعلهما الأمر يرغبان في فعل قدر ما يستطيعون فيما لا يزالان وحدهما، وبطريقة أخرى، نجح مجرد إدراك ما سوف يجري سريعاً في تغيير الأمور.

وليلة الخميس، شعرا كلاهما بالعصبية والاكتئاب. بقيا مستيقظين طوال الليل، يمارسان الحب ويتكلمان، ويتمنيان لو أن الأشياء كانت مختلفة.

"يمكننا الزواج يوماً ما"، قال لها، نصف ممازحاً ونظرت هي إليه برعب ساخر.

"لا تكن سخيفاً. هذا مبالغ فيه، أليس كذلك؟"

"هل هو كذلك؟" لم يعرف أبداً شخصاً مثلها، وكان خاضعاً تماماً لأهوائها في الوقت الحاضر.

"بالنسبة إلي، هو كذلك. أوليفر، لا أستطيع الزواج بأي كان. لست من هذا النوع، وأنت تعرف ذلك".

"لكنك تجيدين تسخين طبق المصقعة".

"تزوج إذاً الرجل في المطعم الذي يحضرها".

"لا يمكن أن يكون ظريفاً مثلك، رغم أني لم ألتقِ به أبداً".

"كن جاداً. ماذا سأفعل بزوج وثلاثة أولاد؟"

ادعى أنه يفكر في المسألة وضحك. "أستطيع التفكير في بعض الأمور..."

"لست بحاجة إلى الزواج من أجل ذلك، لحسن الحظ". لقد أمضيا شهراً حافلاً، لكنها تتصرف الآن كما لو أنه انتهى. "لا أريد أكثر من هذا".

"ستفعلين ربما يوماً ما".

"إذا فعلت، ستكون أول من يعلم. أعدك".

"هل أنت جادة؟"

"جادة بقدر ما أستطيع في مثل هذه المواضيع. لقد قلت لك قبلاً، الزواج ليس لي. ولا تحتاج إلى زوجة أخرى لتهرب من الباب. أنت تحتاج إلى فتاة رائعة وجميلة وذكية تحبك كثيراً، وتعتني بأولادك، وتنجب لك أربعة عشر طفلاً آخر".

"يا لها من فكرة. أظن أنك تخلطين بيني وبين والدك".

"ليس تماماً. لكني حتماً لست الطبيب المنشود، أوليفر. أنا أعرف من أكون، وبعضي على ما يرام فيما بعضي الآخر ليس كذلك. بطريقتي. أنا أشبه ربما زوجتك إلى حد بعيد، وهذا تماماً ما لا تحتاج إليه. كن صادقاً".

تساءل ما إذا كانت محقة، وما إذا وجد لنفسه شكلاً أكثر حداثة وسرعة من سارة. لم يفكر أبداً في ذلك، لكنه محتمل، رغم أن الفكرة سببت له الاكتئاب. "ماذا يحصل الآن؟"

"نستمتع بالأمر كما هو، لقدر ما نستطيع، وحين يصبح الأمر معقداً جداً لكلينا، نقول وادعاً، مع قبلة وعناق وشكراً".

"بهذه البساطة؟"

"بهذه البساطة".

"لا أوافق على ذلك. فأنت تتعلقين بالأشخاص في الحياة. ألا تظنين أنه بعد شهر من العيش معاً طوال الوقت، أصبحنا متعلقين ببعضنا البعض الآن؟"

"طبعاً. لكن لا تخلط الجنس الرائع مع الحب الجيد. فالاثنان لا يتماشيان دوماً. أنت تعجبني، وأنا أهتم بك، وربما حتى أحبك. لكن الأمر سيكون مختلفاً حين يعود الأولاد إلى المنزل. سيكون الأمر مختلفاً جداً لكلينا ربما، وإذا كان كذلك، علينا القبول به والانتقال. لا يمكنك قتل نفسك لأشياء مثل هذه في الحياة. فالأمر لا يستحق العناء". كانت غير رسمية وغير مبالية، تماماً مثلما كانت حين رآها في القطار واتصلت لتدعوه إلى العشاء. فطالما الأمر ممتع، لا بأس به. لكن حين لا يعود ممتعاً، إرمه فقط. إنها محقة. قال لنفسه إنه يقع في غرامها. لكنها كانت محقة في هذا أيضاً. قد يكون مغرماً فعلاً في جسمها.

"أنت محقة ربما. لا أعرف فقط". ومارسا الحب مجدداً تلك الليلة، لكن الأمر كان مختلفاً هذه المرة. وفي صباح اليوم التالي، عادت إلى شقتها، وأخذت معها كل آثارها التي تركتها في شقته خلال الشهر الفائت. ماكياجها، مزيل الرائحة خاصتها، الحبوب التي تستعملها في حال أصيبت بصداع الشقيقة، العطر الذي اشتراه لها، أسطوانتها، فوطها الصحية، وبعض الفساتين التي تركتها في غرفته. شعر بالوحدة لمجرد رؤية المساحة الفارغة، وذكره ذلك مجدداً بألم خسارة سارة. لماذا يجب أن ينتهي كل شيء؟ لماذا يتغير كل شيء. أراد التشبث بكل ذلك للأبد.

لكن الأمور عادت إلى طبيعتها مع قوة أكبر حين شاهد ولداه يخرجان من الطائرة، وسارة خلفهما. كشف وجهها عن صدمة لم يلاحظها أبداً لديها،

فضلاً عن الحزن والوحدة. إنه أسوأ من أي ألم آخر شعرت به قبلاً، ونظرت إليه بعينين حزينتين، محاطتين بكدمتين كبيرتين، ورباط على ذقنها لتغطية أربع عشرة قطبة. بدا سام خائفاً أيضاً، وكان يمسك بيد أمه في الذراع السليمة، فيما الذراع الأخرى مغلفة بالجبس من أطراف الأصابع حتى الكتف. بدأت مليسا تبكي منذ أن رأته. هرعت إلى ذراعيه، وراحت تبكي بقوة. وبعد برهة، أصبح سام هنا أيضاً متشبثاً بوالده.

ثم نظر أوليفر إلى المرأة التي كانت زوجته، ولم تعد كذلك، وعرف بكل قوته كم أحبت ذلك الشاب الذي توفي في سان ريمو.

"أنا آسف، سارة... أنا آسف جداً...' كان ذلك كأنه خسر جزءاً من نفسه حين رآها محطمة. "هل هناك أي شيء أستطيع القيام له؟" توجها ببطء إلى منصة الحقائب فيما هزت هي رأسها وتحدثت مليسا عن الدفن. كان جان بيار الولد الوحيد لأهله وكان الأمر مريعاً.

أومأ أوليفر برأسه، وحاول تعزيتهم، ثم نظر فوق رأس سام إلى سارة؟ "هل تريدين البقاء في المنزل في بورتشايس؟ يمكننا البقاء في البلدة، إلا في عطلة يوم العمل".

لكنها اكتفت بهز رأسها وابتسمت. بدت أكثر هدوءاً، وليس أكبر عمراً، وإنما أكثر حكمة. "تبدأ جامعتي يوم الاثنين. عليّ العودة. هناك الكثير من الأعمال الواجب القيام بها". لم تخبره أنها باشرت أخيراً في هذا الصيف في كتابة قصتها. "لكن شكراً لك في أية حال. سوف يأتي الأولاد إليّ بعد بضعة أسابيع، وسأكون على ما يرام'. لكن كانت تخشى رؤية أشيائه حين تعود إلى المنزل في كامبريدج. جعلها ذلك فجأة تدرك ما شعر به أوليفر حين غادرت. بطريقة ما، يمكن القول إنه أشبه قليلاً بالموت. لقد أحبت جان بيار مثل ابن وصديق، وعشيق، وأب، واستطاعت منحه كل شيء أنكرته عن أوليفر في السنوات الأخيرة لأنه لم يرغب في أي شيء منها. لقد علمها كثيراً عن العطاء والحب... والموت...

طارت سارة مباشرة إلى بوسطن، حين أصبح الولدان مع أوليفر، وأخذوا سيارة أجرة إلى المدينة. كانا هادئين ومقهورين وغاضبين وسأل أوليفر سام ما إذا كانت ذراعه تؤلمه، وقال له إنه يريد اصطحابه إلى طبيب أميركي. حجز موعداً لبعد ظهر ذلك اليوم، وحين ذهبا، قال اختصاصي العظام إنه تم تجبير الذراع كما يجب في سان ريمو. وأصبحت ميل أطول وأكثر شقاراً وجمالاً خلال الصيف، على رغم الصدمة.

وكان من الجيد العودة إليهما مجدداً، بحيث تذكر فجأة كم اشتاق إليهما من دون أن يعرف ذلك. وتساءل فجأة عن جنون علاقته مع ميغان. سوف يذهبان إلى المنزل في بورنتشايس في اليوم التالي، لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، ودعا ميغان لقضاء اليوم معهم نهار الأحد للتعرف إلى ولديه. وكانت آجي ستعود إلى المنزل يوم الاثنين. في غضون ذلك، عليهم تدبر أمورهم. أعدّ لهم البيض المقلي والخبز المحمص حين عادا إلى الشقة. وأخبراه شيئاً فشيئاً عن كل ما فعلاه في ذلك الصيف. لقد قضيا وقتاً رائعاً حتى حصول الحادث. وجعله الإصغاء إليهما يدرك مجدداً كم أصبحت حياته بعيدة عن سارة الآن. ولم يعد واثقاً حتى من أنه ما زال يحبها.

خلد الولدان إلى النوم تلك الليلة مباشرة بعد تناول العشاء، لا بل إن سام نام على طاولة المطبخ. ففارق الوقت غلب عليه، وكانا مرهقين.

وضع أوليفر سام في السرير، وحرص على سند الذراع المكسورة على وسادة، مثلما قال لهما الطبيب، ثم عاد للتحقق من مليسا التي كشفت عن وجه مقطب فيما أمسكت بشيء غامض في غرفة نومها. "ما هذا؟" إنها قميص امرأة مع حمالة ثديين عالقة بها. وفيما رفعتها، تجمد وجهه واستطاع شم رائحة ميغان. لقد نسي الساعات التي طاردها في غرفة ميل ومزق ثيابها تقريباً فيما كانا يضحكان وعادا مسرعين إلى غرفته لممارسة الحب في المغطس.

"لا أعرف.." لم يعرف ما الذي يقوله لها. لا يستطيع أن يشرح لها ما جرى خلال الشهر الماضي، على الأقل ليس لابنته البالغة من العمر ستة عشر

عاماً. "هل هي لك؟" حاول أن يبدو بريئاً، وكانت هي صغيرة كفاية لتصدقه.

"لا، ليست لي'. بدت مثل زوجة تتهم زوجها. ثم صفع رأسه، وهو يبدو مثل الأحمق في مسلسل تلفزيوني كوميدي.

"أعرف ما هذا. سمحت لدافني بالمكوث هنا في عطلة نهاية أسبوع حين كنت في بورنتشايس. كانوا يعيدون طلاء شقتها". ارتاحت مليسا على الفور وقبلها وتمنى لها ليلة سعيدة، ثم انسحب إلى غرفته وهو يشعر كأنه نجا للتو من حكم إعدام.

اتصل بميغان في وقت متأخر من تلك الليلة وأخبرها كم هو مشتاق إليها. بالكاد يستطيع الانتظار حتى يوم الأحد. وفي صباح اليوم التالي، غادر ثلاثتهم إلى الريف. فتحوا المنزل الذي فاحت منه رائحة الحرارة والرطوبة، ووضعوا مكيف الهواء قيد التشغيل، وذهبوا لشراء الحاجات. وبعد الغداء، ذهبوا لزيارة والده لإحضار آندي. وجدوا أن جدهم يبدو بصحة جيدة، ويعتني مرة أخرى بحديقة زوجته، لكن هذه المرة، كانت جارته مارغاريت بورتر، تساعده. لقد قصت شعرها، وكان هو يرتدي سترة جديدة من الكتان الأزرق الشاحب. وحين وصل أوليفر والأولاد، كانا يضحكان. من الجميل رؤيته سعيداً مجدداً. شعر أوليفر بالارتياح. ففي كل مرة بات يراه الآن، لم يستطع أن يحذف من ذاكرته صورة والده وهو يمسك بيد أمه حين ماتت، ويعطيها قبلة الوداع. لقد حطم ذلك قلبه، لكن في النهاية، وبعد ثلاثة أشهر، أصبح جورج يبدو أفضل حالاً.

"أهلاً بكم إلى المنزل!" صرخ بصوت عالٍ للولدين، وتوجهت مارغاريت إلى الداخل لإحضار الليموناضة والحلوى المنزلية الصنع. كان ذلك مثل الأيام الغابرة، سوى أن سام قال إن الحلوى كانت أفضل. ابتسمت مارغاريت وأيّدت صديقها الصغير.

"كانت جدتك أفضل طاهية عرفتها. لقد صنعت أطيب فطيرة مرنغ بالليمون تذوقتها في حياتي'. ابتسم جورج لمجرد التفكير في الأمر، واستعاد أوليفر ذكريات طفولته.

"كيف حالك أبي؟" سأل أولي فيما جلسوا خارجاً تحت شجرة البق القديمة. لم ينفق وقتاً أبداً في حوض سباحة، وأصرّ جورج على أنه لا يفتقد إليه. وإذا أراد السباحة، يمكنه دوماً الذهاب لزيارة الأولاد في بورتشايس.

"كنا مشغولين. تحتاج الحديقة إلى الكثير من العمل، وذهبنا إلى نيويورك في الأسبوع الماضي. أرادت مارغاريت القيام ببعض الأعمال وذهبنا لحضور مسرحية في برودواي. كانت جيدة جداً بالفعل". بدا متفاجئاً، وابتسم فيما ألقى نظرة سريعة على مارغاريت، وبدا أوليفر متفاجئاً أيضاً. لطالما كره والده الذهاب إلى المسرح. ثم نظر جورج إلى سام. "كيف فعلت ذلك، بنيّ؟" أخبره سام بشأن الحادث، وأضافت مليسا تفاصيلها، وشعر العجوزان بالرعب وشكرا الرب، تماماً مثل أوليفر، لأنهما نجيا من الحادثة. "يجعلكم هذا تدركون مدى نفاسة الحياة"، قال للولدين الصغيرين. "وكم هي قصيرة. كان صديقكما في الخامسة والعشرين فقط. هذا عار فظيع... فظيع..." شاهده أولي وهو يأخذ يد مارغاريت، وتساءل عن معنى ذلك، وبعد برهة أخذت الولدين إلى الداخل لإحضار المزيد من الليموناضة ودفعة جديدة من الحلوى.

"تبدو على ما يرام، أبي". قال أوليفر هذا عمداً بعد رحيل الولدين، متسائلاً ما إذا كان هناك سبب لذلك، وتذكر فجأة مغامرته مع ميغان. يعيش والده ربما مغامرة صغيرة مع جارته. لكن لا ضير في ذلك. فهما وحيدان وفي السبعينات من العمر، ولديهما الحق في إقامة صداقة ودودة بين الحين والآخر، وعرف كم يشعر والده بالوحدة من دون أمه.

"أنا بخير، بنيّ. تعتني بي مارغاريت جيداً. كانت ممرضة، أنت تعلم. وكان زوجها طبيباً".

"أذكر".

"نودّ اصطحابكم لتناول العشاء يوماً ما. ربما في المدينة. مارغاريت تحب الذهاب إلى نيويورك بين الحين والآخر. تقول إن هذا يبقيها شابة. لست واثقاً ما إذا كان يفعل هذا حقاً، لكنها تملك طاقة أكثر من امرأة في نصف

عمرها. إنها فتاة مذهلة". ابتسم أوليفر لفكرة تسمية امرأة في السبعين من عمرها بالفتاة، لكن ما الفرق. ثم كاد يسقط عن كرسيه، فيما نظر إليه والده وابتسم، مع مكر في عينيه. "سوف نتزوج الشهر المقبل، أوليفر. أعرف أنه سيصعب عليك فهم ذلك. لكننا لسنا شابين. لا نملك الكثير من الوقت، وجميعنا يعرف ذلك. ولا نريد تبديد ما بقي. أظن أن أمك ستفهم الأمر".

"سوف ماذا؟" التفت أوليفر في كرسيه للتحديق فيه. "لقد ماتت أمي منذ ثلاثة أشهر، وتريد الزواج بجارتك؟" هل أصيب بالجنون؟ أو الخرف؟ ما الخطب معه؟ كيف يستطيع التفكير في مثل هذا الأمر؟ إنه مقرف.

"لا يمكن أن تكون جاداً". كان أوليفر شاحباً، ونظر إليه.

"أنا جاد. لديّ الحق في أكثر من الجلوس وحدي في كرسي، ألا تظن ذلك؟ أو هل يزعجك التفكير في أن أشخاصاً من عمرنا "يتورطون" مثلما تسمونه أنتم الشباب. كان بإمكاننا إقامة علاقة غرامية، لكني أظن أنها تستحق حشمة الزواج".

"أنت تدين لأمي بحشمة احترام ذكراها. فهي لم تبرد بعد في قبرها!" نهض وبدأ يذرع المكان جيئة وذهاباً فيما راقبه جورج واتسون بهدوء، وشاهدت مارغاريت من نافذة المطبخ ما كان يجري بعين قلقة. لقد أخبرت جورج أن الأمر سيكون هكذا، وقال لها إن لديهما الحق في عيش حياتهما. فهما لم يموتا بعد، رغم أنهما قد يفعلان ذلك سريعاً، لكنه لا يريد تبديد الوقت الذي بقي لهما. ورغم أن هذا مختلف عن حياته مع فيليس، كان يحبها.

"أحترم أمك جداً، أوليفر. لكن لديّ الحق في عيش حياتي أيضاً. وأنت كذلك. وفي يوم ما، ستتزوج ثانية ربما. لا يمكنك قضاء بقية حياتك وأنت تنتحب سارة".

"شكراً على النصيحة". كان هذا لا يصدق. فقبل بضعة أسابيع، كان يحافظ على العزوبة الطاهرة، فيما يقيم والده علاقة غرامية مع جارته. "أظن أنه يجدر بك التفكير ملياً في هذا الأمر".

"لقد فكرت. سوف نتزوج في الرابع عشر، ونودّ أن تأتي أنت والأولاد، إذا شئت".

"لن أقوم بشيء من هذا القبيل. وأريدك أن تعود إلى رشدك". وفيما قال ذلك، عادت مارغاريت إليهما مع قبعة القش الخاصة بجورج، وشراب بارد، وحبة القلب التي يتناولها بعد ظهر كل يوم. حتى أوليفر لم يستطع تفويت تلك النظرة الحنونة التي تبادلاها.

لكنه بقي عنيداً وقاسياً حتى غادروا. أدخل الأولاد بعجلة إلى السيارة، وشكر مارغاريت بتهذيب، وتذكر في منتصف الطريق إلى بورتشايس أنهم نسيوا آندي. اتصل بوالده حين وصل إلى المنزل، وأخبره أنه سيأخذ الكلب في عطلة نهاية الأسبوع المقبلة.

"لا بأس. نحن نستمتع بوجوده هنا". ومن ثم 'أنا آسف لأني أزعجتك، أوليفر. أفهم ما تشعر به. لكن حاول النظر إلى الأمر من وجهة نظري أيضاً. إنها امرأة رائعة".

"أنا سعيد من أجلك أبي"، قالها عبر أسنانه المطبقة على بعضها. "لكني ما زلت أظن أنك مستعجل".

"ربما. لكن علينا أن نقوم بما نعتبره صحيحاً. ففي عمرنا، لم يبق هناك الكثير من الوقت. ليس وقتاً جيداً في أية حال. فأنت لا تعرف ما يخبئه لك القدر".

"وهذا سبب إضافي لعدم استعجال أي شيء".

"هذا يعتمد على نظرتك للأمر. أخبرني ذلك حين تكون في عمري". أدرك أوليفر حين أقفل السماعة أنه يشعر بالقرف لمجرد التفكير بأن والده يمارس الحب مع مارغاريت بورتر. وقد قال ذلك لميغان تلك الليلة، حين اتصل بها.

"لا تكن سخيفاً. هل تظن أن قدرتك الجنسية ستموت قبل أن تموت أنت؟ آمل لا. إنه محق وذكي. لماذا يجدر به الجلوس وحده؟ لديك أنت حياتك

وأولادك أيضاً. لديه الحق في أكثر من أن يمضي بقي حياته وحيداً، يستعيد ذكريات أمك. هل هذا حقاً ما تريده أن يفعله؟" ليس كذلك، وإنما كان هكذا، وقد أزعجه رأيها حيال الموضوع.

"أنت سيئة مثله. أظن أنكما مهووسان في الجنس". ثم أخبرها كيف عثرت ميل على قميصها وحمالة الثديين، واكتفت بالضحك.

"أذكر تلك الليلة جيداً'، قالت بمكر.

"وأنا كذلك. يا إلهي، كم أشتاق إليك. أنا أعاني من نوبات الامتناع".

"سوف نعوض قليلاً غداً في حوض السباحة'. لكن مجرد التفكير في الأمر، مع أولاده بقربه، جعلته يرتعد. ستكون الأشياء مختلفة حتماً.

"عليك الانتظار ربما حتى الاثنين".

'لا تعتمد على ذلك. سوف نفكر في شيء ما". ابتسم فيما أقفل الهاتف، وتساءل ما إذا كانت محقة بشأن والده. لكنه لم يشأ حتى التفكير في ذلك. تخيل والده متزوجاً في عمره! كان مجرد التفكير في الأمر يثير الغضب.

الفصل السابع عشر

استقبل أوليفر ميغان عند القطار وكانت ترتدي سروالاً قصيراً جداً وقميصاً أبيض مرقطاً بالأسود. وكل ما أراده هو تمزيق ثيابها وممارسة الحب معها في السيارة، لكنه كبح نفسه فيما ضحكت هي وربّبت على منفرج ساقيه فيما توجها إلى المنزل للقاء الأولاد.

"أوقفي هذا... ميغان تاونساند، أنت تثيرين جنوني!"

"هذا هو المطلوب، عزيزي". ثم، وكأنها تبدل سرعة السيارة، أخبرته عن المزاد العلني الناجح الذي حصل يوم الجمعة...

كان الولدان في حوض السباحة حين وصلا، فيما ذراع سام ملفوفة بكيسٍ نفايات كبير لكي يتمكن من السباحة. وكانت ميل تنام على طوف في بيكيني جديد اشترته من جنوب فرنسا. نظر الولدان باهتمام حين اقترب منهما والدهما مع ميغان. عرّف الجميع على بعضهم، ثم أخذ ميغان إلى الداخل لتبديل ملابسها. لكن فيما كان يريها غرفة تبديل الملابس، سحبته بسرعة إلى داخلها معها، وأدخلت يدها في سرواله وبدأت تداعبه حتى تأوه هامساً.

"ميغان...لا!... الأولاد..."

"شش... لن يعرفا الفرق أبداً". لقد اشتاقت إليه كثيراً. فبعد شهر من المتعة الجنسية، مضت ثلاثة أيام من دون بعضهما البعض. أقفلت الباب وأنزلت سرواله حتى ركبتيه في برهة، وراحت تلعق وتمص وتقبل. نزع عنها حمالة ثدييها وفك سروالها. وكالعادة، لم يكن هناك شيء تحته. جلست على ركبتيها، تقبله، ودفعها برفق إلى الأسفل ومارس معها الحب المسعور على أرض غرفة الملابس، فيما ارتعدت وتأوهت، وأصدر هو صوت المتعة الحيوانية. ثم استطاع سماع سام وهو يصرخ، ويفتح أبواباً عدة بحثاً عنه. ثم حاول فتح باب غرفة الملابس، فقفز أوليفر

بسرعة وحدق في ميغان بعينين واسعتين. وضع إصبعه على شفتيه، متوسلاً إياها ألا تفضح أمره فيما راحت هي تضحك.

"أبي! هل أنت هنا؟" كانت غرفة صغيرة جداً، وكان أوليفر واثقاً من أن الصبي يستطيع سماع تنفسه. هز رأسه طالباً من ميغان أن تقول إنه ليس هنا.

"لا، ليس هنا. سأخرج على الفور". تحدثت من الأرض، ووالده فوقها، مفعماً بالذعر.

"حسناً، هل تعرفين أين هو؟"

"لا أعرف. قال إنه سيذهب لإحضار شيء ما".

"حسناً". ثم سمع إغلاق المزيد من الأبواب وبعدها رحيل سام. قفز أولي على قدميه، وسكب الماء البارد على وجهه، ورفع سرواله، وحاول تسوية شعره فيما ضحكت هي عليه.

"قلت لك إننا سنتدبر الأمر نوعاً ما".

"ميغان، أنت مجنونة!" كان يهمس، مقتنعاً بأن الولد عرف ما يجري، لكنها لم تكن خائفة.

"استرخِ. إنه في العاشرة من عمره، وليس لديه فكرة عما يستطيع والده فعله".

"لا تكوني واثقة جداً". قبلها بسرعة وفتح الباب فيما بحثت هي عن ثوب السباحة في حقيبتها. "سأراك عند الحوض". أمل فقط في أن تضبط نفسها هناك وإلا ستصاب ميل بالذعر. لكن من جهة أخرى، لقد أمضت الصيف لتوها مع والدتها وعشيقها البالغ من العمر خمسة وعشرين عاماً. لديه الحق في أن يعيش حياته، أليس كذلك، وفيما خطرت الفكرة في رأسه، سمع صدى كلمات والده... لكن هذا مختلف، أليس كذلك؟ أو لا؟

وجد سام في انتظاره في المطبخ. أراد شُرب كولا، ولم يستطع العثور على واحد. "أين كنت، أبي؟"

"في الكاراج، أبحث عن مفتاح ربط".

"لماذا؟" يا إلهي، دعني وشأني، لا أعرف.... كان الأمر بسيطاً جداً حين كانا بعيدين، وأصبح الآن جنوناً.

صبّ الكولا لسام، وعاد إلى حوض السباحة حيث كانت ميغان تنزل ببطء في المياه في بيكيني أحمر صغير الحجم. كان شعرها الداكن مرفوعاً على رأسها، وراحت ميل تراقبها بنظرة المديح الأنثوي.

لم تتحدث المرأتان أبداً مع بعضهما وشعر أوليفر أنه مثل كلب كبير، يدور حول حوض السباحة، ويراقبهما معاً، ويبقي عينه على سام ويشعر بعصبية كبيرة.

"أعجبني ثوب السباحة خاصتك"، قالت ميغان لميل. كان وردياً ومكشكشاً، وبريئاً نسبياً مقارنة مع ثوب سباحتها الذي كان أشبه برقعتين صغيرتين على ثدييها ومئزر صغير مع لسان. لكنها كانت ترتديه جيداً. فجسمها مذهل.

"اشتريته من فرنسا".

"هل أمضيت وقتاً جيداً؟"

"جيد". لم تشأ الكلام عن الحادث بعد الآن، وظنت أن ميغان لا تعرف. فقد قال والدها إنها صديقة غير رسمية لم يرها منذ مدة. "عدنا إلى المنزل منذ يومين فقط". تجاوزتها ميغان بحركات طويلة ورشيقة، وبعد دقائق معدودة، عادت ميل إلى طوفها لتغوص غوصة مذهلة. بدا الأمر وكأنه منافسة بين الاثنتين، وكان التوتر شديداً جداً حول حوض السباحة طوال بعد الظهر، ولا سيما بين المرأتين.

تناولوا الهوت دوغ عند الغداء وبدأت ميغان تتحدث عن قضاء طفولتها في انكلترا. لكن كان واضحاً أن ميل لم تتأثر. ولم تبذل ميغان أي جهد واضح معها أو مع سام. وهذا ما جعل أوليفر غير مرتاح فيما راقبهم جميعاً، وشعر تقريباً بالارتياح حين أوصلوها إلى مكانها، ذلك المساء، في البلدة. أرسلت له قبلة عبر عينيها، واختفت بلمح البصر، وشعرت ميل بالارتخاء في السيارة فيما سام كان يشخر.

"إنها لطيفة، أليس كذلك؟"، قال أولي وندم على الكلمات ما إن خرجت

من فمه. وثبت عليه ميل مثل الأفعى، مع نظرة غاضبة.

"إنها تبدو مثل عاهرة".

"مليسا!"

"هل رأيت ثوب السباحة ذاك؟"

"نعم"، كشف سام عن ابتسامة عريضة، ثم بدا معاقباً حين نظرت إليه أخته بغضب في المقعد الخلفي.

"إنها فتاة لطيفة جداً"، دافع أوليفر عنها أثناء عودتهم إلى المنزل.

"لا أظن أنها تحب الأولاد كثيراً"، اقترح سام.

"ما الذي يجعلك تقول هذا؟"

"لا أعرف"، هز كتفيه. "لا تقول الكثير. لكنها حتماً حسنة المظهر، أليس كذلك أبي؟"

"إنها ذكية أيضاً. إنها محررة وتملك دار نشر".

"إذاً ماذا؟ كل ما تهتم به هو عرض جسمها". أحست ميل بميولها الجنسية، وكرهت ذلك، على عكس أقربائها الذكور الذين التصقت أعينهم بها طوال فترة بعد الظهر.

أهمل أوليفر الموضوع، وفي تلك الليلة، بعد أن خلد سام إلى السرير، خرجت ميل من غرفتها ووجهها مقطب. "أظن أنك تستطيع إعطاءها هذا". سلّمته القميص وحمالة الثديين اللذين وجدتهما في غرفتها قبل يومين. "إنهما لها، أليس كذلك، أبي؟"

"ما الذي يجعلك تقولين هذا؟" شعر كأنه التقط بالجرم المشهود، كما لو أنه شوّه سمعة منزله، وهذا ما فعله. لكن لديه الحق في القيام بما يريده، أليس كذلك؟ ففي النهاية، هو رجل ناضج. "قلت لك إنها تخص دافني".

"لا، ليست كذلك. تملك دافني ثديين أكبر كثيراً. إنها لميغان". تحدثت بطريقة اتهامية وشعر نفسه يتورد خجلاً فيما نظر إلى ابنته.

"إسمعي، ميل، هناك بعض الأشياء التي يقوم بها الكبار، والتي لا تخص الأولاد أبداً، ومن الأفضل تركها وشأنها".

"إنها مومس". حدقت فيه عينا ميل، لكنه الآن أصبح غاضباً.

"لا تقولي هذا! أنت لا تعرفين الفتاة حتى".

"لا، ولا أريد ذلك. وهي لا تكترث أبداً بنا. إنها تسحب لسانها وراءك، مثل كلب أو ما شابه. لا أستطيع تحملها". بدت المنافسة بين امرأتين يتشاجران عليه غريبة فعلاً فيما أصغى إليها. ولم يكف عن التساؤل عن سبب كرهها لميغان. لكن عليه الاعتراف بأن ميغان لم تبذل أي جهد خاص لكسب قلوبهم. تحدثت إليه أغلب الأوقات، وفي أحيان قليلة إلى الأولاد. لم يكن الأمر مثلما أراده.

"إنها مجرد صديقة، هذا كل ما في الأمر. ليست قصة مهمة، ميل، استرخي".

"أنت جاد في ذلك." بدت مرتاحة.

"ماذا؟"

"أنت لا تحبها؟"

"لا أعرف. إنها تعجبني".

"حسناً، أنت لا تعجبها كثيراً. هي تحب نفسها أكثر". تساءل ما إذا كانت ميل محقة، وما إذا كانت غيورة أو حادة الملاحظة.

"لا تقلقي بشأن ذلك". وحين غادرت الغرفة، وجد نفسه يفكر مجدداً في والده. هل هو ولد غيور، مثل ميل، أم لديه الحق في أن يعارض زواجه من مارغاريت بورتر؟ وأي حق يملك للتدخل؟ هل سيكون برفقته في الليل وفي عطل نهاية الأسبوع؟ هل سيكون موجوداً هناك من أجله، ويجلب له حبوب القلب؟ أراد أوليفر عيش حياته، ويملك والده الحق في فعل الشيء نفسه، لكن ذلك جعل أوليفر يشعر بالحنين إلى أمه.

قرر أولي الاتصال به تلك الليلة، وحين فعل، أجابت مارغاريت. جعله هذا يقفز لبرهة، ثم استرخى وطلب التحدث إلى والده.

"مرحبا أبي... أردت فقط أن أقول لك هذا..." لم يعرف كيف يقول ذلك. "أنا أحبك كثيراً، هذا كل شيء. افعل ما لديك الحق فيه، وانسَ كل الباقي. أنت كبير كفاية لتعرف ما الذي تريده الآن، وما تحتاج إليه. وإذا كانت تجعلك سعيداً"، وخزت الدموع عينيه فيما لفظ الكلمات، "امضِ قدماً! أمنحك بركتي!"

صدر تنهد صغير في الطرف الآخر، ثم نظف جورج واتسون حنجرته وشكره. "إنها امرأة طيبة، بني.... لكنها ليست أمك طبعاً"، وفيما قال ذلك أمل ألا تسمعه مارغاريت، لكنه يدين لأوليفر بهذا القدر. فقد كانت فيليس أمه في النهاية، "لكن روحها طيبة وأنا أحبها".

"حظاً سعيداً لكما".

"هل ستأتي إلى زفافنا؟"

"نعم سأفعل".

"الرابع عشر من سبتمبر. لا تنس الآن". ضحك أوليفر. بدا والده شاباً مجدداً، وكان سعيداً لأجله. ففي النهاية، لديه الحق في ذلك. المزيد من القوة له إذا استطاع العثور على امرأة يحبها ويسعد معها.

اتصل بميغان بعد أن أقفل الخط مع والده، وهو يشعر بالتحسن مجدداً، لكنها كانت خارجاً. شعر بجهد في قلبه حين ترك اسمه في الآلة المجيبة، واستلقى بعدها على السرير الفارغ الذي تركته له. تساءل ما إذا كان كل ذلك حلماً مجنوناً، وما إذا كانت ميل محقة. لكن ميغان لم تدعي أبداً أي شيء لم تكن عليه. فهي تخرج مع الرجال لقضاء وقت ممتع، وليس لإيذاء أحد. لا تريد أي شيء أكثر من ذلك... لا تريد روابط... أو أزواج... أو منازل... أو أولاد... وفيما استلقى هناك يفكر فيها، تساءل ما إذا كانت علاقته العاطفية الصيفية قد انتهت. كانت ممتعة، لكن الأمر لن يبقى سهلاً الآن. فيمغان لن تبقى في الجوار في انتظاره. كما أن الأولاد لم ينسجموا معها. في بعض الأحيان، لا تكون الحياة سهلة.

الفصل الثامن عشر

كانت عطلة يوم العمل لقاء عائلياً جميلاً بالنسبة إليهم جميعاً. أقاموا حفلة شواء قرب حوض السباحة، مثلما يفعلون دوماً، ودعا الأولاد أصدقاءهم، وجاء والده مع مارغاريت. جلبا معهما الحلوى والسكاكر، والخبز المنزلي الصنع، وأحضرا الكلب، وهنأهما أوليفر هذه المرة وطلب من والده إعلان الخبر للأولاد. أصيبوا بالقليل من الذهول في البداية، لكنهم أخذوا التلميح من والدهم. فإذا كان يظن أنه لا بأس في ذلك، يظنون هم أيضاً أنه كذلك. حتى دافني جاءت. ووافقت على تمضية عطلة نهاية الأسبوع. وحدها ميغان رفضت الدعوة. لقد ذهبت بدل ذلك إلى إيست هامبتون، الأمر الذي أزعج أولي، لكنه لم يستطع إقناعها في المجيء. قالت إنها لا تحب هذه الأجواء، الأولاد والكلاب والشواء، ولا تريد التطفل عليهم. لكن الحقيقة أن الأمر يضجرها. لم يرها طوال الأسبوع وسوف يصاب بالجنون من دونها، لكنها كانت تعمل حتى وقت متأخر تماماً مثله هو. كان الأولاد في المنزل، وهو ينتظرهم للاستقرار مجدداً، الأمر الذي ظنت أنه غير مهم.

جاء بنجامين وساندرا إلى حفلة الشواء، لكن الفتاة بدت هذه المرة مثيرة فعلاً للشفقة. فقد انتفخ وجهها إلى ضعف حجمه تقريباً، وبالكاد تستطيع المشي لأنها أصبحت كبيرة جداً ويصعب التصديق أنها كانت جميلة يوماً. بدا بنجامين نحيلاً وشاحباً، في المقارنة، وكان يشعر بعبء وظيفتيه فيما لم تفعل ساندرا أي شيء سوى التذمر. وفي بعض الأحيان، ظن أن هذا قد يدفعه إلى الجنون. أعطاه والده بيرة، بعدما أخذت ميل ساندرا إلى المنزل لتستلقي لبرهة، ونظر أوليفر إلى بنجامين بعناية، متسائلاً ما إذا كان سيعترف أنه لم يعد يستطيع تحمل الأمر بعد الآن، أو ما إذا كان سيسمح له بان يقتله.

"كيف تجري الأمور، بنيّ؟"

"بخير، حسب ما أظن. سوف أبدأ بعمل جديد قريباً. سوف يغلقون محطة المحروقات ويصرفوني من العمل بعد بضعة أسابيع. والمطعم لا يدفع لي كفاية. لكني تلقيت عدداً من العروض الجيدة. وبعد ولادة الطفل، تقول ساندرا إنها ستعود إلى العمل بسرعة". حاول أن يبدو متفائلاً، لكن بدا جلياً لوالده أنه مصاب بيأس حقيقي، وكيف لا يفعل ذلك؟ ففي الثمانية عشرة من عمره، يمكن القول إن انتظار طفل، وإعالة شبه زوجة في السبعة عشرة من عمرها، والعمل في وظيفتين لا يوحي أبداً بحياة سعيدة، على الأقل بالنسبة إلى والده.

"هل ستدعني أساعدك قبل أن يقتلنا الأمر معاً أو أنك ستستمر في عنادك؟" ابتسم الولد، وبدا أكبر وأكثر حكمة من قبل. لقد تعلم الكثير خلال الأشهر القليلة الماضية، لكن أياً من هذه الدروس لم يكن سهلاً أو ممتعاً، وكانت رؤيته في هذه الحال تشكل عبئاً على قلب والده.

"سوف نرى أبي. سيكون الطفل هنا خلال ثلاثة أسابيع. وبعد ذلك، ستكون الأمور على ما يرام".

"لكن وجود طفل ليس سهلاً".

"نعم، أعلم. كنا نأخذ صفاً في المستشفى حول كيفية الاعتناء به وكل تلك الأمور. أريد أن أكون موجوداً ساعة الولادة لمساعدة ساندرا". سوف يكمل الطريق حتى النهاية في ما بدأه، وتوجب على أوليفر إبداء إعجابه به، لكنه كان قلقاً كثيراً بشأنه.

"هل ستتصل بي إذا احتجت إلى المساعدة في أي شيء؟"

"طبعاً".

"هل تعدني؟"

ابتسم بنجامين مجدداً وبدا لجزء من الثانية كبيراً بقدره. "طبعاً سأفعل، أبي. شكراً".

انضما إلى الآخرين بعد ذلك وتحدثوا عن زفاف الجد. وعدهم بنجامين أن يأتي، وعرض أوليفر مهمة تسليم العروس. كانت دافني سعيدة لأجلهم، ومن ثم، وفي لحظة هادئة، سألت أوليفر ماذا يحدث مع ميغان، لكنه اكتفى بهز كتفيه من دون سعادة وقال لها إنه لا يعرف في الوقت الحاضر.

"جاءت للقاء الأولاد في الأسبوع الماضي ولم يكن الأمر نجاحاً باهراً. لا تنسجم في هذا النوع من الأمور، وأنا في الوقت الحاضر مشغول جداً. كان الأمر مختلفاً حين كانا بعيدين. لكني الآن لا أعرف، داف".

"لا تبدو من النوع الحنون، لكن هذا لم يكن ربما اهتمامك الأساسي".

ابتسم أوليفر لصديقته، ومن ثم ضحك. "يمكنك قول ذلك".

"حسناً، أخرجك ذلك على الأقل من قوقعتك". لا شك في أنه فعل ذلك. ابتسم مجدداً. "إن أمر والدك لطيف".

"يبدو هذا نوعاً من الجنون، أليس كذلك داف؟ بنجامين على وشك أن يرزقَ بطفل، ووالدي سوف يتزوج، وأنا أُجلس وحدي".

"سيتغير ذلك أحد هذه الأيام". لكنه لم يكن مستعجلاً. فإذا انتهت العلاقة مع ميغان، لن تكون هذه نهاية العالم. وهو حتى ليس مطلقاً، ولا يستطيع أن يتصور فكرة الزواج ثانية. إنه مشغول في حياته، وأولاده، وعمله. أما الباقي فيمكن ان ينتظر في الوقت الحاضر.

سبح الجميع حتى وقت متأخر من الليل، وغنى الأولاد، وغادر والده في النهاية، وتوجب على بنجامين الذهاب إلى العمل. ساعدت دافني أوليفر في تنظيف المكان وعادت آجي بعد عطلة صيف جميلة. بدا الأمر نوعاً ما وكأنهم اجتازوا جميعاً شوطاً طويلاً منذ بداية الصيف. وشعر بالأسى لفترة وجيزة فقط حين تذكر العام الفائت عندما كانت سارة هناك وكانت الحياة بسيطة ومنطقية. لم يعد أي شيء بسيطاً بعد الآن. وما من شيء أكيد الآن. لكن الحياة جميلة، وهو شاكر لما يملكه. إذا لم يحصل أي شيء غير ذلك مجدداً، حتى هذا يمكن أن يكون جيداً.

التقى أخيراً ميغان في شقتها لیلة عادوا إلى المنزل، وبعد ممارسة الحب لساعات، تحدثا أخيراً عن الأمور واعترفت له بأنها ذهبت إلى إيست هامبتون مع عشيق قديم. من المؤلم أن تضطر لإخباره بذلك، لكنه شك في الأمر في أية حال.

"لقد انتهى الأمر، أليس كذلك؟"

"ليس تماماً". استلقت في سريرها ونظرت إليه. "سأكون سعيدة لرؤيتك في أي وقت. لكني لن أؤدي دور الماما لأولادك، إذا كان هذا ما تريده. وأنت لا تملك الوقت الكافي لي مثلما كنت تفعل حين كانوا بعيدين. هكذا تصبح الأمور أحياناً، أوليفر. لكن لم يتغير شيء بيننا". كانت صريحة جداً بشأن كل شيء، وكان كل شيء سهلاً ومنفصلاً وجنسياً بصفاء. لقد أحب ذلك فيها في البداية، لكن الآن لم يعد ذلك كافياً على ما يبدو. فهو لا يريد مشاركتها مع أي شخص آخر ولا يريد أن يكون مضطراً لعيش حياة منفصلة عن أولاده. لكن من الصعب التواجد مع شخص لا يهتم فعلاً بهم، وهم يكرهونه في المقابل. وهو يعرف الآن أنها لن تبذل أي جهد للفوز بهم. فهي لا تريد ذلك فعلاً. كان هذا جزءاً من جهدها الإجمالي للبقاء من دون ارتباطات. وفي النهاية، ربحت. لكنها كانت لعبة خاسرة.

"أنا حزين لأن الأمور سارت على هذا النحو"، قال لها بصراحة فيما ارتدى ثيابه. وفي هذه المرة، لم تحاول خلع ثيابه عنه. لقد تغير الأمر بالنسبة إليها أيضاً، سواء اعترفت بالأمر أم لا.

"لم يكن هناك أية طريقة أخرى لتجري الأمور وفقها. قلت لك ذلك منذ البداية. أنت لا تحتاج إلى امرأة مثلي، أوليفر. أنت تستحق أفضل من هذا. وكنت تستحق أفضل من سارة. لا تبحث عن أقل هذه المرة يا صديقي. فإذا فعلت، سوف تتعرض دوماً للأذى، وأنت لا تستحق ذلك".

"لماذا لا تريدين أكثر من ذلك؟" لماذا؟ لماذا هما مختلفان؟

"أنا لست من هذا النوع، حسب ما أفترض. بريسيلا كانت كذلك... لكن

أنا أبداً. إنه مؤلم جداً حسب ما أفترض. لا أريد المجازفة بمثل هذه المخاطر، ورمي قلبي هناك، والمجازفة بحياتي وقلبي. أريد فقط قضاء وقت جيد أولي. هذا كل ما أريده. الأمر بهذه البساطة". وكان الأمر كذلك. وقت ممتع. وقت رائع. وقت مجنون ومذهل، وكان باستطاعته الاستمرار إلى الأبد، سوى أن طبق المصقعة في النهاية أصبح عديم النكهة. يحتاج الإنسان إلى أكثر من ذلك. وهو على الأقل يفعل ذلك، حتى لو كانت هي لا تريد.

"ماذا أقول فيما أرحل؟"، سألها بحزن فيما وقف في الممشى، مرتدياً كل ثيابه وهو يعرف أنه لن يعود مجدداً. "شكراً؟"

"تقول، إلى اللقاء، أراك مجدداً، شكراً على الوقت الجيد".

"شكراً على أكثر من ذلك... شكراً على شيء مميز جداً. أنت مميزة جداً. لا تنسي ذلك. وربما في أحد هذه الأيام ستتحلين بالشجاعة".

"لا تعتمد على ذلك". قبلته قبلة خفيفة على الشفتين وضغطت على زر المصعد. وحين أغلق الباب المصعد، رآها للمرة الأخيرة، وهي ملفوفة بكيمونو الساتين الأبيض، تبتسم له مع شعرها الداكن المنسدل على وجهها العاجي.

عرف أنه سيشتاق إليها. وشعر بالحزن حين عاد إلى المنزل في تلك الليلة. حزين لما لن تحصل عليه أبداً، ما لا تريده، لما كانت تخشى الوصول إليه. وفي العالي البعيد، وقفت هي على المصطبة، تراقبه وتلوح له بصمت. عادت مجدداً إلى غرفة الجلوس، وأدارت الموسيقى. أنهت كأس البراندي الذي تركه، وجلست وحدها على الأريكة متذكرة كيف كان لحمه يقشعرّ حين تلمسه.

"كنت ستحبينه كثيراً"، همست إلى ذكرى أختها التوأم التي رحلت منذ زمن. كان مثالياً لها، وكانت ميغان لتسخر منها على ذلك، على مدى حشمته ومدى استقامته ومدى وداعته. ابتسمت ميغان لنفسها، وهي تفكر فيهما معاً، ثم توجهت ببطء إلى غرفة نومها. لديها بعض العمل الواجب إنجازه ومزاد آخر في اليوم التالي. لا جدوى من التفكير في الماضي. لقد أخرجتهما كلاهما من

قلبها، مثل الأثاث الذي لم يعد يتسع له منزلها، واستحمت ونظفت أسنانها، وأشعلت الضوء، وخلدت إلى السرير وهي تعرف أن الأمر كان جميلاً لفترة، لكن القصة انتهت مع أوليفر واتسون. لم تبكي، ولم تنتحب. كانت معتادة على تقبل مثل هذه الأمور، وفيما خلدت إلى النوم أجبرت نفسها على التفكير في شيء آخر. لقد انتهت علاقتها مع أوليفر.

الفصل التاسع عشر

كان زواج جورج واتسون ومارغاريت بورتر تماماً مثلما يفترض أن يكون. كان رقيقاً وحلواً وبسيطاً، وكانت هناك دموع في عينيّ دافني حين أقسم الاثنان على الوفاء لبعضهما. يحصل لها ذلك دائماً في حفلات الزفاف، ربما لأنها لم تتزوج أبداً. لكن هذا الزفاف مميز فعلاً لأن الاثنين شخصان عزيزان.

ارتدت العروس فستان بيج بسيطاً وحملت باقة من أزهار الأوركيدة البيج الصغيرة. كما اعتمرت قبعة صغيرة وأنيقة، وزفّها أوليفر إلى العريس، كما وعد، ثم وقف بالقرب من أولاده مع عينين رطبتين، فيما عزفت الموسيقى.

كان الاحتفال وجيزاً ومقتضباً، وتوجه الجميع بعد ذلك إلى المنزل في بورتشايس للمشاركة في حفلة صغيرة. قرر أوليفر إقامة ذلك لهما، ودعا عدداً قليلاً من أصدقائهم المقربين. شعر العديد منهم بالصدمة في البداية، ومن ثم فرحوا جميعاً، مثلما فعل أوليفر. كان يصعب حرمانهم من البهجة التي يتشاركانها على نحو جلي ويستحقانها فعلاً.

كان بعد ظهر مشمس في شهر سبتمبر، وغادر العروس والعريس في الساعة الخامسة للتوجه إلى المدينة. سوف يمضيان الليل في فندق البلازا ويطيران من ثم إلى سان فرانسيسكو لقضاء أسبوعين. تملك مارغاريت أقارب هناك، وأرادا الذهاب إلى الأوبرا. سوف يمضيان بضعة أيام في الكارميل، ويتوجهان من ثم إلى سان فرانسيسكو ويعودان إلى المنزل. يبدو ذلك مثل الرحلة المثالية لهما، ولم تقل مارغاريت ذلك لكنها لم تشأ الابتعاد عن "الحضارة". فمع المشاكل في قلب جورج، أرادت البقاء قرب الأماكن التي تعرف أنه يستطيع الحصول فيها على رعاية طبية جيدة. لكنه بدا أنه لا يحتاج سوى ليدها اللطيفة، فيما غادرا للمدينة، ونثر عليهما المدعوون بتلات الورود فيما اكتفى العجوزان بالتلويح والابتسام.

"كان هذا مثالياً تماماً"، قالت دافني حين جلسوا في غرفة الجلوس بعد ذلك. "سوف اتزوج ربما حين أصبح في سنهم". هز أوليفر رأسه وابتسم.

"يجدر بك فعل شيء مثل هذا. سوف أنضم إليك ربما". لقد أخبرها عن نهاية علاقته مع ميغان. ولم تتفاجأ رغم أنها شعرت بالأسف له. فقد كانت هذه وسيلة جيدة لصرف انتباهه خلال الشهرين الماضيين، وبعد أن انتهت القصة الآن، عاد إليه ذلك المظهر الوحيد، رغم أنه ادعى السعادة.

"عليك العودة إلى لوحة المرشحات مجدداً".

"يا لها من فكرة". كانت فكرة مواعدة امرأة أخرى مجدداً تملأه باليأس. لكنه أدرك أيضاً أن العلاقة مع ميغان كانت أكثر من مرهقة، وغير اعتيادية إذا صح القول. فالشخص الذي يعيش وفق معايير أكثر طبيعية قد يكون أسهل في المدى الطويل.

أوصل دافني إلى محطة القطار تلك الليلة لأنها أصرت على العودة. فهناك غداء عليها المشاركة فيه في اليوم التالي، وكانت زوجة صديقها خارج المدينة، ولذلك أرادت قضاء الليل معه. لم يكن يرافقها إلى أي مكان. كان يحرص على عدم الظهور معها. لكنها قبلت ذلك تماماً مثلما قبلت كل الأمور الأخرى المرتبطة به.

"إنه وغد محظوظ". قال لها أوليفر أكثر من مرة، وكانت تكتفي بالضحك. فهي لم ترغب في شيء أكثر من مشاركته. إنها تحبه كله وكانت مكتفية بالعيش مع قيوده. وتوقف أوليفر منذ وقت طويل عن إقناعها بالبحث عن شخص آخر.

في وقت متأخر من تلك الليلة، كان يتحدث مع ميل، فيما جلسا في غرفة الجلوس لمناقشة الزفاف، حين رن الهاتف وأمسكته مقتنعة بأنها إحدى صديقاتها. بدت متفاجئة حين عرفت أن الأمر ليس كذلك، وسلمت الهاتف إلى والدها بدل ذلك. كان هذا بنجامين وطلب فقط التحدث إلى والده. لذا، سلمته الهاتف، وقبّلته وذهبت إلى السرير.

"تصبح على خير أبي"

"أراك في الصباح، حبيبتي. نامي جيداً". ثم وجه انتباهه إلى شقيقها ابكر. "ما الأمر بنجامين؟" فقد شاهده للتو بعد ظهر اليوم خلال الزفاف. لقد اخذ إجازة من العمل وجاء وحده. لم تكن ساندرا تشعر بأنها على ما يرام. كانت تعاني من الانفلونزا، قال بنجامين، وهذا سيء نظراً لحالتها. فالطفل سيولد خلال عشرة أيام، وبدا التوتر يظهر على بنجامين. بدا مريعاً جداً.

"مرحبا أبي". بدا بنجامين متوتراً. "إنها في المخاض. نحن في المستشفى. نحن هنا منذ الثامنة مساء".

"هل كل شيء على ما يرام؟" أعاد له ذلك الذكريات حين ولد أولاده، وكم شعر بالإثارة حيال ذلك، لكن بنجامين بدا خائفاً أكثر.

"ليس الأمر رائعاً جداً. فهي لا تحرز أي تقدم... وأبي... إنها تواجه وقتاً صعباً. لقد أعطوها بعض الأدوية، لكنها لا تفلح أبداً في تسكين الألم".

"ماذا عن الحقنة المخدرة؟"

" لا تريد الخضوع لها. و... أبي... يظنون أن الطفل يواجه المشاكل".

يا إلهي. طفل معاق.

"هل تريدني أن آتي؟"

"نعم... أنا... أنا آسف، أعرف أن الوقت متأخر. هلا فعلت؟"

"طبعاً". أعطاه بنجامين اسم المستشفى. "سأحضر فوراً". أسرع إلى المنزل، واخذ مفاتيح سيارته وشعر بالسرور لأن بنجامين اتصل به. فهو على الأقل يتودد إليه الآن، ويستطيع ربما فعل شيء للمساعدة. لا يسعه القيام بأي شيء لمساعدة ساندرا، طبعاً، وشعر بالأسف لها. فهي لا تملك أية عائلة لتهتم بها، ولا أم لتمسك بيدها. لكنه يستطيع على الأقل التواجد هناك من أجل بنجامين، فيما يستطيع الأطباء تولي الباقي من أجل ساندرا.

وحين وصل إلى هناك، كان بنجامين يذرع الممشى جيئة وذهاباً

بعصبية، وهو يرتدي بيجاما خضراء ورداء أبيض فوقها، مع قلنسوة خضراء مضحكة على رأسه. ابتسم والده لمجرد رؤيته، متذكراً كيف ارتدى زي الطبيب في عيد التنكر. كان عمره أربعة أعوام آنذاك، وبالكاد يبدو أكبر من ذلك بالنسبة إلى أوليفر الآن. "تبدو مثل الدكتور كيلدار. كيف حالها؟"

"مريعة. كانت تصرخ وتصرخ. طلبوا مني الخروج ليتمكنوا من فحصها مجدداً وكانت تتوسل إليّ ألا أفعل... لا أعرف ماذا أفعل لها، أبي".

"إسترخ، بنيّ. سيكون كل شيء على ما يرام. هل تريد فنجاناً من القهوة؟"

هز بنجامين رأسه، وذهب أولي لإحضار كوب لنفسه. لقد شرب الكثير من النبيذ في الزفاف ولم يشأ أن يغلبه النعاس حين احتاج بنجامين إليه. وحين عاد مع الكوب الساخن، كان هناك طبيبان يرتديان زياً مماثلاً ويتحدثان مع ابنه. وقف أوليفر على مسافة قليلة منهم، وشاهد بنجامين يغلق عينيه ويهز رأسه.

"سوف يجرون لها عملية قيصرية. فالطفل يواجه مشكلة الآن. أعرف أنها لا تريد ذلك، لكنهم يقولون إنه لا يوجد أي خيار". رفع القلنسوة الخضراء ببطء عن رأسه. "لن يسمحوا لي بالتواجد هناك معها. سوف يخضعونها لتخدير عام".

"ستكون على ما يرام، واصمد فقط". شدّ على كتفه بيد قوية ودفعه برفق إلى كرسي.

"ماذا لو لم يكن الطفل على ما يرام؟" سأل بيأس فيما جلس بالقرب منه.

"سنواجه جميعاً ذلك حين يأتي الوقت، لكني أراهن أن الطفل سيكون على ما يرام". أراد سؤاله مجدداً عن فكرة إرساله للتبني، لكنه عرف أن الوقت غير مناسب.

بدا أن الأمر استغرق ساعات فيما جلسا هناك. راقبا الساعة وهي تحرك

عقاربها. لقد تجاوزت الساعة الواحدة. ثم جاءت ممرضة وسألت ما إذا كان السيد واتسون موجوداً. نهضا كلاهما، ثم شعر أوليفر بأنه أحمق وعاد وجلس. من الواضح أنهم يبحثون عن بنجامين. وأسرع الولد نحو الباب.

"سيد واتسون؟"

"نعم"

"هناك شخص هنا يريد اللقاء بك". ومن دون أية كلمة أخرى، فيما وقف في الممر وسط الليل وهو يرتدي البيجاما الخضراء، سلّموه ابنه. كان ملفوفاً برزمة صغيرة، وأطلق صرخة حين وضعته الممرضة في يدي بنجامين، ثم سحبه برفق في اتجاه صدره. وقف ينظر إليه في ذهول كامل، فيما انهمرت الدموع على وجنتيه وبدأ يبتسم. ثم التفت نحو أوليفر ممسكاً الولد بشدة.

"إنه صبي، أبي. إنه صبي!" أسرع أوليفر لرؤيته ونظر إلى الطفل الصغير وشعر قلبه يرتعش داخله. بدا وكأنه ينظر إلى وجه بنجامين بعد لحظات قليلة من ولادته. لقد كان الطفل نفسه، والوجه نفسه، والشعر الأحمر نفسه، والعينين المذهولتين، والكثير من سارة. وحين نظر أوليفر إليه أدرك شيئاً كان قد فاته قبلاً. لم يكن هذا فقط طفل بنجامين أو ساندرا فقط، وإنما هو حفيده أيضاً. كان جزءاً منه، ومن كل الذين جاءوا قبله... والده... أمه... وأهلهم قبلهم. كان جزءاً منهم جميعاً، ولا يستطيع إنكار ذلك بعد الآن. ظهرت الدموع في عينيه، فيما لمس برفق الطفل الذي ينتمي إليهم جميعاً الآن.

"كيف حال ساندرا؟" تذكرها بنجامين فجأة، وشعر بالذنب. "هل هي بخير؟" سأل الممرضة.

"إنها بخير. ستبقى في غرفة الإنعاش لبرهة. والآن، هلا جئت معنا إلى غرفة الحضانة لبرهة؟ يمكنك إمساك الطفل فيما نفحصه".

"هل هو على ما يرام؟"

"كل شيء على ما يرام. إنه يزن حوالى أربعة كيلوغرامات، ونبضات

قلبه مثالية. يعني ذلك أنه صبي يقظ وسليم". أخذت الطفل من بنجامين، وأفسحت الطريق إلى غرفة الحضانة فيما ابتسم الوالد الجديد بابتهاج وبقي أوليفر في الخلف. كانت لحظة مذهلة في حياته. ففي عمر الخامسة والأربعين، أصبح جداً فجأة، لكنه ما زال مصدوماً كم يشبه حفيده ابنه. شعر بعدها بالحاجة إلى مشاركة الخبر مع شخص ما، فتوجه نحو الهاتف وطلب الرقم وجعل الكلفة تحسب من هاتف منزله.

حين أجابت على الهاتف، ابتسم فجأة لنفسه وكان صوته رقيقاً. "مرحبا أيتها الجدة".

"من هذا؟" ظننت أنه اتصال مزعج وكانت على وشك إقفال السماعة.

"لقد رزقت بحفيد، سارة"؟ ظهرت الدموع في عينيه مجدداً فيما تذكر الأولاد الذين أنجبوهم.

"يا إلهي؟ هل هو على ما يرام؟"

"إنه ممتاز. اربعة كيلوغرامات، وهو يبدو تماماً مثل بنجامين حين ولد".

"كيف حال ساندرا؟"

"ليست رائعة جداً، حسب ما أظن. توجب عليهم إخضاعها لعملية قيصرية. لكنها على ما يرام. الطفل رائع جداً، ساري.... إنتظري حتى تريه".

"سوف يحتفظان به إذاً"، أصبحت مستيقظة تماماً الآن.

"نعم"، قال بهدوء وهو يشعر فجأة بشيء تجاه الطفل لم يتوقع أبداً أن يشعر به مجدداً، كما لو أن هذا الطفل منه. "أظن أنهما سيحتفظان به". ومن المستحيل معارضة رأي بنجامين بعد أن شاهد حفيده الآن.

"كيف استوعب بنجامين الأمر؟"

"كان عصبياً جداً، لكنه يبدو الآن مثل بابا فخور. أوه سارة، يجدر بك رؤيته". كان فخوراً به، وسعيداً له، وحزيناً في الوقت نفسه.

"أنت عاطفي جداً، أوليفر واتسون،. يفترض أن تنجب المزيد من الأولاد

لك في أحد هذه الأيام". كان غريباً أن يصدر هذا الكلام عنها، لكن حياتهما أصبحتا الآن في عالمين منفصلين.

"هكذا قيل لي. كيف حالك في المناسبة؟"

"أنا بخير".

"هل عيناك بخير؟"

"لا يزال هناك بعض البقع، لكنها ستختفي. بلّغ بنجامين تحياتي. سوف أتصل به غداً".

"اعتني بنفسك". بدا حزيناً مجدداً. ما زال يؤلم أحياناً الاتصال بها، لكنه كان سعيداً لأنه اتصل بها في أية حال. فهذا حفيدها أيضاً. وأراد إخبارها.

"تهانينا"، ابتسمت في الهاتف، "أيها الجد".

"ولك أيضاً. يجعلنا ذلك كبيرين قليلاً، أليس كذلك؟"

"لا أعرف. أظن أن الأمر يعجبني".

أقفل السماعة حينها وانتظر حتى يأتي بنجامين. أعاده إلى المنزل في بورتشايس، وكانت هذه المرة الأولى منذ ستة أشهر التي ينام فيها في غرفته القديمة. لقد غادر المنزل متحدياً، وعاد إلى المنزل كوالد. إنه عالم غريب، قال أوليفر لنفسه فيما توجه إلى غرفته وهو يفكر في الطفل الذي ولد هذه الليلة. تمنى له حياة سهلة، وطريقاً نحو الرجولة أسهل من تلك التي عرفها والده. وخلد بنجامين أخيراً إلى النوم في سريره، مبتسماً لطفله.

الفصل العشرون

أعادهم أوليفر من المستشفى إلى الشقة الكئيبة في بورت شستر، ولم ينفع إقناعهم بالعودة إلى المنزل في بورتشايس. شك في أن ساندرا أحبت الفكرة، لكن بنجامين أصر على أنهم يستطيعون تدبر أمرهم. سوف يعتني بها وبالطفل. أخذ إجازة لمدة أسبوعين من العمل، وسيكون عندئذ كل شيء على ما يرام. لكن حين اتصل بهم أوليفر بعد ذلك، كان الطفل يصرخ. وحين توجه لزيارتهم في الأسبوع التالي، بدت ساندرا مريعة. فقد كانت شاحبة، مع هالات سوداء تحت العينين، وتشعر بألم واضح. أما بنجامين فبدا أنه محتدم غيظاً وكانت الشقة في فوضى عارمة.

بعد أربعة أيام، تلقى أوليفر اتصالاً في منتصف الليل في شقة نيويورك. إنه بنجامين. تم أخذ ساندرا إلى المستشفى بسبب التهاب في العملية القيصرية، وهو يتدبر أمر الطفل وحده. كان يبكي حين اتصل، وذهب أوليفر وأحضره، ووضب كل أشياء الطفل الصغيرة، وأعادهما معه إلى المنزل.

"سوف تهتم أنياس بالطفل ألكس، ويمكنك الحصول على بعض النوم". لن يجادله هذه المرة. فبنجامين لم يكن يوماً أسوأ حالاً. بدا مرتاحاً أن الأمور أوكلت إلى شخص آخر أخيراً، وفي اليوم التالي، حين عاد من المكتب، جلس مع بنجامين للتحدث طويلاً. كان الطفل يصرخ طوال الوقت، وساندرا تتذمر. لم يستطع العثور على وظيفة ثانية، وكانا بالكاد ينجحان في تدبير لقمة العيش. فجأة، بدأت الأمور تنهار عليه وكان يشعر بالهلع. ومهما كان الطفل جميلاً، شعر أولي بالأسى لأنهما أنجباه.

"بنيّ، عليك التفكير في ذلك بعناية. هل هذا حقاً ما تريد فعله في حياتك؟ هل تشعر حقاً أنك تستطيع الاحتفاظ بالطفل؟ والأهم من ذلك، ماذا ستفعل

بنفسك؟ هل تريد أن تعمل كنادل في المطعم لبقية حياتك؟ وماذا عن ساندرا؟"

كانت كل هذه الأسئلة تؤرق الصبي منذ أشهر، وقد أصبح الآن غارقاً تحت وطأتها. اعترف لوالده بأنه لم يعد يحب ساندرا، وتساءل ما إذا أحبها أصلاً، وإذا كان قد أحبها فلم يعد يفعل ذلك منذ وقت طويل. لا يتحمل فكرة إمضاء بقية حياته معها. لكن ما زاد تعقيد الأمور الآن هو أنه يحب الصبي.

"إنه طفلي، أبي. لا أستطيع التخلي عنه. لا أستطيع فعل ذلك به أو بنفسي. لكنني لا أظن فقط أني قادر على البقاء معها لوقت أطول... لكن إذا تركتها، عليّ ترك ألكس معها". وراودته أسئلة جدية بشأن قدرتها على حضانة الطفل. فهي بدت أنها لا تفعل أي شيء من الغرائز التي افترض أنها موجودة لديها. فكل ما تفكر فيه، كما قبلاً، هو نفسها وليس الطفل.

"لماذا لا تعطيها فرصة للوقوف على قدميها مجدداً؟ ربما ما تحتاج إلى التفكير فيه هو دعمها، وليس البقاء معها". لكن كيف سيفعل ذلك؟ في غسل الصحون؟ أو تعبئة الوقود؟ "سوف أبذل كل ما بوسعي لمساعدتك. لماذا لا ترتاح لبضعة أيام، وسأحاول استنباط الأفكار لك". لكن حين فعل، شعر بالمسؤولية مجدداً. خرجت ساندرا من المستشفى، وشعر بالأسف حيالها، وأخذ الطفل ثم عاد. انفطر قلب آجي حين رآه يأخذ الطفل، لكن أوليفر انفطر قلبه أيضاً حين رأى بنجامين يعود مجدداً إلى ما يظنه صحيحاً. فهو لا يستطيع التخلي عما يشعر أنها واجباته، وانفطر قلب أوليفر لمجرد التفكير بأنه هناك، مع الطفل والفتاة. أصرّ على إعطائه خمسة آلاف دولار، وحارب بنجامين مثل النمر الشرس لإعادتها.

"اعتبرها إذاً بمثابة قرض. لن أدعكم تتضورون جوعاً أنتم الثلاثة. كن منطقياً بحق الله". وأخيراً، قبل بنجامين ووعده بأن يعيد المال إليه ما إن يستطيع.

ثم أصبحت الأمور أكثر تعقيداً بعد أسبوعين فقط. فقد اتصل رئيس شركة أولي به وطلب منه أمراً فاجأه تماماً. إن مدير مكتب لوس أنجليس

يموت بسبب السرطان. لذا، سيغادر في الأسبوع المقبل في إجازة مرضية دائمة ولا بد أن يستلم أحد منصبه. والأكثر من ذلك، أرادوا توسيع المكتب وجعله مهماً بقدر المكتب الذي في نيويورك. أرادوا بلوغ "توازن ثنائي"، كما يقولون، ليكونوا بالقرب من صناعة التلفزيون المهمة بالنسبة إليهم، والحصول على زبائن أكبر وأفضل في الشاطئ الغربي. وقد قرر رئيس مجلس الإدارة أن أوليفر هو الرجل المناسب لإدارة ذلك.

"بحق الله... لكنني لا أستطيع فعل ذلك... لديّ ولدان في المدرسة هنا، وزوجة، وحياة... لا أستطيع خلعهم من جذورهم والانتقال لثلاثة آلاف ميل".

وهناك الآن بنجامين مع مشاكله والطفل. لا يستطيع التخلي عنه، مثلما فعلت سارة بهم في العام الفائت. "عليّ التفكير في الأمر". لكن الراتب الذي ذكروه، والشروط، والمشاركة جعلت الأمر بمثابة صفقة سيكون مجنوناً إذا رفضها، وهو يعرف ذلك.

"بحق الله، أوليفر، عد إلى منطقك. إقبل العرض! لن يعطيك أحد أي عرض مثل هذا، وسوف تصبح يوماً ما رئيس مجلس الإدارة". حاولت دافني التحدث إليه بمنطق في تلك الليلة، فيما جلسا في مكتبه بعد وقت طويل من عودة الجميع إلى منازلهم.

"لكن ماذا عن أولادي؟ منزلي؟ أبي؟"

"لا تكن سخيفاً. أصبح لوالدك حياته الخاصة وزوجة يحبها. وبنجامين لديه حياته الآن. سوف ينظم أموره عاجلاً أم آجلاً، سواء كنت هنا أم لا. إنه من هذا النوع من الأولاد. إنه مثلك. وسوف يحب ميل وسام الذهاب إلى هناك. أنظر كيف تقبلا بسهولة فكرة الانتقال إلى نيويورك".

"لكن بحق الله، داف، هذا مختلف. هنا بعيد 30 ميلاً فقط عن بورتشايس. أما هذا فبعيد ثلاثة آلاف ميل عن المنزل".

"ليس إذا أنشأت منزلاً لك هناك. ومليسا في الثانوية. سوف تصبح بعد سنتين في الجامعة في مكان ما. لا تستخدمهما بمثابة عذر. إقبل العرض! إنه

عرض مذهل". لكن لوس أنجليس؟ كاليفورنيا؟ هذا هو منزله.

"لا أعرف. عليّ التفكير في ذلك مجدداً. عليّ التحدث مع الأولاد لمعرفة ماذا يقولون".

أصيب كلاهما بالصدمة حين أخبرهما، ولكن ليس بطريقة مروّعة مثلما توقع. لا بل إنهما أحبا الفكرة على ما يبدو بعد أن فكرا ملياً في الأمر. لم يحبا فكرة التخلي عن أصدقائهما، وشعر سام بالقلق حيال مدى تواتر رؤيته لسارة، لكن أولي قال إنه يستطيع إرسالهما لرؤيتها على نحو متكرر، ويمكنهما قضاء العطل معها. إلا أن الفكرة ما زالت مجنونة بالنسبة إلى أولي وبمثابة مشروع مخيف. والأكثر من ذلك أنهم أرادوه التواجد هناك خلال شهر أو قبلاً إذا استطاع تدبر الأمر.

"حسناً أيها الأولاد"، سألهما بعد أن تحدثا عن الأمر طوال أيام. ما زال أمامه حتى عطلة نهاية الأسبوع ليتخذ قراره. "ماذا تقولان؟ هل نذهب إلى كاليفورنيا أو نبقى هنا؟"

تبادل ميل وسام نظرة طويلة ودقيقة ووجد أولي نفسه يأمل في أن يقولا لا.

"أقول إننا نذهب"، فاجأته ميل، وجلس سام إلى الخلف وابتسم.

"نعم أبي، فلنذهب. يمكننا الذهاب إلى ديزني لاند كل أحد".

جلس يحدق فيهما، وهو مذهول بقرارهما. "هل تعنيان ذلك فعلاً؟" هزا رأسهما وشعر كأنه يعيش في حلم. وفي اليوم التالي، ذهب إلى العمل وأخبرهم بموافقته على الذهاب. طار إلى لوس أنجليس يوم الأحد وبحث عن منزل للإيجار، وأمضى ثلاثة أيام يفتش عن المدارس، وأسبوعاً آخر للتعرف إلى الأشخاص في المكتب، ثم عاد لتسوية الأمور في نيويورك.

وافقت الوفية آجي على الانتقال معهم. وقرر ألا يبيع المنزل في بورتشايس وإنما يبقيه حتى يصبح كل شيء على ما يرام معهم في الساحل الغربي. لكن الجزء الأصعب تمثل في إخبار بنجامين بأنهم سيرحلون. إلا أنه

عقد اتفاقاً معه جعله يشعر على الأقل براحة البال تجاه ابنه. فقد وافق بنجامين وساندرا على الانتقال إلى المنزل في بورتشايس مع الطفل. وقال لهما إنهما يستطيعان الاعتناء بالمنزل، وسيكون ذلك عبئاً أقل بالنسبة إليه إذا "ساعداه".

"أنت واثق، أبي؟ أنت لا تسدي لنا خدمة فقط؟"

"لا، لست كذلك بنيّ. هناك خيار بديل أيضاً". حبس أنفاسه. "يمكنك ترك ألكس وساندرا هنا في الشقة والذهاب إلى الساحل الغربي معنا". لكن بنجامين هزّ رأسه بحزن. لن يتخلى عنهما. لا يستطيع. فساندرا لا تملك أية فكرة عن كيفية التغلب على المشاكل وكان ألكس طفله.

"سنكون بخير هنا". لقد عثر على وظيفة أخرى، ومع الإيجار المجاني في منزل والده، سيكلفه ذلك مقداراً أقل من التكاليف.

حدث كل ذلك بلمح البصر. وضبوا أغراضهم ورحلوا. بكوا ولوّحوا. وقبل أسبوع واحد من يوم عيد الشكر، غادروا إلى لوس أنجليس لبدء حياة جديدةٍ تماماً في كاليفورنيا.

حين هبطت الطائرة في مطار لوس أنجليس، نظر أوليفر إلى ميل وسام وتساءل عما فعله.

"مستعدان؟" ابتسم لهما بعصبية، وتمنى أن يحبا المنزل الذي استأجره في بيل آير. كان المكان رائعاً مع مصطبة، وسونا، وجاكوزي في كل حمام، وحوض سباحة بضعف حجم الحوض الذي كان في بورتشايس. كان هذا المنزل لممثل تعرض للإفلاس وأراد تأجيره إلى أن يقرر بيعه.

أخذوا آندي من منصة الحقائب في القفص الكبير الذي سافر فيه وسوّت أجي قبعتها وابتسمت.

كانت هناك سيارة ليموزين في انتظارهم أمام المطار، ودخل الولدان إليها مع عيون واسعة، فيما راح آندي ينبح ويلوّح بذيله. تساءل أوليفر للمرة الألف ما إذا كان قد فعل شيئاً مجنوناً. لكن حتى لو فعل، يبدو أن أحداً لا يهتم. ليس بعد على الأقل. جلس في المقعد وأمسك بأيدي ولديه بين يديه.

"أتمنى أن يعجبكما المنزل".

"سوف يعجبنا"، ابتسم سام فيما نظر من النافذة، وبدت ميل فجأة ناضجة جداً فيما غاصوا في زحمة سير لوس أنجليس متوجهين إلى المنزل الجديد الذي عثر عليه والدهما في بيل آير. إنه عالم جديد بالكامل، حياة جديدة بالنسبة إليهما، لكن يبدو أنهما لا يكترثان. وفيما نظر من النافذة، وحده أوليفر شعر بالخوف من المشروع الذي أقدموا عليه.

الفصل الحادي والعشرون

كان المنزل تماماً مثلما حلم الولدان. إنه مثالي لهما، وشعر أوليفر بالحماس. استقروا في غضون أسابيع قليلة، وبدأ ثلاثتهم يشقون درب النجاح. حتى أنياس شعرت بالسعادة الكبيرة في منزلهم الجديد، وبعد القيام بجولة على المحلات المجاورة، عثرت على كل ما تريده.

أحبت ميل مدرستها، ودعا سام صديقين جديدين إلى الحوض للسباحة في يوم عيد الشكر. كانت العطلة تبدو غريبة بالنسبة إليهما من دون بنجامين، أو جدهم، وكانا بعيدين جداً عن سارة أيضاً. سوف يذهبان لقضاء عطلة العيد معها. وشعرا بالذهول حين وجدا أنه مضى على وجودهما شهر واحد فقط حين وضبا أغراضهما للمغادرة والانضمام إليها في بوسطن لقضاء عطلة العيد.

أوصلهما أوليفر إلى المطار، وبقدر ما عرف أنه سيشتاق إليهما في العطل، كان شاكراً لأن لديه بعض الأسابيع التي يستطيع العمل خلالها لوقت متأخر في المكتب. فهو يحتاج إلى الوقت للغوص في كل المشاريع التي كانت تنتظره حين وصل. أما الشخص الوحيد الذي اشتاق إليه فعلاً فكانت دافني. اشتاق إلى نظرتها السليمة، وعقلها النيّر، وحكمها الواضح، وحلولها المبدعة لمشاكل المكتب. والواقع أنه اتصل بها أكثر من مرة طلباً لنصيحتها وأرسل لها بالبريد السريع بعض الأوراق لتبدي رأيها في أفكاره للحملات الجديدة وعروضه للزبائن الجدد. تمنى لو يرسلوها هي أيضاً إلى لوس أنجليس، لكنه عرف أيضاً أنها لن تقبل أبداً. فعلاقتها مع الرجل في نيويورك مهمة جداً لها. وهي تتخلى عن وظيفتها بدل التخلي عن الرجل المتزوج الذي منحته حياتها قبل ثلاثة عشر عاماً.

مرّت الأسابيع القليلة التالية بسرعة وحل العيد قبل أن يدركوا الأمر تقريباً. تبادلا الهدايا مع والدهما قبل الذهاب لقضاء عطلة العيد مع سارة. وفجأة، حين عاد إلى المنزل الفارغ يوم غادرا، أدرك أنه سيكون أول عيد له وحيداً، الأول من دونهم ومن دون سارة. من الأسهل نسيان كل ذلك والغوص في العمل. فلديه عمل أكثر مما يكفي ليشغله خلال الأسبوعين. وبعد ظهر اليوم التالي، أصيب بالذهول حين قرع أحد الموظفين على باب مكتبه بتردد.

"سيد واتسون، ظن هاري برانستون أنك تودّ رؤية هذا". وضعت المرأة الشابة بطاقة الدعوة على مكتبه وألقى نظرة سريعة عليها. لكنه كان مشغولاً جداً بحيث لم يقرأها إلا بعد ساعات. كانت هذه دعوة لحفلة بمناسبة العيد تقيمها إحدى الشبكات كل عام لنجومها، وموظفيها، وأصدقائها، ومعلنيها الرئيسيين. والواقع أن هذه الشبكة كانت أحد أكبر الزبائن التي تملكها الوكالة. من اللائق حضور الحفلة، لكنه لم يعرف كيف سيجد الوقت لذلك ولم يكن فعلاً في مزاج جيد. وضع الدعوة جانباً وقرر مراجعة كيف كان يومه. ما زال هناك أربعة أيام، وآخر شيء فكر فيه بعد ظهر يوم الجمعة ذاك، حين عثر على الدعوة بين كومة أوراق على مكتبه، هو الذهاب إلى حفلة. عرف أنه لا يعرف أحداً هناك، ولم يتخيل أن أحداً سيلاحظ غيابه. وضع الدعوة جانباً مجدداً وبدا فجأة كأنه يسمع صوت دافني تلح عليه للذهاب. فهذا هو تماماً ما ستطلب منه القيام به، لصالح الوكالة، وليثبت نفسه على أنه المدير الجديد لمكتب لوس أنجليس."حسناً.... حسناً...'، تمتم. "سوف أذهب". ثم ابتسم لنفسه، وفكر مجدداً فيها وكم يشتاق إلى عشاء المعكرونة معها. كان هذا أحد أصعب الأمور بشأن المجيء إلى لوس أنجليس. فهو لا يملك أية أصدقاء هنا. وحتماً لا أحد مثل دافني.

اتصل بسيارة الليموزين الخاصة بالمكتب، التي نادراً ما يستعملها، لكنها تجدي نفعاً في مثل هذه المناسبات. فالسائق يعرف أين هو المكان، ولن يتوجب عليه القلق بشأن ركن السيارة.

أقيمت الحفلة على أحد مسارح الاستوديو العملاقة، وفيما شقت سيارة الليموزين طريقها إلى المدخل، تحقق رجل من وجود اسمه على اللائحة، ثم لوّح لهما بالمضي قدماً. كان كل ذلك بمثابة حلم بالنسبة إليه، أو بمثابة تأدية دور في فيلم غير اعتيادي.

أظهرت له امرأتان شابتان الطريق، والشيء التالي الذي عرفه هو أنه أصبح وسط مئات الأشخاص، الذين يرتدون ثياب الاحتفال، على منصة بدت مثل قاعة استقبال ضخمة في فندق فيما يلقي مدراء الشبكة التحية على الجميع. شعر بالسخافة لوجوده هناك في المقام الأول، مثل ولد جديد في مدرسة، لكن بدا أن أحداً لم يلاحظ. عرّف عن نفسه مرات عدة وتأثر في قرارة نفسه حين شاهد وجوهاً يعرفها. كانوا نجوماً لبرامج ناجحة، يرتدون الثياب البراقة واللماعة. كانت النساء جميلات والرجال جذابين أيضاً. وشعر فجأة بالأسف لأن ميل ليست هنا. لكانت ذهلت بكل ذلك، ولأحبت ذلك حتماً. حتى أنه شاهد نجم البرنامج المفضل عند سام، صبي وجهه مليء بالنمش اعتاد سام على تكرارٍ حركاته على الدوام.

تنحى بعيداً لإفساح المجال أمام شخص داخل وداس خطأ على أصابع قدميّ شخص آخر. قفز بسرعة مع اعتذار على شفتيه، والتفت ليشاهد المرأة الأكثر جمالاً التي عرفها في حياته وهي تقف قربه. كان وجهها خالياً من العيوب، ولها عينان خضراوان، وشعر بلون النحاس البني. "أنا... أنا آسف... لم ألاحظ.." أدرك أنه شاهدها قبلاً لكنه لم يعرف أين. وحين نظرت إليه، ابتسمت وكشفت عن أسنان مثالية. كانت ترتدي سروالاً جلدياً أسود وكنزة سوداء بسيطة. وكشفت عن ابتسامة الفتاة الصغيرة وليس نجمة السينما. كانت قصيرة القامة، وبدا كل شيء فيها صغيراً ومثالياً. "أنا آسف جداً"، قال مجدداً بعد أن داس على كل قدمها، لكنها اكتفت بالابتسام فيما راقبت الحشود وهي تسير حولهما.

"جنون، أليس كذلك؟ آتي كل سنة وأتساءل دوماً لماذا. يبدو ذلك وكأنهم

ينادون للتصوير ويقولون: "حسناً، جو، أرسل مجموعة من الأجسام إلى حفلة". يتمنون للجميع أن يقضوا أوقاتاً سعيدة". ضحكت مجدداً فيما كانت تراقبهم والتقت عيناها بعينيّ أوليفر مباشرة. إنها سلالة جديدة بالنسبة إليه، الوجه المثالي، الشعر الأحمر المرتب بطريقة جميلة، كل شيء في لوس أنجليس يبدو "مرتباً" بالنسبة إليه، حسب ما لاحظ من طريقة ارتدائهم للثياب وتصرفاتهم. إنهم يمضون وقتاً طويلاً للاعتناء بمظهرهم، لكنه شعر نوعاً ما أن هذه الفتاة كانت مختلفة.

"أعرف أنه لا يجدر بي سؤالك هذا، لكني أعتقد أني أعرفك ربما. أتعملين هنا؟"

"يمكنك قول هذا. لكن أنت لا تعمل هنا، أليس كذلك؟" لو كان يعمل هنا، لكان عرف من هي، لكن لم يزعجها أنه لا يعمل هنا. فبطريقة ما، كان هذا أفضل كثيراً بالنسبة إليها.

'أنا أعمل في وكالة إعلانات". لم يشأ إخبارها أنه يديرها. "انتقلت للتو من نيويورك قبل بضعة أسابيع. الأمر مختلف كثيراً هنا، لكني أحبه كثيراً".

"انتظر برهة. يصبح الأمر مجنوناً هنا. أنا أعيش هنا منذ عشر سنوات، وما زلت أشعر أني أليس في بلاد العجائب". كان هذا إحساس بدأ يعرفه مجدداً، وتساءل فجأة كيف ستبدو من دون الشعر الممشط بعناية والماكياج الموضوع بطريقة محترفة.

"أين كنت قبل ذلك؟'

"نيبراسكا". ضحكت. "هل تصدق؟ جئت إلى هنا للذهاب إلى UCLA وأصبح 'نجمة'. وما زال أهلي يظنون أني مجنونة لبقائي هنا. وفي بعض الأحيان أظن انا ذلك أيضاً، لكنك تعتاد على النمط بعد فترة. أنا احب التواجد في هذا العمل". بدت متحمسة أثناء الكلام وأحبّ النظرة في عينيها. كانت حيوية ومفعمة بالمرح، وبدت أنها لا تأخذ أي شيء على محمل الجد. ثم، وفيما كانا يتحدثان، جاء أحد إليها وطلب منها توقيعها. وقّعت من دون إحداث جلبة كبيرة، وابتسمت، وشكرتهم، ثم التفتت إلى أولي. بدا محرجاً صراحة

عندئذ، وأدرك أنه كان يجدر به أن يعلم من تكون.

"حسناً، غداً ستجرح مشاعري. سوف أعرف من تكونين وأشعر أني أحمق كبير. لماذا لا تخبريني الآن حتى أشعر مثل أبله جاهل وأتجاوز المسألة؟" كان يبتسم أيضاً. "من أنت؟"

"الفتاة ذات الرداء الأحمر"، قالت. "لإخبارك الحقيقة، كنت مستمتعة لأنك لم تعرفني. أكره إفساد ذلك".

"أعدك. سوف أنسى ما إن تخبريني".

'حسناً". مدّت له يداً لمصافحته بطريقة رسمية. "في هذه الحالة، أنا شارلوت سامبسون'. كانت نجمة أحد البرامج الرئيسية في الشبكة، وهو برنامج مهم كان يعرض كل أسبوع. شاركها بطولة البرنامج نجم شاب ولها جمهور يوازي الثمانين مليون مشاهد.

"أوه يا إلهي..." شعر أنه مثل أحمق حقيقي وسوف يغمى على ميل حين تعرف أنه التقى بها. 'لا أستطيع تصديق ذلك".

"الآن بعد أن تجاوزنا هذا، من أنت؟' صافح يدها ونسي إخبارها باسمه. لم يصدق أنه لم يتعرف إليها، لكنه لم يدرك أبداً أنها صغيرة لهذه الدرجة، وشابة وحيوية وأنيقة هكذا. كانت جادة جداً في البرنامج، وتسرّح شعرها بطريقة مختلفة عادة، لكنه كان يحدق فيها مجدداً وشعر أنه أبله حقيقي حين عرّفها بنفسه في النهاية.

"أنا آسف. لقد فاجأتني فعلاً. أنا أوليفر واتسون. هذه كلها هوليوود بالنسبة إلينا نحن الآتين من الشرق. أخشى أني غير معتاد على التعاطي مع النجوم كل يوم، فماذا عن الدوس على أقدامهم".

'لا تقلق. ففي آخر مرة كان والدي هنا، توجه مباشرة إلى جوان كولينز في المنصة وقال لها إنها تبدو مثل معلّمة مدرسة يوم الأحد التي عرفها في نيبراسكا. كانت هذه المرة الأولى التي أراها صامتة. ربّت على كتفها واستمر في الحديث معها".

"ربما يجدر بي تجربة ذلك. لكنك لا تبدين مثل معلمة مدرسة الأحد بالنسبة إليّ". وإنما أشبه بفتاة الجيران. ولكن امرأة جميلة على نحو استثنائي. كانت فاتنة حقاً، وسحره شعرها الأحمر الملتهب. وعرف من لون بشرتها القشدية أن شعرها أحمر بصورة طبيعية.

"لا تبدو مثل رجل إعلانات. تبدو مثل أحد الشبان في برنامجنا". ضحكت، وأدرك أنها تفعل ذلك غالباً. كانت فتاة هادئة، ولا تملك أياً من التصرفات أو التكلفات التي يكشف عنها شخص مهم وناجح مثلها.

"أخشى أني لا أظن ذلك".

"ما الذي جاء بك إلى هنا بالمناسبة؟" كان هناك أشخاص تعرفهم يتحركون في كل مكان، يلوحون لها، يرسلون القبل إليها، يومئون بالإشارات إليها، لكنها بدت راضية تماماً بمتابعة الحديث مع أولي.

"الوكالة جاءت بي. مرض أحدهم وطلبوا مني ملء مركزه. كان هذا نوعاً من الإبلاغ المفاجئ، لكن الأمور سارت فعلاً على ما يرام'. وفجأة، شعر بذنب شديد. "آنسة سامبسون، هل أحجزك؟ أتخيل أن هناك الكثير من الأشخاص الأكثر أهمية الذين يجدر بك التحدث إليها بدل التحدث إلى رجل إعلانات الشبكة".

"لقد أديت واجباتي. جئت باكراً. ماذا يريدون أكثر؟ رقصة صغيرة؟ أديتها في المكتب. أنا حرة في وقتي الآن. وأحب التحدث إليك. فهذا أسهل كثيراً من التحدث إلى الكثير من النجوم العصبيين الذين تهبط برامجهم في التصنيفات". لكن برنامجها لم يكن كذلك، وهذا أكيد. فقد تم ترشيحها لجائزة إيمي هذه السنة، رغم أنها لم تربحها. وهذا ما جعله يشعر بحماقة أكبر لعدم معرفة من تكون حين رآها للمرة الأولى. "ماذا تفعل في لوس أنجليس، أوليفر، منذ أن وصلت إلى هنا؟"

"عمل... عمل أكثر... مزيد من عمل...استقرار... لأقول لك الحقيقة لم أشاهد أي شيء سوى منزلي ومكتبي"

"لا يبدو هذا ممتعاً جداً. هل خرجت لتناول العشاء في أي مكان؟"

"ليس بعد، سوى مرة واحدة مع ولديّ. ذهبنا إلى الهارد روك كافيه، وقد أحبا المكان. شعرت ان عمري أربع مئة سنة وكدت أفقد سمعي".

ضحكت، أحبت ذلك علماً أن المكان يجعلها تشعر هكذا أيضاً فقط لأنه يصعب الحديث هناك. لكن الديكور مذهل، وكانت مولعة خصوصاً بالنظر إلى سيارة إلفيس برسلي القديمة التي تبدو وكأنها تهبط من السقف. كان هذا يعيد إليها طفولتها كلما نظرت إليها. "ألم تذهب إلى سباغو بعد؟"

"أخشى قول لا".

"علينا الذهاب في وقت ما". بدا ذلك مثل شكل أهل لوس أنجليس للقول "فلنتناول الغداء في وقت ما"، ولم يأخذ الأمر على محمل الجد حين قالته. ثم بدت مهتمة وقالت: "كم عمر أولادك؟"

"لدي فتاة في السادسة عشرة من عمرها، وصبي في العاشرة وصبي آخر بقي في الشرق وعمره ثمانية عشر عاماً"

"يبدو هذا جميلاً"، ابتسمت له، مع نظرة ندم بسيطة. لقد أعجبها فعلاً. "وكم عمر زوجتك؟" نظرت مباشرة في عينيه وضحك لصراحة السؤال الموجه إليه.

"اثنان وأربعون والواقع أننا مطلقان". أو هكذا تقريباً. يفترض أن تصبح الأوراق النهائية جاهزة خلال ثمانية أسابيع، لكن في قلبه، وهذا الأهم، انتهى الرابط أخيراً. ابتسمت له شارلوت سامبسون ابتسامة عريضة حين أجابها.

"يا، هذا خبر جيد. كنت بدأت بالقلق!" شعر بالإطراء لكلماتها وللانتباه الذي تخصصه له. لم يشعر فعلاً أنه يستحق ذلك. ربما كانت خجولة فقط ولا تحب الحفلات الكبيرة.

"هل أولادك هنا الآن؟"

"لا، لقد ذهبا إلى الشرق قبل بضعة أيام لقضاء العيد مع أمهما في بوسطن".

"ظننتك قلت إنك كنت تعيش في نيويورك". بدت فجأة محتارة، و"لماذا لم يبقيا معك في العيد؟"

"لأنهم يعيشون معي طوال السنة. وكنا نعيش فعلاً في نيويورك. لكنها تعيش في بوسطن. لقد غادرت قبل سنة للالتحاق بالجامعة و..." نظر إليها، سواء كانت نجمة هوليوود أم لا، وأراد إخباره الحقيقة، رغم أنه لم يكن واثقاً من أنها تهتم، لكنها تصرفت على أنها كذلك وبدت مثل شخص لطيف. "لقد تركتنا... أنا والأولاد... ولذلك يعيشون معي الآن".

نظرت إليه، بحزن فجأة، وأزاحت الشعر الأحمر الطويل عن كتفيها. "يبدو هذا مثل قصة طويلة مؤلمة".

"كانت كذلك. لفترة. لكنها الآن قصة قصيرة. إنها سعيدة. ونحن بخير. تتكيفين مع الأشياء إذا اضطررت لذلك".

"الأولاد أيضاً؟"

أومأ برأسه. "إنهم بخير. وأظن أنه بات باستطاعتهم الآن تحمل أي شيء. إنهم مجموعة جيدة".

"وأنت تبدو مثل والد جيد".

"شكراً سيدتي". انحنى لها قليلاً وضحك كلاهما، ثم جاء أحد رؤساء الشبكة لإلقاء التحية عليهما معاً. قبّل شارلوت على الوجنتين، وصافح يد أوليفر، وقال له إنه كان يبحث عنه خلال الساعة الماضية.

"أريد أن أعرّفك إلى بعض أصدقائنا، لكني لاحظت أنك التقيت بسيدتي المفضلة".

"حاولت الدوس عليها حين دخلت عبر الباب، وكانت لطيفة كفاية لعدم رميي خارجاً أو رفع قضيّة عليّ. لقد أصبحت الآن ضعيفة جداً ربما لتتحرك، ولذلك نقف هنا نتحدث، فيما أضجرها بقصص أولادي".

"لقد استمتعت بالحديث إليك أوليفر". بدت منزعجة تقريباً فيما ضحك

الرجل الآخر ثم التفتت إلى مدير شبكتها وقطبّت وجهها. "أفترض أنك ستأخذه بعيداً الآن".

"يجدر بي ذلك. سأعيده إليك إذا شئت"، ثم التفت إلى أوليفر مع ما يفترض أن يكون كلمة تحذير. "إحذر منها. فهي تكره نجوم السينما، وتحب الأولاد والكلاب، ولا تنسى أبداً حدودها. أنا لا أثق في هذا النوع من النساء، هل تفعل؟ والأكثر من ذلك أنها حسنة المظهر. يجدر بك رؤيتها في الساعة الرابعة صباحاً. سوف تشعر بالغثيان من دون ماكياج ووجه مثل الملاك'.

"هيا، هوي، توقف! أنت تعرف كيف أبدو في الصباح!" كانت تضحك وبدا أوليفر مذهولاً. بدت مثل امرأة حلوة المعشر، وأحب مشاهدتها في الساعة الرابعة صباحاً، مع ماكياجها أو من دونه. "إنه يقول أكاذيب، كله أكاذيب. أنا أكره الأولاد والكلاب". لكنها لم تكن تبدو هكذا حين تحدثا عن الأولاد.

"حسناً، تشارلي، اذهبي للعب فيما أصطحب أوليفر في جولة. سوف أعيده بعد قليل". لكن حين غادراها، وشعر أوليفر بالندم، عرّفه "هوي" على كلّ كائن بشري له أهمية في المكان، ومضت ساعة كاملة قبل أن يعود إلى البقعة التي تركها فيها. ولا شك في أنها رحلت. لم يتوقعها أن تنتظر... ليس تماماً... سوى أنه كان يحب لو فعلت ذلك. مشى بعيداً بهدوء، وذهب للبحث عن سيارة الليموزين خاصته، لكنه تفاجأ كثيراً حين شاهدها في البعيد تدخل في سيارة مرسيدس حمراء. كانت تربط شعرها في ربطتين إلى الخلف، ونزعت عنها ماكياجها، وارتدت معطفاً أسود من الجلد القديم. لوّح لها ورأته ولوحت له. ثم ترددت لبرهة وكأنها تنتظره ليقترب منها. مشى حينها في اتجاهها وأراد أن يخبرها كم استمتع باللقاء بها، فابتسمت ما إن اقترب.

"هل أنت في طريقك إلى المنزل؟" أومأت برأسها وابتسمت له، وبدت فجأة مثل فتاة صغيرة. وإنما فتاة جميلة جداً حين راقبها.

"لقد أخذت أسبوعين إجازة بعد عطلة الأعياد. انتهينا من هنا الليلة. ماذا عنك؟ هل أنهيت واجباتك هناك؟" ابتسمت له بسهولة وأومأ لها برأسه. أراد أن

يطلب منها الخروج معه، لكنه لم يجرؤ تماماً، ثم قرر أنه أياً تكن النتيجة، فكل ما تستطيع قوله هو لا، حتى لو كانت شارلوت سامبسون.

"هل تناولت العشاء؟"

هزّت رأسها ثم أشرق وجهها. "هل تريد الذهاب لتناول بيتزا في سباغو؟ لست واثقة من أننا نستطيع الدخول، لكننا نستطيع التجربة. يكون المكان مزدحماً جداً عادة". كان هذا المكان الأكثر شهرة هذه السنة. فهو مليء عادة بالأجسام المتلاصقة التي ترغب في انتظار دهر بكامله للحصول على وجبات ولفغانغ بوك المذهلة، مع نظرة سريعة على النجوم المتواجدين هناك.

"أحب ذلك". بدا متحمساً وألقى نظرة سريعة فوق كتفه إلى سيارة الليموزين. "هل تركبين معي؟ أم يجدر بي اللحاق بك؟"

"لماذا لا تركب معي؟"

"ألا تمانعين؟". لا شك في أن الأمر سيكون أكثر بساطة.

كشفت عن ابتسامة دافئة مجدداً. أحبت شكله وطريقة كلامه. وهو أحب جوها المرح، وكان هناك شيء هادئ وواثق فيه. بدا مثل شخص يمكنك الاعتماد عليه. "طبعاً لا".

صرف السائق بسرعة عندئذ، كما لو أنه خشي أن تغير رأيها، وجلس في المقعد الأمامي بقربها. ثم التفتت إليه فجأة. "لديّ فكرة أفضل. في بعض الأحيان، يكون سباغو مزدحماً جداً. أعرف مطعماً إيطالياً آخر في ميلروز. اسمه تشيانتي. إنه مظلم ولن يرانا أحد هناك. سوف نتصل من هنا لنرى إذا كانوا يستقبلوننا". أشارت إلى هاتف أحمر صغير معلّق في لوحة القيادة، ثم طلبت الرقم بيد واحدة فيما أدارت السيارة وراقبها هو بدهشة.

"هل من خطب؟"

"لا، أنا متأثر فقط"؟

"نعم"، ابتسمت ابتسامة عريضة. "إنها طريق طويلة من لينكولن، نيبراسكا".

أجاب المطعم من الرنة الأولى وقالوا إنهم يسرّون بتوفير طاولة للآنسة سامبسون. وكان هذا خياراً مثالياً. فهو مطعم صغير وداكن وحميم ولا شيء فيه "جديد" أبداً. إنه يبدو مثل المطاعم الإيطالية التقليدية، وبدا الطعام الموجود على القائمة لذيذاً. دوّن النادل طلبهما بسرعة وجلسا قرب بعضهما على المقعد، فيما حاول أوليفر استيعاب كل شيء. إنه يتناول العشاء مع شارلوت سامبسون. إنها نجمة هوليوود، أليس كذلك؟ ولبرهة، فكر في ميغان في نيويورك. كم كان الأمر مختلفاً. لقد كان ذلك معقداً جداً ومنحطاً قليلاً، ويبدو هذا بسيطاً نوعاً ما. لكن شارلوت هي من هذا النوع من الأشخاص. إنها تبدو حقيقية جداً.

"هذه فكرة رائعة". بدا مسروراً، وباشرا كلاهما في تناول عيدان الخبز. كانا يتضوران جوعاً.

"من الرائع عدم الحاجة إلى القلق بشأن الذهاب إلى العمل في الرابعة فجراً من صباح الغد. فهذا يسبب فعلاً فوضى في حياتك الاجتماعية أحياناً. ففي معظم الأوقات، أكون متعبة جداً لعدم الذهاب إلى أي مكان في الليل، باستثناء المنزل والسرير. أستحم، ثم أستلقي في السرير حتى صباح اليوم التالي، وفي الساعة التاسعة تكون الأضواء مسلّطة عليّ.

"ماذا عن كل حفلات هوليوود المشهورة؟"

"إنها للمغفلين. باستثناء نداءات الواجب مثل الليلة. فبقية الحفلات يمكنك الهروب منها. لكن من الخطير عدم الذهاب إلى مثل حفلة الليلة. لا تريد ان يصاب أحد في الشبكة بالجنون".

"هكذا سمعت. هل الأمر متوتر فعلاً إلى هذا الحد؟"

"أحياناً، إذا كانت تصنيفاتك غير ممتازة. هذا عمل حقير". ثم ضحكت. "لكني أحبه. أحب الإثارة فيه، العمل الشاق، تحديات إعداد السيناريوهات الصعبة. هناك أشياء أخرى أحب القيام بها أكثر، لكن هذه التجربة كانت مذهلة". إنها تعدّ البرنامج منذ عامين.

"ما هو الشيء الآخر الذي تحبين القيام به؟"

"على الصعيد المهني؟" كان هذا سؤالاً ممتعاً. "شكسبير ربما. قدمت الكثير من مسرح الذخائر في الجامعة، وفي حفلات الصيف بعد ذلك، حين لم أتمكن من العثور على أي عمل آخر. أنا أحب المسرح الحيّ. الضغط الموجود فيه. الحاجة لأن تتذكر كل السطور وتؤدي ذلك بشكل صحيح ليلة بعد ليلة. أظن أن الحلم الأكبر، بالنسبة إليّ، هو مسرح برودواي". أومأ برأسه ولاحظ ذلك. كان هذا نوعاً من الذروة في الفن، لكن ما أنجزته يستحق الثناء أيضاً. فقد أعجب بها كثيراً لما حققته. وكان هذا عملاً أصعب مما يبدو. وهو يعرف ذلك تماماً.

"هل أنجزت أية أفلام؟"

"واحد". ضحكت. "كان كارثة. الشخص الوحيد الذي شاهده وأعجبه كان جدتي في نيبراسكا".

ضحك الاثنان ووصل عشاؤهما حينها. وراحا يتحدثان مطولاً عن عملهما، وأولاده، وضغوط العمل، وشعوره حيال إدارة مكتب لوس أنجليس فجأة. "لا بد أن يكون عالم الإعلان صعباً. فإذا أخطأت مرة، تخسر الزبون". لقد سمعت قصص رعب على مر السنوات، لكنه بدا هادئاً على نحو مفاجئ مقارنة مع نوع الضغط الذي يعمل تحته.

"ليس هذا مختلفاً عما تقومين به أنت. فهم لا يمنحونك الكثير من الوقت الضائع أيضاً".

"لهذا السبب تحتاج إلى شيء آخر، بحيث لا تكترث كثيراً أبداً. لا بد أن يكون هناك شيء مهم في حياتك".

"مثل ماذا؟"

أجابت من دون تردد. "زوج، زواج، أولاد. أشخاصاً تحبهم، شيئاً آخر تعرف كيفية القيام به، لأنه في يوم ما سوف تختفي العروض والتواقيع

والضجة، وعليك أن تحذر لعدم الاختفاء معها". كانت هذه طريقة ذكية للنظر إلى ما تقوم به، واحترمها على ذلك، لكن ما قالته للتو جعله يتساءل.

"هل هناك أمر لا تخبريني به آنسة سامبسون؟ هل سيدخل زوجك من الباب ويلكمني في الأنف؟" ضحكت على الفكرة وهزّت رأسها فيما غاصت لتناول المعكرونة.

"أخشى أنه لا مجال لذلك. لقد تزوجت مرة، قبل فترة طويلة، حين كنت في الحادية والعشرين. دام الزواج عشر دقائق تقريباً بعد أن خرجت من الجامعة".

"ماذا حدث؟"

"بسيط. إنه ممثل. موت فوري. ولم ألتقِ بعدها بأي شخص أردت الزواج منه. في هذا العمل، لا تلتقي الكثير من الرجال الذين يريدون قضاء بقية حياتهم معك". لقد صادقت منتجاً طوال أعوام عدة، لكن العلاقة لم تفضي إلى أي شيء. وبعد ذلك، بقيت فترات طويلة من دون أحد، أو واعدت أشخاصاً من خارج مجال عملها. "أنا صعبة الاختيار، حسب ما أظن. تقول أمي إني أصبحت على شفير الهاوية الآن". نظرت إليه بحزن، لكن كان هناك وميض ماكر. "سوف أكمل الرابعة والثلاثين في الشهر المقبل. أصبحت ناضجة جداً على الزواج حسب ما أظن".

ضحك عالياً على الملاحظة. إنها تبدو في العشرين. "لا أقول هذا تماماً، أو هل ينظرون إلى الأمر بهذه الطريقة هناك؟"

"إذا تجاوزت الخامسة والعشرين، أنت ميت. وفي الثلاثين، تخضع لأول عملية شد وجه. وفي الخامسة والثلاثين، تخضع لعمليتين، وتشدّ عينيك مرة واحدة على الأقل. أو ربما مرتين. وفي الأربعين، ينتهي الأمر. هل تفهم ما أعنيه؟ عليك أن تكون شيئاً آخر في حياتك". بدت وكأنها تقصد الأمر فعلاً فيما أصغى هو لها.

"وإذا لم يكن زوجاً وأولاداً، ماذا إذاً؟"

"شيء يشغل بالك. اعتدت على القيام بالكثير من العمل التطوعي مع أولاد معاقين. لكني في الآونة الأخيرة لم أعد أملك الوقت الكافي".

"سوف أعيرك وقتي".

"ما هي طبيعة العمل؟" بدت مهتمة وكان متأثراً. كان يصعب التصديق أنها ناجحة ومشهورة. فهي حقيقية جداً ومتواضعة، وأعجبه ذلك فيها كثيراً. أحب كل شيء رآه لغاية الآن. وجعله ذلك ينسى تقريباً مظهرها الخارجي. فمظهرها الخارجي بدا فجأة غير مهم مقارنة مع الباقي. كانت جميلة من الداخل، وأحب ذلك أكثر. وفيما فكر في كل ذلك، حاول الإجابة على سؤالها حول أولاده.

"ميل ذكية وتتحمل المسؤولية. وهي ترغب كثيراً في أن تصبح ممثلة. أو على الأقل هذا ما تفكر فيه في الوقت الحاضر. الله يعلم ماذا ترغب في أن تصبح لاحقاً. لكن تريد التخصص في المسرح في الكلية. إنها الآن في الصف الثاني ثانوي. إنها طويلة وشقراء، وفتاة لطيفة. أظن أنك ستحبينها". افترض فجأة أن الاثنتين ستلتقيان، وتساءل ما إذا كان يفترض الكثير من الأمور، لكن شارلوت لم تجفل حين قال ذلك. "أما سام فهو ولد ظريف، وهو في العاشرة وأشبه بكرة نار صغيرة. يبدو أن الجميع يحبه". ثم أخبرها عن بنجامين وساندرا والطفل.

"يبدو ذلك مثل رحلة عسيرة. ولا بد أن الأمر قاسٍ جداً عليه".

"هو كذلك. إنه مصمم على القيام بالشيء الصحيح، حتى لو قتله ذلك. يبدو أنه لا يحب الفتاة، لكنه مجنون في الطفل".

"أنت جد إذاً". نظرت إليه فجأة مع مكر في عينيها. كان لونهما أخضر تماماً مثل عينيه، رغم أن أياً منهما لم يلاحظ ذلك. "لم تخبرني ذلك حين التقينا". ضحك أولي على طريقة قولها لذلك.

"هل يشكل ذلك فرقاً كبيراً؟"

"جداً. إنتظر حتى أخبر أهلي أني خرجت مع جد. سوف يتساءلون فعلاً

عما وصلت إليه". بدا ذلك وكأنها قريبة جداً منهم، وأحب ذلك فيها. وأخبرها أيضاً عن والده ومارغاريت.

"سوف يأتيان في شهر يناير لرؤية الأولاد. إنها أفضل شيء حصل له، رغم أني لم أعتقد ذلك في البداية. فقد كانت صدمة حقيقية أن يتزوجها بعد فترة وجيزة من موت أمي".

"هذا ممتع، مهما تقدمنا في السن. فحين يتعلق الأمر بأهلنا نبقى أولاداً. ألا تظن ذلك؟"

"بلى. كرهتها كثيراً في البداية. لكن لديه الحق في بعض السعادة في سنواته الأخيرة".

"يمكن ان يعمّر طويلاً". قالت مبتسمة.

"آمل أن يفعل ذلك".

"آمل أن ألتقي بهما، قالت بنعومة.

أنهيا العشاء بعد ذلك، ثم تحدثا لبرهة أثناء شرب القهوة، وعادا مجدداً إلى سيارتها. وفي طريقهما، أوقفهما شخصان طلباً لتوقيعها. لكن بدت غير مكترثة لذلك. إنها ودودة ولطيفة، وشاكرة تقريباً. علّق على هذا الموضوع حين عادا إلى سيارتها، ونظرت إليه بعينيها الخضراوين الواسعتين وتعبير جاد.

"لا يمكن أن تنسى أبداً، في هذا العمل، أن أولئك الأشخاص هم الذين يجعلونك ما أنت عليه. فمن دونهم، لست شيئاً. لا أنسى ذلك أبداً". والجمال في ذلك أن الغرور لم يصل إلى رأسها. كانت متواضعة على نحو مذهل، وخجولة تقريباً.

"شكراً على تناولك العشاء معي الليلة".

"لقد قضيت وقتاً رائعاً، أوليفر". وبدت كأنها تقصد ذلك فعلاً.

أوصلته إلى المنزل في بيل آير وحين وصلا إلى هناك، بدا متردداً، غير

واثق ما إذا يجب دعوتها للدخول أم لا، وفعل أخيراً لكنها قالت إنها متعبة فعلاً. ثم تذكرت فجأة أمراً ما.

"ماذا ستفعل في العطل، مع رحيل أولادك؟"

"ليس الكثير. سوف أذهب لمتابعة عملي في المكتب. سيكون هذا أول عيد لي من دونهم".

"أنا أذهب إلى المنزل عادة أيضاً. لكني لا أستطيع فعل ذلك هذه السنة. يجدر بي تصوير إعلان تجاري في الأسبوع المقبل، وأريد دراسة السيناريوهات الجديدة. لدينا كاتب جديد. هل ترغب في القيام بشيء ما يوم الأحد؟" كانت هذه ليلة العيد، وكان يحاول ألا يفكر فيها، لكن عرضها بدا مغرياً جداً لرفضه.

"سوف أحب ذلك. يمكننا تناول العشاء هنا". أنياس ما زالت هنا رغم رحيل الولدين، لكن شارلوت لديها فكرة أفضل.

"ماذا لو حضّرت أنا الديك الرومي؟ الوجبة الحقيقية. هل تحب ذلك؟"

"أعشقه".

"يمكننا الذهاب إلى الصلاة بعد ذلك. وهناك بعض الأصدقاء الذين أزورهم على الدوام يوم العيد. هل تود الانضمام إليّ في ذلك؟"

"شارلوت، أودّ فعل ذلك. لكن هل أنت واثقة من أنه ليس لديك أي شيء آخر للقيام به؟ لا أريد التطفل. سأكون على ما يرام، أنت تعلمين". جيد، وإنما وحيد جداً.

"حسناً، لن أفعل"، قالت مع ابتسامة ناعمة. "سوف أشعر فعلاً بخيبة الأمل إذا لم تأتِ. فالعيد مهم جداً بالنسبة إليّ، وأودّ قضاءه مع أشخاص أهتم فعلاً فيهم.

"إذاً، سأكون هناك. في أية ساعة؟"

"تعال في الخامسة مساء. يمكننا تناول العشاء في السابعة، والذهاب إلى

الصلاة في منتصف الليل". دوّنت له العنوان على ورقة، وخرج من السيارة، وهو يشعر بالذهول، فيما شكرته مجدداً ولوّحت له فيما ابتعدت. وقف لبرهة طويلة وهو يراقب السيارة الحمراء الصغيرة تختفي في الهضبة، وتساءل ما إذا كان حصل ذلك فعلاً. فالأمر كله أشبه بحلم. لكن العيد معها هو أكثر من حلم.

كانت تنتظره في فستان أبيض. وكان المنزل مزيناً بطريقة جميلة. يقع المنزل في هضاب هوليوود، في سبرينغ أوك درايف. ويبدو شكله مثل مزرعة قديمة. ضحكت وقالت إنه يذكرها بنيبراسكا. كانت الأرضيات محفورة على نحو خشن، والسقوف مدعّمة بالأعمدة الخشبية، مع مواقد عملاقة، واحد في كل طرف من الغرفة، وفي الأمام أرائك محشوة على نحو مفرط. كان المطبخ كبيراً بقدر غرفة الجلوس، مع موقد آخر وطاولة حميمة معدّة لشخصين. وفي الأعلى، هناك غرفتان جميلتان للنوم، الأولى تخصها بوضوح لأنها كانت ملونة بالوردي ومكسوة بالأقمشة القطنية المطبعة بالأزهار. أما الغرفة الثانية الملونة بالأصفر المرح فتخص الضيوف، ويمكث فيها أهلها حين يأتون، وإنما ليس لمرات كافية حسب ما قالت. لم يكن هذا المنزل يوازي واحد على عشر من تكلّف منزل ميغان في نيويورك، لكنه أكثر دفئاً منه بعشر مرات، وأحبه.

كان الديك الرومي ينضج بسعادة في الفرن. كما حضّرت هريسة الكستناء، والبطاطا المهروسة، فضلاً عن البازيلا الصغيرة، وهلام التوت، والكثير من الحشوة. وحين جلسا لتناول العشاء، كان الاحتفال دافئاً، الأمر الذي ذكّره بطريقة مريحة في الأعياد التي تشاركها في المنزل مع سارة، وقبل وقت طويل، مع أهله. توقع أن يتناول سندويش الباسترامي في مكتبه، أو التوقف لشراء هبمرغر أثناء عودته إلى المنزل. لم يتوقع ذلك أبداً، أو التواجد مع شارلوت سامبسون. بدا الأمر وكأنها هبطت بين ذراعيه، مثل هدية من السماء. وفيما جلس على المائدة، وضع هدية صغيرة على الطاولة لها. لقد تأثر كثيراً بدعواتها بحيث أراد إحضار شيء جميل لها للعيد. لذا، توقف في

اليوم الفائت في محل كارتييه واشترى لها خاتماً ذهبياً بسيطاً. وقد تأثرت جدا به، وشعرت بالإحراج لأنها لم تحضر له هدية.

"هذه هديتي، أيتها الفتاة السخيفة. عشاء العيد مثل قصة خرافية". بدت مسرورة لأن الأمر عنى له الكثير، وتحادثا وضحكا. وبعد العشاء، استعمل بطاقة اعتماده واتصل بالأولاد في منزل سارة. كان غريباً التحدث إليهم، وعدم التواجد هناك، لكنهم بدوا وكأنهم يستمتعون. فقد سمع الكثير من الضحك والصراخ وجرى تمرير الهاتف من شخص إلى آخر، ولم يشعر حتى بالغرابة حين تحدث مع سارة. تمنى لها الخير، ثم أقفل السماعة. اتصل بوالده أيضاً وبدا والده أكثر سعادة مما كان منذ زمن طويل. وكان مذهلاً أيضاً التفكير في أن سارة غادرتهم قبل عام واحد بالضبط. وقد أخبر كل ذلك لشارلوت. كان يسهل التحدث إليها. لقد أعدّت الفطيرة المحشوة وفطيرة التفاح لتناولهما بعد العشاء، وزينتهما بالقشدة المخفوقة والصلصة الجامدة.

"هل ما زلت تشتاق إليها، أوليفر؟"، سألته فيما جلسا ينظران إلى الخارج بعد أن أنهيا عشاء العيد.

لكنه هزّ رأسه وكان صادقاً معها. "ليس الآن. من الغريب حتى التفكير بأني كنت متزوجاً منها. فهي تبدو الآن مثل غريبة، وأظن أنها كذلك. لكن الأمر كان فظاً في البداية. اعتقدت فعلاً أني لن أنجو منه. لكن توجب عليّ فعل ذلك من أجل الأولاد. أظن أنهم هم الذي منحوني القوة الدافعة". أومأت برأسها لأنها فهمت الأمر. واعتقدت أنه محظوظ لأنه أنجبهم. "أظن أننا لم نرغب أبداً في الأشياء نفسها وحاولت تجاهل ذلك لسنوات. لكنها لم تنسى أبداً ما أرادته".

"من المضحك أحياناً كيف يكون هذا النوع من المثابرة ميزة حقيقية، فيما يكون أحياناً أخرى خطيئة حقيقية، أليس كذلك؟"

"في حالتها، أظن أن الزاوج كان خطأً فادحاً، لكني سعيد لأننا تزوجنا، وإلا لما كنا أنجبنا الأولاد".

"إنهم يعنون كل شيء بالنسبة إليك، أوليفر، أليس كذلك؟"

"إنهم كذلك"، اعترف لها، و"وربما كثيراً. فلم أحقق الكثير لنفسي خلال العام الفائت". باستثناء ميغان، وكان ذلك انحرافاً مؤقتاً، شهراً من الجنون الكامل واللذيذ.

"لقد احتجت ربما إلى الوقت للتفكير، لمعرفة ما تريده الآن".

"أفترض ذلك. لست واثقاً من أني أملك الجواب على هذا بعد، لكني لا احتاج ربما إلى تصوّر ذلك في الوقت الحاضر". ابتسم لها وسكبت له كوباً لذيذاً من القهوة الساخنة. شعر وكأنه سينفجر، وهذا ما تهدف إليه حفلات عشاء العيد. كان سعيداً ومتخماً، ومستمتعاً تماماً برفقة هذه المرأة. شعر وكأنها ولدت من أجله، باستثناء كونها شارلوت سامبسون. "ماذا عنك؟". التفت إليها عندئذ. "هل تعرفين ما الذي تريدينه شارلوت؟"

ابتسمت له ابتسامة عريضة. "هل تعلم، أحب لو تناديني شارلي. فكل أصدقائي المقربين يفعلون ذلك". من المذهل اعتباره واحداً منهم، لكن توجب عليه الاعتراف بأن الفكرة أعجبته. "أفكر دوماً في ذلك في نهاية السنة... إلى أين أذهب.. أين أريد أن أكون في السنة المقبلة، وما الذي أريد فعله. الشيء نفسه، حسب ما أظن، طالما أنه يجدي نفعاً". عرف كلاهما أنها تشير إلى برنامجها، و"بالنسبة إلى الباقي، كل ما يأتي، كل ما هو صحيح. لديّ أحلامي، مثل بقية الأشخاص، لكن العديد منها تحققت لغاية الآن". بدت راضية جداً عن حياتها. فهي لا تسعى إلى أكثر، أو تكافح، أو تتمنى لو أن لديها أكثر من هذا. "أحب أن أتزوج وأرزق بالأولاد يوماً ما، لكن إذا لم يكن هذا من نصيبي، أظن إذاً أنه لن يتحقق أبداً. لا يمكن أن تجعل نفسك مجنوناً في أمور كهذه في أية حال، وهي تحدث لك فقط إذا كانت مقدّرة". كانت فلسفية على نحو غريب، ومسالمة بطريقة مذهلة.

كانت الساعة الواحدة والنصف فجراً حين خرجا وأوصلها ببطء إلى المنزل، وهو يشعر بالسعادة والرضى والدفء. لدرجة كبيرة بحيث أنه لم يفتقد الأولاد.

كان سينزلها حين يعودان إلى المنزل، لكن حين وصلت إلى منزلها، نظرت إليه فجأة بطريقة غريبة.

"أعرف أن هذا قد يبدو غريباً بالنسبة إليك، أوليفر، لكن من الموحش الذهاب وحدك إلى المنزل عشية العيد. هل ترغب في قضاء الليل في غرفة ضيوفي؟" لقد التقيا فقط قبل يومين، وهي تدعوه الآن إلى منزلها، كضيف، وليس مع الشهوة التي أظهرتها ميغان، وإنما بلطف واحترام ومودّة. وشعر فجأة أنه يريد البقاء معها أكثر من أي شيء آخر في العالم. أراد أن يكون معها، لليلة، لأسبوع، لسنة، وربما لمدى الحياة.

"سوف أحب ذلك، شارلي". انحنى فوقها وقبلها، لكنها كانت قبلة خفيفة ورقيقة وطاهرة. دخلا إلى منزلها يداً بيد، وأوصلته إلى الأعلى ورتبت له السرير. كانت الغرفة تشتمل على حمام خاص بها، وكانت تحتفظ بثياب نوم ورداء للأصدقاء الذين يأتون للنوم، فمازحها على ذلك بالقول إنها أم حاضنة. غادرته في النهاية مع ابتسامة دافئة. استلقى في السرير لوقت طويل وهو يفكر فيها ويرغب في الذهاب إليها، لكنه عرف أنه من غير العادل انتهاز لطافتها في الوقت الحاضر، واستلقى هناك مثل ولد يرغب لو يستطيع الخلود إلى السرير مع أمه، ولكن من دون أن يجرؤ تماماً.

وحين استيقظ في اليوم التالي، استطاع شم رائحة الفطائر والنقانق والقهوة الساخنة. نظف أسنانه بفرشاة الأسنان الجديدة التي تركتها له، وحلق ذقنه، ونزل إلى الأسفل في الرداء وهو يشعر بالفضول لما تفعله.

"صباح الخير، أوليفر' قالت له حين دخل عبر باب المطبخ، وابتسم وهو يراقبها تَعمل. وبعد دقيقتين، كان الفطور اللذيذ حاضراً. كانت هناك كل الأشياء التي شم رائحتها، فضلاً عن اللحم المقدد، والبيض، وعصير البرتقال الطازج، والقهوة.

"شارلي، لن تفلحي أبداً في إخراجي من هنا إذا استمريت في إطعامي بهذه الطريقة. إنك تديرين فندقاً".

ابتسمت له بسعادة. "أنا مسرورة لأنه يعجبك سيدي".

ثم ومن دون إنذار، انحنى فوقها وقبّلها. لكن القبلة كانت هذه المرة أكثر توهجاً مما أراد أن تكون في الليلة الفائتة. وحين أبعدته أخيراً عنها، كان الاثنان من دون نفس تقريباً. "يا، يا، أوليفر، إنه صباح جيد فعلاً".

"إنه للتماشي مع نوعية الفطور". قضم لقمتين من البيض، ثم تمدد إليها مجدداً وهو يشعر فجأة أنه عاجز عن البقاء بعيداً عنها. فقد كانت حقيقية جداً لدرجة لا تصدق، وخشي في أن تختفي أمام عينيه إذا لم يمسكها.

"كن ولداً مهذباً، أوليفر"، قالت مع ابتسامة. "تناول فطورك".

"لست واثقاً ما الذي أريده أكثر. ابتسم فجأة مثل الولد الصغير الموجود في محل ألعاب. "هذا الفطور أم أنت". نظر إليها مجدداً مع ابتسامة عريضة. "في الوقت الحاضر، أنت الفائزة".

"تصرف جيداً وإلا لن يجلب لك بابا نويل أي شيء. تناول الأكل".

"حاضر سيدتي". في الواقع، ما زال يعتقد أن بابا نويل وضعها له في جعبته، لكن مدير الاستوديو كان محقاً. فمن دون ماكياج، ومع شعرها المشدود إلى الخلف، ووجهها النضر والنظيف، بدت فاتنة جداً في الصباح.

وبعد أن أنهيا الفطور، اختفت ثم عادت مع علبة مخملية زرقاء صغيرة ووضعتها بالقرب منه. لقد تذكرت ذلك في الليلة الفائتة، وهي تراقبه الآن وهو يفتحها بسرور. كانت ساعة جيب قديمة جميلة، مع ميناء ناعمة وأنيقة وأرقام رومانية، وحدق فيها بذهول.

"كانت هذه لجدي، أولي،... هل تحبها؟"

"أعشقها. لكنك لا تستطيعين إعطائي شيئاً مثل هذا!" فبالكاد كان يعرفها. ماذا لو كان شخصاً رديئاً أو نذلاً، أو لم تشاهده قط مجدداً. لا يبدو ذلك صحيحاً، لكن فيما حاول إعادة الهدية إليها، رفضت أخذها.

"أريدك أن تأخذها. انت رجل مميز جداً، وبالنسبة إليّ، كان هذا عيد

مميز جداً. قلت لك، أذهب لزيارة أهلي كل عام لكني لم أستطع هذه السنه ومع كل الأشخاص الذين أعرفهم، لم يكن أي شخص أردت قضاء العيد معه هنا سوى أنت... هذا يعني الكثير... ولذلك هذه لك... احتفظ بها... وتذكر هذا العيد".

أحس بالدموع في عينيه ونظر إليها ليشكرها، وبدل ذلك شدّها بقربه وقبّلها على نحو أكثر رقة هذه المرة. كان طعمها مثل عصير البرتقال والفطائر والنقانق، وتفوح منها رائحة الخزامى والبنفسج، وأراد الاحتفاظ بها إلى الأبد.

'أنا مجنون بك شارلي"، همس لها. 'هل تجدين أن هذا منطقي بعد ثلاثة أيام؟... أعذريني أربعة أيام الآن". التقيا يوم الخميس، واليوم هو الاثنين.

"لا'، همست له في المقابل، "وهذا يخيفني حتى الموت... لكن هذا ما أشعر به أنا أيضاً، وأحبه".

"ماذا سنفعل، نتصرف مثل ولدين مجنونين؟ لقد التقيتك للتو وها أنا أغرم بك. انت نجمة تلفزيونية مشهورة، فما الذي تفعلينه بي؟ ما كل هذا؟"

"لا أعرف". بدت حالمة وحزينة تقريباً. "لكن الظهور في التلفزيون لا علاقة له أبداً بالموضوع. أعرف ذلك تماماً. أظن فقط أننا شخصان التقيا في الوقت المناسب. نحن فقط محظوظان".

"ما هذا إذاً؟" أو هل كان أكثر من ذلك؟ هل هو المصير؟ أم القدر؟ هل هو الشهوة أم الوحدة؟ وأياً يكن، فإنه رائع ويستطيعان على الأقل التحدث عنه مثل سرهما الخاص الصغير.

"هل تريدين أن تأتي معي إلى المنزل بحيث أتمكن من تغيير ملابسي؟"، سألها مبتسماً.

أومأت بسعادة. كان هذا يوم العيد، وسوف تأخذه بعد ذلك إلى أصدقائها، وسوف تعد له العشاء مجدداً بعد ذلك. أرادت ألا ينتهي ذلك، ألا يتغير أبداً، ألا يتوقف، وكذلك فعل أولي. أراد فقط أن يكون معها، وانتظرها فيما ارتدت

..بها وأوصلها إلى منزله في بيل آير. كانت أنياس في إجازة خلال عطلة ..ية الأسبوع، وأطلعها على المكان، وأراها غرف نوم الأولاد، وعشرات ..لاف الصور التي جلبوها معهم من نيويورك. ثم جلسا مثل ولدين، طوال ..اعات، ينظران إلى الصور فيما يشرح لها أين هذا ومن ومتى.

"إنها رائعة، أوليفر".

"وأنت أيضاً"، همس لها وقبلها مجدداً. لم يكن واثقاً من مدى قدرته على ..بت نفسه. أرادها بشدة، وكانت هي رائعة، تجلس بالقرب منه، على الأريكة. هل تريدين الجلوس قرب حوض السباحة لبرهة؟" كان هذا يوماً جميلاً، مشمساً ودافئاً، ولن يثب عليها ربما إذا اصطحبها إلى الخارج. أراد أن يكبح نفسه، أن ينتظر، إلى أن يصبحا واثقين كلاهما من أن هذا صحيح. استلقيا جنباً إلى جنب في الشمس، وراحا يتحدثان مجدداً لوقت طويل. بدا أن لديهما الكثير لقوله، الكثير لتعلمه، الكثير لشرحه وفهمه بشأن بعضهما.

بعد ظهر ذلك اليوم، اتصل ببنجامين وأصغت إليه شارلي بابتسامة رقيقة وهو يتحدث إلى ابنه. كان الطفل على ما يرام، فيما ساندرا خارجاً. كان المنزل رائعاً. وهم يأملان في رؤيته قريباً، ولا، لا يوجد خطب في أي شيء. ابستم مجدداً فيما أقفل السماعة.

أنت مجنون بهذا الولد، أليس كذلك؟"

"نعم"، ابتسم بمكر. "أتمنى فقط لو أنه يستطيع الخروج من هذه الفوضى ويأتي إلى هنا بحيث أستطيع مراقبته. وأجعله يعود إلى المدرسة. إنه يبدد حياته مع تلك الفتاة، وهذه جريمة في سنّه".

"امنحه فرصة. سوف يجد الحل لنفسه في الوقت المناسب. جميعنا يفعل ذلك في النهاية". ثم، وبعد التفكير، "لا تفترض أنهما سيتزوجان، أليس كذلك؟"

"لا". تنهد ووضع ذراعاً حولها وذهبا لزيارة أصدقائها. كانا مديرين، كلاهما، وأنجزا بعض الأشياء الممتعة ولديهما بعض الأصدقاء اللطيفين. كان هناك بعض الأشخاص المشهورين جداً، وإنما الكثير من الأشخاص المجهولين

أيضاً، وكان الجميع بسيطاً وصريحاً، ولم يتفاجأ أحد على ما يبدو لرؤية شارلوت مع أوليفر. جعلوه يشعر أنه في المنزل، وأمضى وقتاً جيداً جداً. بقيا لوقت أكثر من المفترض، وفي التاسعة مساء عادا إلى بيل آير وقررا السباحة في حوضه. لم يكن هناك أي شيء لتناوله، لكنهما ما زالا يشعران كلاهما بالتخمة من الفطور والغداء، وكل الحلوى التي تناولاها في منزل الأصدقاء.

أعطاها أحد أثواب السباحة الخاصة بميل وذهب ليغير ملابسه. وحين عاد، كانت قد أصبحت في الحوض، تسبح برشاقة إلى أن توقفت عنده.

"أنت جيدة جداً. هل هناك شيء لا تستطيعين القيام به؟"

"نعم. الكثير". كانت تبتسم له. "أسبح كثيراً من أجل التمارين، فهذا يحافظ على لياقتي". ولا شك في أنه يفعل ذلك. فالجسم الذي شاهده حين صعدت لتغوص عن لوحة الغوص أصابه بالذهول. كانت مقاييسها مثالية، وأطرافها رائعة الشكل. كانت فتاة جميلة جداً، رطبة أو جافة، في الصباح أو المساء، في أي وقت من اليوم، في أي وقت، وأي مكان، وأرادها الآن، هنا، في حوضه، وعرف أنه لا يستطيع فعل ذلك بها. فقد التقيا للتو، وهي فتاة من الطراز القديم نوعاً ما. غاصت بالقرب منه ثم صعدت لتنشق الهواء حيث كان يسبح.

"تريد التسابق؟" كانت تتلاعب به وابتسم لها. لقد كان قائد فريق السباحة قبل مئة سنة، ولا تستطيع التغلب عليه. أنزل يديها إلى الأسفل، ثم أخذها إلى حافة حوض السباحة وقبّلها. "أنت لست سيئاً".

"إلى أية مهارة تشيرين يا عزيزتي؟" أراد تعذيبها.

"إلى الاثنتين طبعاً". ثم غاصت خلفه وسبحت تحت الماء إلى الجهة الأخرى من الحوض مثل سمكة صغيرة. لكنه فجأة، لم يعد باستطاعته تحمل المزيد، وسبح خلفها وطوّق خصرها بيديه ثم صعدا معاً لتنشق الهواء، وأمسكها بالقرب منه فيما وضعت هي ذراعيها حوله وقبّلته مجدداً.

"لست واثقاً من أني أستطيع التصرف هكذا، إذا أردت معرفة الحقيقة". أراد أن يكون صادقاً معها منذ البداية.

"لست واثقة من أني أريدك أن تفعل ذلك، أولي". ثم قبّلته بقوة وغمرته الرغبة، فيما نزع عنها ثوب السباحة ببطء ومرر يديه حول لحمها الطري. كانا يتنفسان فجأة كشخص واحد ويتحركان كشخص واحد، فيما أنزلت هي ثوب سباحته أيضاً وضمّته بيديها.

"أوه صغيرتي..." أوه فيما شعر بلمستها، "شارلوت... أنا أحبك..." كان محرجاً لقول الكلمات، لكنه قالها. أحب طريقة تفكيرها وطريقة ملمسها، ولمسة يديها. تغلغلت أصابعه برفق في داخلها ثم سبحا ببطء إلى الدرج، وهما يشعران برغبة قوية، وجعلها تستلقي ببطء، فيما قبلته، ودخلها فيما قوّست هي ظهرها. ثم تحركت معه فيما المياه الدافئة تحيط بهما، واستمر الأمر إلى ما لا نهاية، على نحو رقيق وجميل، كما لو أنهما شخصان جمعهما الوقت والمساحة وبقيا معلقين هناك بقدر ما استطاعا، إلى أن فقد السيطرة أخيراً على نفسه وارتعش فيما تشبثت هي به وانفجرت في اللحظة نفسها. فتحت عينيها ونظرت إليه، وقبّلته مجدداً، وقالت كل شيء أراد سماعه منذ اللحظة التي التقيا فيها. ورغم أن هذا بدا مجنوناً، عرف أنه حقيقي لكليهما.

"أولي"، همست له في هواء الليل الناعم، "أحبك". أخذها حينها برفق من حوض السباحة، ولفها في المناشف، واصطحبها إلى غرفته. وفيما استلقيا في السرير، كانا يهمسان الكلمات طوال الليل، ويضحكان مثل ولدين، ويتشاركان الأسرار والأحلام. وحين مارس الحب معها مجدداً، كان واضحاً لهما أن ما يفعلانه صحيح. فللمرة الأولى في حياتهما، كان كلاهما حيث أرادا أن يكونا، مع الشخص الصحيح في الوقت الصحيح وبالطريقة الصحيحة تماماً.

"إنه كله مثل حلم، أليس كذلك؟" همست له فيما خلدا إلى النوم مثل ولدين سعيدين.

همس لها وطوق ذراعه حول خصرها وقبّل عنقها. كان هذا العيد الوحيد الذي عرفا بعضهما، والعيد الوحيد الذي أراداه ربما. وإذا كان حلماً، أمل ألا يستيقظ منه.

الفصل الثاني والعشرون

عاد الولدان إلى المنزل بعد قضاء أسبوعين في بوسطن، وذهب أوليفر لاستقبالهما، وهو يشعر بالسعادة والاسترخاء وحنان حبه لشارلوت. لقد اشتاق إليهما كثيراً مثلما يفعل دوماً حين يكونان بعيدين، لكنه عاش هذه المرة حياته الخاصة أثناء غيابهما، ومرّت الأيام بسرعة مثل السحر. شعر أيضاً بالعصبية حيال عودتهما، وهو يخشى أن يلمسا التغير الحاصل فيه ويأمل أيضاً في أن يحباها. فقد عاش ذات مرة تجربة انتهاء علاقة عاطفية لأن سيدة حبه وولديه لم يتفقا. وما زال يجفل حين يتذكر كيف عرّفهما على ميغان. لكن ما يشاركه الآن مع شارلوت مختلف تماماً. فهي رقيقة، ودافئة، ولطيفة وحلوة المعشر. وهي تهتم في كيفية شعوره حيال الأشياء، وكانت، على عكس ميغان، متشوقة للقاء أولاده وعقد صداقات معهم.

وثب سام بين ذراعيه لحظة خروجه من الطائرة، واقتربت منه ميل مع ابتسامة عريضة واسمرار محترفي التزلج على الثلج. فقد أخذتهما سارة إلى نيو هامبشاير للتزلج لبضعة أيام خلال عطلة نهاية أسبوع رأس السنة.

"واو، تبدوان رائعين". لقد قضيا وقتاً جيداً، وذكرت ميل بهدوء في السيارة أثناء عودتهم إلى المنزل أن أمهم تتعافى ببطء من صدمة جان بيار. فسارة تعمل جاهدة على روايتها، وقررت إهداءها إلى جان بيار. لم يسألهما ما إذا كان هناك شخص آخر في حياتها. فهو لا يريد فعلاً أن يعرف، وشعر أن المسألة باتت من شأن سارة الآن، وليس شأنه.

"حسناً، أبي"، تودد إليه سام في السيارة، "هل اشتقت لنا؟"

"هل تمزح أيها البطل؟ لقد كان المنزل مثل القبر من دونكما". ولكن ليس دوماً، ابتسم لنفسه، فقد كان هناك شارلوت...

"هناك وحدة قاتلة من دونكما". ابتسم لميل فوق رأس سام، ولاحظ كم أصبحت شبيهة بالمرأة. فخلال الأشهر القليلة الماضية، كشفت عن رباطة جأش جديدة، وبعد أسبوعين من الابتعاد عنها، لاحظ بعض التغيرات الجديدة فيها أيضاً.

"كيف حال آندي؟" سأل سام عن الكلب.

"فوضوي أكثر من قبل"، ابتسم والده. "فقد داس على الأريكة البيضاء أحد الأيام بعدما كان في حوض السباحة. طاردته آجي بالمكنسة، ولست واثقاً من فاز في النهاية. وراح بعد ذلك يمضغ الستائر'. ضحكوا جميعاً، وهم يفكرون في الأمر، وحاول أوليفر أن يبدو عادياً فيما لفظ كلماته التالية بعناية. "هناك صديقة ستأتي إلى العشاء الليلة، مجرد امرأة أعرفها"، حاول أن يبدو عادياً لكنه تساءل ما إذا كان يضحك على أحد غير نفسه لأن ولديه ذكيان جداً. "ظننت أنكما ترغبان في لقائها".

"شخص مميز، أبي؟" كشفت ميل عن ابتسامة فضولية ورفعت أحد حاجبيها. وكان هذا تغييراً أيضاً. فقبل ستة أشهر، كانت مستعدة لأن تكره أية امرأة تكشف عن اهتمام في والدها. لكن الأمور أصبحت مختلفة فجأة. فهي تنمو وأصبحت تقريباً في السابعة عشرة من عمرها. وكان هناك شاب تهتم فيه كثيراً، في المدرسة، وأصبحت مستعدة للفهم أخيراً بعد الصيف الذي قضته مع أمها وجان بيار، أن أهلها لن يعودا أبداً إلى بعضهما. كان الأمر أكثر صعوبة على التقبّل بالنسبة إلى سام، لكنه كان أيضاً أكثر براءة وبدا أنه لم يلاحظ الخداع في صوت والده، لكن ميل لاحظت.

"مجرد صديقة".

أصرّت ميل فيما كانا متوجهين إلى المنزل."من هي؟"

"اسمها شارلي... أو بالأحرى شارلوت... إنها من نيبراسكا". لم يستطع التفكير في شيء آخر لقوله، ولم يشأ أن يبدو متفاخراً بإخبارها أنها كانت ممثلة في برنامج تلفزيوني ناجح. سوف يكتشفان الأمر بنفسهما في أية حال.

تماماً مثلما فعلت آجي. فقد سقط فكها نتيجة الذهول حين شاهدتها للمرة الأولى. لكنهما أصبحتا صديقتين بسرعة، وبناء على طلب آجي، أحضرت شارلي معها بعض الصور الموقعة لترسلها إلى الأصدقاء والقليل من تذكارات البرنامج. ومع عودة الولدين إلى المنزل، كانت شارلوت قد حظيت على رضى آجي التام.

وصلوا جميعاً إلى مدخل المنزل. كانت آجي تنتظر حتى تعانقهما معاً، مع سكاكر لذيذة في انتظارهما. أما آندي فأصيب بالجنون حين رآهما. لن يكون العشاء حاضراً قبل ساعتين، وأصرّ سام على أنه يريد السباحة. فلم يعد باستطاعته الانتظار حتى يعود إلى المنزل في كاليفورنيا وحوض السباحة، بعد قضاء أسبوعين في الشرق المجلد. قال إنه لم يشعر بهذا القدر من البرد في حياته كما حين كاز في بوسطن.

وقبل أن تباشر ميل في إفراغ حقائبها، توجهت مباشرة إلى الهاتف للاتصال بأصدقائها ومعرفة من فعل ماذا مع من وما فوتته خلال العطل أثناء رحيلها. كان واضحاً أنهما يشعران بالسعادة لعودتهما، وسرّ أوليفر لذلك. لكنه شعر بالأسى لأن أياً منهما لم تسنح له الفرصة لرؤية بنجامين هذه المرة. فهو يعمل في وظيفتين بدوام كامل، وكان هو وساندرا مشغولين في الطفل. بدا كأن شيئاً لم يتغير حين سأل ميل في السيارة، وقالت إنها تعتقد أنه يشعر بالاكتئاب ربما، أو أنه متعب فقط ربما. فقد خرجت ساندرا من المنزل بعد منتصف الليل، وكان بنجامين يرعى الطفل في المرتين اللتين اتصلت به.

وفي السابعة تماماً، فيما كان أوليفر ينتظر بعصبية في غرفة الجلوس، وهو يصغي إلى الأصوات المألوفة للولدين في الأعلى، شاهد سيارة المرسيدس الحمراء الصغيرة وهي تصل إلى المدخل. وثب قلبه في صدره وأراد أن يهرع إلى شارلي ويقبلها. لكنه كبح نفسه، وراقبها وهي تخرج من السيارة، ثم توجه إلى الباب الرئيسي لاستقبالها متسائلاً ما إذا كان الولدان يراقبانه.

"مرحبا صغيرتي"، همس لها فيما قبلها بسرعة في عنقها ومن ثم على

وجنتها. "اشتقت إليك". شعر وكأن أياماً مضت على لقائهما، لكنهما في الحقيقة كانا معاً هذا الصباح.

"اشتقت إليك أنا أيضاً"، همست مثل المتآمر. "كيف حالهما؟"

"مذهلين. لقد قضيا وقتاً رائعاً، لكن يبدو أنهما سعيدان بالعودة. أخبرتهما عنك في السيارة، وكل شيء جيد لغاية الآن". كان هذا أسوأ من تعريف فتاة على حماتها المقبلة، لكنه يعرف كم يمكن أن يكون الأولاد صارمين، ولا سيما ولديه. وكانت شارلوت تشعر أيضاً بالعصبية بشأن لقائهما، فيما كان على وشك تعريفها إليهما. كانا مثل ولدين غريبين حين رافقها إلى غرفة الجلوس وجلسا في طرفين متقابلين من الغرفة في كرسيين محشوين بإفراط، لكنهما لا يستطيعان خداع أحد. فالنظرة التي يتبادلانها تكشف عن عشق حقيقي. لقد وجدا شيئاً نادراً خلال الأسبوعين الماضيين، وهما يعرفان ذلك تماماً. وعرفت شارلوت أنه أمر يجب مشاركته.

نهض بعد ذلك من الكرسي وتوجه إلى الأعلى لمناداتهما، فيما جالت هي في الغرفة، تلمس الأشياء، تحدق في الفضاء وتحدق في الصور من دون أي هدف. ماذا لو كرهاها، أو كانت ابنته فاسقة وحبيبه سام وحشاً صغيراً. وقبل أن تتمكن من الالتفات والهروب، وصل الكلب فجأة إلى الغرفة، يتبعه سام ثم ميل وأوليفر مباشرة خلفهما. كان هذا هجوماً فورياً وبدت الغرفة فجأة مليئة بالضجة والحديث والضحك، ثم صمتوا جميعاً حين شاهدوها.

أسرع أوليفر إلى تعريفهما. صافحت ميل يدها، وهي تقوم بجردة واضحة وبدت أنها وافقت على ما رأته. في الواقع، كانت متأثرة. أما سام فكان يحدق فيها بعينين صغيرتين، كما لو أنه يحاول تذكر شيء ما، ولكن لا يدري ماذا. ولا شك في أنها كانت أنيقة. فقد ارتدت تنورة كحلية رصينة لهما، وجوارب سميكة باللون الأزرق الداكن، وحذاء خفيض أنيق، وكنزة بيضاء، وسترة. كانت تضع ماكياجاً أقل مما فعلت ميل، رغم أنه ليس كثيراً، وكان شعرها مشدوداً إلى الخلف في شكل ذيل طويل ولامع. أما شعرها فكان تماماً

بلون شعر بنجامين، وهذا أول أمر لاحظته ميل.

"يسعدني لقاؤكما"، قالت مبتسمة. "لقد سمعت الكثير عنكما من والدكما".

"حقاً؟ مثل ماذا؟" ابتسم لها سام بسعادة. كانت ظريفة وقرر أنها قد تعجبه. 'هل أخبرك عن تجربتي العلمية؟' كان فخوراً جداً بهذا، وتأوهت ميل على الفكرة.

"لا، أرجوك...." فقد خمّنت تماماً ما سيأتي.

"هل ترغبين في مشاهدته؟' ابتسم ابتسامة عريضة، وبدأت شارلوت تومئ برأسها لكن ميل مدت يدها لمنعها.

"اسمعي نصيحتي، ولا تفعلي ذلك. فهو يربي مزرعة ديدان. هذا مقرف حقاً". لقد أجبرته هي وآجي على الاحتفاظ بها في الكاراج، وكان يتشوق ليريها إلى صديقة والده، حباً بالظهور وكذلك لاختبارها.

"فعلت ذلك مرة". ابتسمت للصبي. "لكن أمي رمته خارجاً. كان لديّ أفاعي وفئران بيضاء... وخنزير هندي. هل اقتنيت يوماً خنزيراً هندياً، سام؟" هز رأسه وهو متأثر جداً بها. لا شك في أنها امرأة جيدة. "إنها مذهلة. كان لخنزيري شعر طويل. وبدا كأنه مهجن من كلب وأرنب".

"حقاً، يبدو هذا رائعاً، ثم التفت إلى أوليفر بعينين كبيرتين، "أبي، هل أستطيع اقتناء واحد؟"

"يجدر بك سؤال آجي أولاً. فعليها ربما تنظيفه".

دعتهم آجي إلى العشاء عندئذ وجلسوا في غرفة الطعام على المائدة الرسمية. وضعت شارلوت فوطتها البيضاء المنشاة في حضنها، وشعرت أن عينيّ ميل تراقبان كل شيء، بدءاً من شعرها اللامع وصولاً إلى أظافرها المطلية على نحو مثالي.

تناولوا الهامبرغر والبطاطا المقلية، وهي الوجبة المفضلة عند سام، مع سلطة خضراء كبيرة ومافن من صنع المنزل. تذكر أوليفر فجأة الوجبات البسيطة

التي كان يعدّها خلال الأسبوعين الماضيين في مطبخ شارلوت. وعرف فجأة كم هو مشتاق إلى وقته وحده معها، لكنه كان قد وعد نفسه قبلاً بأن يمضي معها وقتاً بقدر ما يستطيع، حتى بعد عودة الولدين. ففي النهاية، لديه الحق في ذلك وعليهما الاعتياد على الأمر. ثم فجأة، وفي منتصف العشاء، صرخ سام بقوة وحدق فيها. فتح فمه وكبرت عيناه، ثم هزّ رأسه... لا يمكن.... إنها هي... أو هل هذا...

"هل أنت... هل كنت...." لم يعرف حتى كيف يبدأ في طرح السؤال، وابتسمت شارلوت له برفق. تساءلت ما إذا كانا سيعرفان الأمر، لكنها تصورت أن ميل ستتعرف إليها أولاً، لكنها لم تفعل ذلك.

"أظن أني كذلك"، قالت بتواضع مع ابتسامة ماكرة، "إذا كنت تسأل ما أعتقده، سام'.

"أنت في التلفزيون! واو!... هذه أنت، أليس كذلك؟ أقصد.."

'نعم، نعم... هذا صحيح". نظرت باعتذار إلى الولدين، وشعرت بالقليل من الإحراج.

"لماذا لم تخبرينا؟" شعر سام بالإهانة تقريباً، وبدت ميل مرتبكة. عرفت أن شارلوت تبدو مألوفة، لكنها ما زالت تجهل لماذا وخجلت من طرح السؤال. كان يجدر بها أن تعرف ولم تفعل ذلك. وشعرت حقاً بالحماقة.

"لم يكن ذلك مهماً، سام". وكان الجمال في ذلك أنها تقصده فعلاً.

"قلت إنه كان لديك خنزير هندي! لماذا لم تقولي إنه لديك برنامج تلفزيوني؟"

ضحكوا جميعاً على فكرته وهزت شارلوت رأسها وابتسمت. "ليس الأمران متشابهين، أنت تعرف".

ثم عرفت ميل فجأة من تكون، وأصبحت عيناها جاحظتين. "أوه يا إلهي! أنت شارلوت سامبسون!'

"أنا كذلك". قالت بهدوء فيما مررت آجي سلة أخرى من المافن اللذيذ

وألقت عليها نظرة سريعة بفخر. فقد أصبحت هي وشارلي مثل صديقين قديمين ووجهت إليها شارلوت نظرة شاكرة وهمست لها "شكراً آجي' فيما تناولت قطعة مافن أخرى من السلة.

"لماذا لم تخبرينا؟" رددت كلمات شقيقها ونظرت إليها شارلوت بجدية.

"هل كان سيجعلكما ذلك تحبانني أكثر؟ لا يفترض ذلك، أنت تعلمين. فهذا النوع من الأمور جميل، لكنه ليس مهماً فعلاً".

"أعرف، لكن..." انتظروا حتى تخبر أصدقاءها في المدرسة أنها تناولت العشاء مع شارلوت سامبسون! هناك الكثير من الأولاد الذين يعرفون ممثلين مشهورين هنا، لا بل إن بعضهم قريب منهم، لكنها لم تكن تعرف أحداً مشهوراً قبلاً، وفيما نظرت إلى شارلوت بعناية أكبر هذه المرة، رأت أنها مذهلة. تماماً مثلما يفعل والدها. فقد أحب طريقة تعاطيها مع ولديه، والأشياء التي قالتها، وطريقة مظهرها، والقيم التي تجعلها ما هي عليه، وليس فقط ممثلة مشهورة. "واو، من المثير فعلاً اللقاء بك"، قالت ميل بصراحة وضحكت شارلوت. كانت هذه مجاملة مهمة بالنسبة إليها، خصوصاً وأنها صادرة عن ابنة أولي.

"شكراً لك، ميل. من الممتع اللقاء بك أيضاً. كنت عصبية جداً قبل أن آتي إلى هنا الليلة، ولا شك في أني غيرت ثيابي عشر مرات!" تأثر أولي وبدت ميل مذهولة.

"أنت؟ عصبية من لقائنا! هذا مذهل! ماذا يعني أن تكون نجمة تلفزيونية؟". وبعد ذلك، وجها لها مئة سؤال، عن الأشخاص الذين تعرفهم، والذين رأتهم، والذين عملت معهم، وماذا يعني الظهور على الشاشة، وتعلم السطور، وهل تشعر بالخوف، وهل تحب فعلاً ذلك؟

"هاي أيها الولدان، إسترخيا"، تدخل أولي أخيراً. "إمنحا شارلي فرصة حتى تتناول عشاءها على الأقل". فهما لم يوفرا لها فرصة استنشاق الهواء منذ أن عرفا من تكون. وفجأة طرحت ميل سؤالاً واحداً في صمت.

"كيف التقيت بأبي؟" كانت فضولية، وليست انتقادية، وابتسمت شارلي برفق للسؤال.

"مجرد حظ، حسب ما أعتقد. قبل بضعة أسابيع في حفلة الشبكة لمناسبة العيد".

ثم قرر أوليفر إخبارهما الحقيقة، أو على الأقل جزءاً منها. تصوّر أنهما مستعدان لذلك. "كانت شارلي لطيفة كفاية لدعوتي لتناول العشاء معها ليلة العيد". لكن لم يخبرهما أنه أمضى الليلة معها، أو مارس الحب معها في حوض السباحة، أو وقع في غرامها منذ لحظة لقائه بها. لكن ميل استطاعت رؤية ذلك، وحتى سام شك في أن العلاقة جدية. فقد كانا ينظران إلى بعضهما بطريقة غريبة، أكثر مما فعلت أمهما وجان بيار. لكن لا بأس في ذلك لأن شارلوت سامبسون مذهلة برأيه.

وما إن انتهوا من تناول الحلوى، دعاها مرة جديدة إلى الكاراج لتشاهد مزرعة الديدان التي يربيها. وأصيبت ميل بالذعر حين ذهبت وعادت لتعلن أن هذه المزرعة أفضل كثيراً من تلك التي كانت لديها. وقال سام بفخر إنه ربح الجائزة العلمية لذلك، فيما قالت له أخته مجدداً إن هذا مقزز للنفس.

وفي التاسعة مساء، ذهب سام إلى السرير، وبقيت ميل في الأسفل لتحدثها عن السيناريوهات والوكلاء والتمثيل. اعترفت لها شارلوت أنها أرادت دوماً المشاركة في مسرحية في برودواي، وأخيراً، نظرت إلى ساعتها بندم وأخبرتها أن لديها موعداً في الاستوديو في الرابعة صباحاً من اليوم التالي لتصوير مشهد صعب لا يزال عليها مراجعته حين تعود إلى المنزل. "هناك الكثير من العمل، ميل، إذا كنت جادة بشأن احتراف التمثيل كمهنة. لكن عليّ الاعتراف بأني أحبه".

"هل أستطيع أن أذهب وأراك قيد التصوير في وقت ما؟". تجرأت ميل على السؤال، وهي مذهولة من شجاعتها، لكن شارلي جعلتهم جميعاً يشعرون بالارتياح بحيث بدا وكأنها تسأل صديقة قديمة، وأومأت برأسها بسرعة.

"طبعاً. إذا كان والدك لا يمانع. فقد شاهدني وأنا أصوّر إعلاناً تجارياً قبل أسبوعين، وكان ذلك ممتعاً". ابتسمت له بخجل، ولمس اليد التي لا تستطيع ميل رؤيتها من حيث تقف. وكانت مشغولة جداً بحيث لم تلاحظ الكهرباء بينهما.

"واو، أبي، كيف كان ذلك؟"

"ممتع. مرهق". نظر في عينيّ شارلي بطريقة ودودة. "كم مرة أعادوا التصوير؟"

"اثنتين وثلاثين مرة حسب ما أظن. أو ربما أكثر. لقد نسيت".

"استمر الممثّل الثاني في نسيان دوره، وتوجب عليهم التصوير مجدداً ومجدداً"، شرح لميل. "لكن ذلك كان ممتعاً في أية حال. من المذهل عدد الأشخاص العاملين فيه".

"يجدر بك أن ترى ماذا يحصل أثناء تصوير البرنامج في هذا المجال...." توجهت ببطء إلى الباب ولوّحت إلى ميل التي سارعت إلى الأعلى للاتصال بأصدقائها وإخبارهم بمن التقت. أوصلها أوليفر خارجاً إلى سيارتها، مع نظرة من الإعجاب المتزايد شيئاً فشيئاً.

"أنت حقاً مذهلة، هل تعرفين ذلك؟ مزارع ديدان، صبر مع الفتيات المراهقات، هل هناك شيء آخر يجدر بي معرفته؟"

"نعم". نظرت إليه بسعادة. لقد كانت أمسية رائعة وتبددت كل مخاوفها. أملت في أن يحباها. "أحبك كثيراً، أوليفر واتسون".

"أنا أحبك أيضاً شارلي"، همس لها وقبلها. ومن نافذة غرفة نومه، حدق سام مذهولاً فيما كان يراقبهما، والتفت إلى آجي التي كانت ترتب سريره.

"واو، آجي! لقد قبّل والدي للتو شارلوت سامبسون!" كان هذا فعلاً شيئاً مختلفاً، لكن أنياس اكتفت بتوبيخه.

"اهتم بشؤونك، أيها الشاب الصغير، واذهب لتنظيف أسنانك!"

"هل تظنين أنها تحبه فعلاً؟"

"أشك انها تفعل ذلك. فوالدك رجل رفيع، وأي امرأة لا تفعل ذلك؟"

"لكنها نجمة سينما آجي... أو تلفزيون... أو... أنت تعلمين...."

"وما الفرق في ذلك؟" وفيما ذهب لتنظيف أسنانه، ولا يزال يهز رأسه بشان الموضوع، ظنت آجي أن كلاهما محظوظ. وبعد ما شاهدته الليلة، يمكن القول إن الولدين محظوظان أيضاً.

الفصل الثالث والعشرون

في عطلة نهاية الأسبوع، ذهبت شارلوت إلى منزلهم بسيارتها، وقرعت جرس الباب. وحين أجاب سام، الذي بدا مسروراً لرؤيتها مجدداً، سلّمته قفصاً غريب الشكل مغطى ببطانية زرقاء شاحبة. وكانت تصدر منه أصوات غريبة، مع رائحة كريهة لم يكترث لها. وحين رفع البطانية، أصدر صيحة سرور. إنه خنزير هندي طويل الشعر. ولقد كانت محقة لأنه يبدو مثل هجين بين كلب صغير وأرنب.

"واو! واو!... أنظر إلى هذا أبي!" نادى والده الذي كان ينزل السلم، بعد أن حلق ذقنه واستحم للتو. "هل أستطيع الاحتفاظ به؟" نظر إليه وإلى شارلوت. ووجهت شارلوت نظرة توسل إلى السيد واتسون الكبير.

"أظن أنك تستطيع". ابتسم لها بحب. فكل ما تفعله يجعلهم سعداء.

"هل أستطيع الاحتفاظ به في غرفتي؟"

"إذا كنت تستطيع تحمل الرائحة، يمكنك فعل ذلك". ضحك الكبيران وأخذ سام القفص من يدها وأسرع إلى السلم قبل أن يغير أي منهما رأيه.

ذهبوا إلى ماليبو بعد ظهر ذلك اليوم للعب على الشاطئ، ومشاهدة فيلم أرادت ميل حضوره تلك الليلة، وهو عبارة عن فيلم رعب للمراهقين قالت شارلي إنه يذكرها قليلاً بأيام عملها الأولى، ثم ذهبوا إلى الهارد روك كافيه وبدت حتى إنها لم تكترث للضجة. وفي الأسبوع التالي، ذهبوا إلى ديزني لاند. كانت الحياة بمثابة عطلة دائمة معها. فهي تفكر في أشياء مذهلة للقيام بها، وفي أحداث مثيرة لرؤيتها، ودعتهم إلى منزلها وحضرت لهم العشاء، رغم أن سام اعترف على مضض بأن أنياس طاهية أفضل، لكنه أحب شارلي أكثر من كل النواحي الأخرى. لا بل إنه جرت تسمية الخنزير الهندي تيمناً

بها، إذ كان اسمه تشارلز وشارلي للدلال. وكانت ميل قد أخبرت جميع الذين التقتهم أن والدها يخرج مع شارلوت سامبسون.

لم يعارضها أي من الولدين، وبدا أنهما لا ينزعجان حتى حين يخرج أوليفر في الليل، وهذا أمر لم يكن يحدث غالباً خلال الأسبوع، لأنها كانت تعمل بكدّ وعليها التواجد في الاستوديو باكراً. وبقيت مرتين في منزلهما خلال عطلة نهاية الأسبوع ونامت في غرفة الضيوف. لقد كانت امرأة رائعة من حيث اللياقة والسلوك بحيث لا يشعر الولدان بالإحراج. ولم يعرف أي منهما أنه في وقت متأخر من الليل، كان والدهما يمشي في الممر على رؤوس أصابعه ويخلد إلى السرير معها مع ابتسامة سعيدة فيما تقول له شششش! وتضحك.

كان هذا الترتيب المثالي بالنسبة إليهم جميعاً. وحين جاء جورج ومارغاريت بعد شهر لرؤية الولدين، أحباها أيضاً. في البداية، كانا متأثرين جداً للقاء بها. لكنهما نسيا بسرعة أنها مشهورة. فهي لم تكن فخورة بنفسها، ومتكتمة جداً بشأن نجاحها، وحنونة جداً مع الذين تهتم بهم، ولطيفة مع الجميع، وبدا أن الجميع أحب فيها المرأة وليس النجمة التلفزيونية. فكما قالت حين التقت ميل للمرة الأولى، كان نجاحها جميلاً ولكن ليس أهم شيء في حياتها. فالأشخاص الذين تحبهم هم المهم بالنسبة إليها.

لكنهم كانوا مدركين جميعاً لشهرتها، لأنهم حيثما ذهبوا، أراد الأشخاص منها أن توقع لهم الكلمات أو كانوا يتطفلون في أوقات غير مناسبة ليسألوها ما إذا كانت هي... ويقولون لها كم يحبون برنامجها... ويريدون أن يعرفوا من هما ميل وسام... كان ذلك يزعجهما أحياناً، وحاول أوليفر عدم التفكير في الأمر أكثر مما ينبغي. لكن شارلي كانت دوماً لبقة مع معجبيها، صبورة ومتفهمة، وتتصرف كما لو أنها كانت تنتظرهم ليأتوا ويتحدثوا إليها طوال النهار وكانت مسرورة لأنهم يفعلون ذلك. وفي بعض الأحيان، كانت ميل تسألها عن قدرتها على تحمل ذلك من دون فقدان أعصابها.

'هذا جزء من المهنة، حبيبتي. تقبلين بهذا حين تخوضين هذا النوع من

العمل، وإلا لن تساوي الكثير. فأنت تفعلين ذلك من أجلهم وليس من أجلك. ويوم تتوقفين عن الاهتمام بهم، تتوقفين عن تقديم الأداء الجيد".

والأهم من ذلك أن والد أوليفر، جورج، رأى أنها فاتنة تماماً، والفتاة الأكثر أناقة التي رآها في حياته، وصلّى فقط أن تتزوج بابنه. وقبل أن يغادر، سأل أوليفر ما إذا كان طلب يدها.

"هيا، أبي. نعرف بعضنا منذ شهرين فقط. لا تستعجلني. بالإضافة إلى ذلك، إنها مشغولة في مهنتها. لا أعرف ما إذا كانت تريد الاستقرار مع شخص عادي ومجموعة من الأولاد". قالت إنها تريد ذلك، لكن الحقيقة هي أنه كان يخاف من سؤالها.

"أظن أنها ستقبل. فهي تملك قيماً صادقة وطيبة".

"أعرف، لكن يمكنها الحصول على أي شخص تريده في هوليوود. امنحها الوقت". ما زال لا يصدق حظه الرائع. وكذلك فعلت شارلي.

كانا يجلسان ويتحدثان بهدوء في إحدى الليالي، بعدما ذهب والده ومارغاريت إلى نيويورك، حين رن الهاتف وكان بنجامين. كان يبكي بشدة لدرجة أن أوليفر استطاع بالكاد فهمه.

"هوّن عليك بنيّ، تمهّل... هذا هو... خذ نفساً عميقاً..." نظر بقلق إلى شارلي وهو يخشى مصيبة. فلم يسمع أخباراً عنه منذ أسابيع، ولم يكن هناك أي جواب حين يتصل، وطلب من والده أن يزوره حين يعود، في المنزل في بورتشايس. "بنجامين، تحدث إليّ، ما الأمر؟" وكل ما استطاع سماعه هو صوت بكاء متقطع.

"لا أستطيع تحمل المزيد أبي.... لا أستطيع... أنا أكرهها'.

"ماذا حدث؟"

"لا شيء. لقد سئمت فقط... فكل ما أفعله هو العمل ودفع المال عن الطفل وعنها.. لقد تركت وظيفتها، وظنت أنها حامل مجدداً لكنها لم تكن كذلك". وفي

هذه المرة، لن يكون الطفل منه، على الأقل، لأنه لم يلمسها منذ شهرين. إنها تخرج مع بيلي ويب وجوني بيرسون... لا أعرف، أبي... كل ما تفعله هو الخروج. أضطر أحياناً إلى اصطحاب الطفل معي إلى العمل. أنا أحب ألكس ولا أريد أن أتركه... لكني لا أستطيع..." بدأ يبكي مجدداً. "... لا أستطيع تحمل ذلك بعد الآن... لا أستطيع. في الأسبوع الماضي، فكرت في قتل نفسي. جلست في الكاراج لمدة ساعة وأنا أحاول استجماع الشجاعة لتشغيل السيارة، لكني لم أستطع. رحت أفكر في ألكس وما سيحدث له إذا تركته معها. فهي لا تكترث به، أبي. وفي بعض الأحيان، لا تتذكر ان تطعمه طوال النهار وأجده يصرخ بشدة حين أعود إلى المنزل. وفي الأسبوع الماضي، كاد يقع في حوض السباحة حين تركته وحده معها لمدة عشر دقائق. أبي... ساعدني أرجوك... اخرجني من هذا..." بدا أن البكاء المتقطع استمر لساعات، لكن حين اقترح عليه أوليفر المجيء إلى كاليفورنيا بأسرع ما يمكن، قال بنجامين إنه لا يستطيع ترك الطفل. فهو يحبه كثيراً وسوف تهمله ساندرا بشدة.

"لماذا لا تجلبه؟"

"تقول إنها لن تسمح لي. قلت لها الأسبوع الماضي إني سآخذه بعيداً وقالت إنها ستتصل بالشرطة إذا حاولت فعل ذلك. تقول إني لا املك الحق في أخذه وإنها أمه. وإذا أخذته، سيظن أصدقاؤها أنها فعلت شيئاً مريعاً فعلاً، وهذا ما سيجعلها تبدو سيئة. لكنها لا تريد الاعتناء به من جهة أخرى".

"ماذا عن أم ساندرا؟ هل تظن أنها تستطيع المساعدة؟"

"لا أعرف. لقد تخلى عنها صديقها، وانتقلت إلى بايكرسفيلد من لوس أنجليس".

"هل تملك رقمها؟"

"نعم. تركته ساندرا على جدار المطبخ". لقد هدأ أخيراً بكاؤه. كان في الثامنة عشرة فقط من العمر ويتحمل عبئاً مريعاً. "هل تعرف أنها لم تعد إلى المنزل منذ صباح أمس. إنها تخرج دوماً منذ ولد ألكس". لقد أصبح عمره الآن

خمسة أشهر ونصف، "وأنا أحاول أبي أن أسوّي الأمور. لقد حاولت ذلك فعلاً، لكني لم أعد أستطيع". ثم، وبصوت خجول، "أكرهها أحياناً". لم يلمه أوليفر البتة على ذلك، وشك في أنه لو كان مكانه لكان قتلها ربما أو تخلى عنها حتماً قبل وقت طويل. لكن بنجامين كان مصمماً على فعل الشيء الصحيح، لها ولابنه. وشعر بالامتنان مرة جديدة لأن ابنه لم يتزوجها. فهذا أكثر بساطة على الأقل.

"إسترخ فقط. لماذا لا تذهب إلى منزل جدك لقضاء عطلة نهاية الأسبوع؟"

"وماذا سأفعل بألكس؟" بدا مرتبكاً فجأة مثل ولد يائس. فبعد عام تقريباً على العمل في وظيفتين، وإعالة فتاة لم تكن زوجته، وستة أشهر تقريباً على الاعتناء بطفله، أصبح الصبي تالفاً وبالكاد يستطيع التفكير باستقامة.

"خذه معك. سوف تساعدك مارغاريت. كانت ممرضة. وضّب أغراضك وارحل من هناك. سوف أتصل به وأخبره أنك آتٍ إليه. والآن أعطني رقم أم ساندرا". أعطاه بنجامين الرقم، وأقفل السماعة بعد أن وعده بأنه سيحضّر حقيبة لكليهما ويذهب إلى منزل جده هذا المساء.

اتصل أوليفر بوالده عندئذ وشرح له الوضع فيما كرره لمارغاريت في الخلفية، وطمأن ابنه بأنه سيبذل كل ما بوسعه لمساعدة الصبي.

"عليك إخراجه من هذه الورطة، أوليفر".

"سوف أبذل كل ما باستطاعتي، أبي". لم يخبره أن حفيده البكر فكر فعلياً في الانتحار، لأنه ما زال مصدوماً هو نفسه بالأمر. لكنه أخبر شارلوت حين أقفل السماعة وأصيبت بالذعر.

"يا إلهي، أولي، أخرجه من هناك. لماذا لا تذهب إلى هناك وتأتي به؟"

"أريد التحدث إلى والدة الفتاة أولاً ومعرفة ما إذا كانت ستأخذ ساندرا والطفل". طلب الرقم في بايكرسفيلد، وأجابت المرأة على الهاتف بعد رنة واحدة. بدت ثملة، وأكثر من غبية، لكنها عرفت من يكون أوليفر، وكذلك موضوع ساندرا وبنجامين والطفل. شرح لها أوليفر بصبر أنه يشعر هو وبنجامين أن الوقت قد حان لإجراء بعض الترتيبات الأخرى. وسألها ما إذا

كانت مستعدة لاستقبال ابنتها مجدداً في المنزل مع الطفل. وبعد التردد لبرهة، سألت أخيراً أوليفر السؤال الوحيد الذي يهمها فعلاً.

"هل ستدفع تكاليف الطفل، إذا فعلت ذلك؟ وهي أيضاً؟"

"ربما". فمن المجدي القيام بأي شيء لإخراجها من حياة بنجامين، لكنه لم يشأ إخبارها ذلك. فهذا سيجعلها أكثر جشعاً. "هذا يعتمد على مقدار المال الذي نتحدث عنه. وأنا أتوقع حتماً من ساندرا أن تعمل لإعالة نفسها أيضاً إلا إذا أرادت العودة إلى المدرسة طبعاً". لكن المرأة بدت أقل اهتماماً في تعليم ابنتها.

"وما هو المبلغ الذي نتحدث عنه؟"

"لنقل خمس مئة دولار في الشهر لها وللطفل". لم يكن ذلك مبلغاً كبيراً، لكنه كافٍ، خصوصاً إذا عاشت مع أمها.

"أظن أن هذا ملائم". أرادت الموافقة قبل أن يغير رأيه. فهما لا تحتاجان إلى الكثير من المال للطفل، قالت لنفسها. فكل ما يأكله هو طعام الأطفال، وتستطيع هي وساندرا الاستمتاع ببقية المال.

"هل أنت مستعدة للتوقيع على أوراق تذكر هذا المبلغ؟"

"نعم، طبعاً".

"ومتى تكونين مستعدة لاستقبالها؟"

"اللعنة، لا أعرف. أنا لا أعمل في الوقت الحاضر. أظن أني أستطيع مساعدتها في رعاية الطفل..." بدا صوتها مشوشاً في الطرف الآخر. فهي لم تكن متحمسة لفكرة العيش مع طفل كثير الصراخ ووجود ساندرا معها، لكن المبلغ بدا ملائماً جداً لها من جهة أخرى، إلا إذا استطاعت تدبر مبلغ أفضل. "ماذا عن سبع مئة دولار. هل تفكر في الأمر؟"

"ست مئة". تجمد وجه أوليفر بقرف. كان يكره التعاطي معها، وكان الاستماع إليها يجعله يتملق، وفكر كيف عاش ابنه مع ابنتها.

"حسناً، أقبل".

"سوف أرسلهما لك غداً بالطائرة".

اتصل بمارغاريت بعد ذلك وسألها ما إذا كانت تستطيع الذهاب إلى المنزل في بورتشايس ومساعدة الفتاة على الركوب في طائرة إلى لوس أنجليس مع الطفل. وطلب منها إبقاء بنجامين معهما في عطلة نهاية الأسبوع. أراده أن يهدأ قليلاً ولم يشأ أن يجعله يأتي إلى لوس أنجليس في الطائرة نفسها مع ساندرا والصغير ألكس.

بدت مارغاريت مثل ملاك رحمة بالنسبة إليه، ووافقت بسرعة على المساعدة. لم تبدُ مرتبكة أو مشوشة، وإنما هادئة على نحو مثالي، ومصرة على القيام بأي شيء تستطيعه للمساعدة، من دون إزعاج والد أوليفر. شكرها من أعماق قلبه، وأكّدت له أنها ستغلق المنزل في بورتشايس بعد رحيل بنجامين، وتشغل جهاز الإنذار، وتبقي عينها عليه بعد ذلك. فهو لم يرد بيعه في أية حال، إلى أن يصبح واثقاً من أنهم سيبقون في كاليفورنيا. كان هذا تدبيراً احتياطياً، ولذلك اكتفى بالاستئجار في كاليفورنيا.

ثم اتصل ببنجامين الذي بدا وكأنه ينتظر على الهاتف. "لقد تمت تسوية كل شيء بنيّ. تحدثت إلى أمها وستكون مسرورة باستقبالهما". جعل ذلك يبدو أكثر دفئاً مما هو، وشرح أنه سيوفر أموالاً ملائمة لإعالة الطفل، بحيث لا يجدر به القلق بشأن ذلك. "لقد حجزت لهما تذكرتين مدفوعتين في المطار غداً وسوف تأتي مارغاريت لتساعدها في توضيب أغراضها وتصطحبك إلى منزل جدك. فكرت بعدها في أنك قد ترغب في قضاء يوم أو اثنين معهما ومن ثم تأتي إلى هنا". وهكذا، يعود إلى المنزل. بعد كل هذه الأشهر، سوف ينضم إلى العائلة مجدداً، لبدء حياة جديدة، أو لملمة ما تبقى من حياته القديمة. لن يكون الأمر نفسه مجدداً بالنسبة إليه، وقد عرف أوليفر ذلك. فهو لا يستطيع محو ما حصل، أو نسيان الولد، لكن لديه الحق في الانتقال وعدم دفن نفسه حياً مع فتاة لا يحبها وطفل لم يرغب فيه أبداً. لقد أنجز أمراً نبيلاً لوقت كافٍ، ولكن الآن، بعدما فتح الباب، سوف يخرجه أوليفر من جحيم تلك الفوضى بأسرع ما يمكن

قبل أن يغير رأيه مجدداً. عارض بنجامين في البداية على فكرة السماح لساندرا بأخذ الطفل. لكنه كان متعباً ومكتئباً جداً للشجار أكثر، واستمر والده في القول له إن أم ساندرا ستعتني بالطفل. بدا بنجامين غير مبالٍ حين وافق على كل ذلك، وبعد برهة طويلة من الصمت، بدا صوته حزيناً فيما شكر والده.

"سوف أفتقد ألكس كثيراً. إنه ظريف جداً الآن، أبي. إنه يزحف. لا أعرف...." بدا متردداً مجدداً. "ليس هذا الشيء الصحيح ربما". لكن جزءاً منه أراد الراحة من المسؤوليات. فالأشهر القليلة الماضية كانت بمثابة كابوس.

"أنت تفعل الشيء الصحيح"، قال أوليفر. "يمكنك زيارته في بايكرسيفيلد. فهي تبعد ساعتين فقط من هنا. هذا أفضل شيء يمكن أن يحصل لكم جميعاً. أنت وساندرا والطفل. لا يمكنك العودة إلى هناك. لقد أنجزت عملاً جيداً لغاية الآن، وأنا فخور بك. لكن عليك التفكير في نفسك أيضاً. ففي عمرك، ومن دون شهادة ثانوية بحوزتك، لا يمكنك تقديم أي شيء لذلك الطفل".

"أعرف". ثم، وبنبرة قلقة. "هل قالت أم ساندرا إنها ستساعدها فعلاً في تربية ألكس؟ أنا لا أثق في قدرتها على فعل ذلك وحدها".

"قالت إنها ستفعل، وهي لا تعمل في الوقت الحاضر. احصل الآن على القليل من النوم'. وفيما قال الكلمات، استطاع سماع بكاء الطفل في البعيد. قرر بنجامين الانتظار في المنزل حتى تأتي ساندرا إلى المنزل، وكانت مارغاريت ستتصل في الصباح. "سوف أتحدث إليك غداً مساء في منزل جدك". لكن حين اتصل به في اليوم التالي، قالت مارغاريت إنه نائم. فقد انفطر قلبه بشدة حين غادرت ساندرا مع الطفل. وأصرّ على تنظيف المنزل في بورنتشايس وحده، بعد أن غادرا، وحين وصل إلى منزل جده، كان شبه واقع في الصدمة. يبدو ظاهرياً أن انفصاله عن ساندرا كان مريراً وصاخباً. وقد وضعته مارغاريت في السرير مثل الولد الصغير، حتى إنه لم يتناول العشاء. تساءلت ما إذا كان يستطيع البقاء لبضعة أيام إضافية، لكن أوليفر أصرّ على أنه يريده في كاليفورنيا ما إن يصبح قادراً على القيام بالرحلة. أراد إخراجه من هناك

وإبعاده أكبر قدر من الأميال عن كابوس العام الماضي.

"إنه ولد طيب، أوليفر. يفترض أن تكون فخوراً به. فقد بقي رجلاً حتى النهاية. وكاد أن يموت حين شاهد ذلك الطفل يذهب".

'أعرف". لم يتوقع منه أبداً أن يحب الطفل بهذا القدر. ولا شك في أن هذا عقّد الأمور، لكن الأشياء ستتغير ربما مع الوقت، ولن يبقى الرابط قوياً إلى هذا الحد، أو قد تتخلى ساندرا يوماً ما عن حقوقها وتسمح لبنجامين بتبني الطفل. والواقع أن أوليفر تحدث مع محامٍ عن الأمر وقد أكّد له أنه ما لم ترغب هي في التخلي عن الطفل، وهي لا تريد ذلك، لا مجال أبدا لإبعاد الطفل عنها. لقد فعلا الشيء الصحيح حين سمحا لها بالاعتناء به، وسيكون الشيء الملائم في أن يزور بنجامين الطفل. "شكراً لك على الاعتناء بكل ذلك، مارغاريت"، قال أوليفر. "آسف لأني أزعجتك بكل هذا. لكني لم أعرف لمن ألجأ". فكر في الاتصال بدافني في نيويورك. لكنها كانت بعيدة جداً ومشغولة جداً في عملها. أما مارغاريت فكانت بارعة في حل المشكلة وشعر بامتنان كبير لها. كان والده محقاً. إنها امرأة رائعة.

"يقول والدك إنه يشبهك إلى حد بعيد. قوي ولطيف وعنيد". كان غريباً سماعها تقول الكلمات، لأن أوليفر ظن دوماً أن بنجامين يشبه أمه أكثر. "سوف يعود إلى المسار الصحيح مجدداً الآن. لا تقلق بشأنه. سوف أرسله لك بالطائرة غداً أو بعد غد".

شكرها مجدداً، وأقفل أخيراً السماعة للاتصال بوالدة ساندرا في بايكرسفيلد والتأكد من أن ساندرا والطفل وصلا بأمان. قالت إنهما وصلا وتريد أن تعرف متى سيصل أول شيك.

"لقد أرسلته لك بالبريد أمس، سيدة كارتر"، قال أوليفر بازدراء. "هل الطفل على ما يرام؟"

"إنه ولد ظريف'، قالت لمجرد إرضائه وليس نتيجة أية عاطفة حقيقية تكنّها لحفيدها. وأخيراً، استرخى أوليفر وتمدد على الأريكة قرب شارلوت التي

تكبدت معه معظم هذا الأمر. لقد انتهى الكابوس تقريباً.

التفت إليها مع ابتسامة متعبة، فيما مسَّدت شعره برفق. "كانت سنة جحيم بالنسبة إلى الصبي، شارلي. أحمد الله لأنه أصبح حراً الآن". رغم أن أوليفر شعر بالقليل من الحزن على الصغير ألكس. سيكون أكثر بعداً عن حياتهما الآن.

"لا شك في أن الأمر كان عصيباً جداً عليه حتى يتصل بك بهذه الطريقة. عليك مدحه لأنه اعترف بالهزيمة".

"سأفعل. أنا أكنّ له الكثير من الاحترام. أشعر فقط بالأسف لأنه مرّ بكل هذا". تناولا عشاء هادئاً وحدهما تلك الليلة، بعدما صعد سام وميل إلى الأعلى. وقبل ذلك، كان بنجامين قد اتصل وعرف الجميع أن شقيقهما سيصل في اليوم التالي، وحذرهما أوليفر من أنه مرّ في وقت عصيب، ووعدت ميل بأنها ستبذل كل ما بوسعها لجعل الأمور أسهل بالنسبة إليه. تساءلوا جميعاً عما سيفعل بشأن المدرسة، لكن أحداً لا يعرف بعد.

أوصل أوليفر شارلوت إلى المنزل في وقت متأخر من تلك الليلة، وبقي معها لفترة قصيرة. فكل ما فعلاه هو التحدث عن بنجامين، وقبلا بعضهما لبضع دقائق في المطبخ. لا شك في أن هذه التجربة بعيدة تماماً عن مغامرته المجنونة مع ميغان. ابتسم لها بمكر قبل أن يغادر، واعتذر لها عن كل الارتباك الحاصل.

"أخشى أن تكتشفي، حبيبتي، أن الأمور لن تجري أبداً مثلما توقعت، مع الأولاد من حولك. أظن أني اعتدت على الأمر مع السنوات، لكن الأمر لن يكون ممتعاً كثيراً بالنسبة إليك. فأنا لم أكن في صحبة جيدة جداً في الأيام القليلة الماضية".

"كنت على ما يرام، ولم أتوقع أن تكون مختلفاً". ثم خطرت لها فكرة. فهي تحب أن تكون معه، ومع أولاده، وقد انفطر قلبها على ذلك الصبي الذي لا تعرفه بعد. "هل تريدني أن آتي إلى المطار معك غداً مساء، أو تفضل أن تكون لوحدك معه؟" كانت دائماً كثيرة الاهتمام في الوقت الذي يحتاج إليه مع أولاده، وقد قدّر

ذلك أيضاً. بدا أنه لا يوجد أي شيء لا تفهمه أو لا ترغب في المساعدة فيه.

"هناك الكثير من الوقت لنتحدث فيه بعدما نصل إلى المنزل. أحب أن تأتي معي شارلي". ابتسم وقبّلها مجدداً، وتركها بعد دقائق قليلة وهو يشعر بالإرهاق. فالبكاد استطاع أن يتخيل كيف يشعر بنجامين بعد كل الذي عاناه. لكنه لم يكن مستعداً أبداً لاستقبال الصبي الشاحب والخائف الذي رآه في المطار في الليلة التالية. وكل ما فعله هو وضع ذراعيه حوله فيما راح الصبي يبكي ووقفت شارلوت على مسافة متحفظة. مسح أخيراً عينيه، ونظر إلى والده مثل صديق تائه منذ مدة. التفتت شارلوت بعيداً حتى لا يشاهدا دموعها، فيما مشى كلاهما ببطء نحوها حتى يتعرف بنجامين إليها.

"شارلوت، أودّ أن أعرفك إلى ابني، بنجامين". تحدث أوليفر بهدوء. كانت هذه ليلة حزينة بالنسبة إليهم، وفهمت هي ذلك. لكن الصبي بذل جهداً ليبدو أقل حزناً مما هو، وابتسم لها فيما صافح يدها.

"أخبرتني أختي الكثير عنك، وقد شاهدت برنامجك مرات عدة. كما أخبرني سام عن الخنزير الهندي. لقد حققت نجاحاً باهراً مع عائلتي، آنسة سامبسون". شعرت بالإطراء على كلامه الرقيق، وقبّلته بلطف على وجنته ولاحظ أوليفر كم يشبهان بعضهما. فباستطاعة أي كان أن يظن أنهما قريبان، نظراً للشعر الأحمر الساطع والبشرة القشدية والطبقة الرقيقة من النمش.

"أنا مسرورة بنجامين. لكني سأكون أكثر سعادة إذا ناديتني شارلي. كيف كانت الرحلة؟"

"جيدة، حسب ما أظن. لقد نمت معظم الرحلة". كان لا يزال مرهقاً عاطفياً ومتعباً تماماً. بقي نائماً حتى الظهر ذلك اليوم وأوصلته مارغاريت إلى المطار، مثلما وعدت والده. ثم تحدث إلى والده بصوت خافت. "هل تحدثت إلى ساندرا في الليلة الفائتة. هل الطفل على ما يرام؟"

"إنهما بخير". أخذه إلى منصة الحقائب، وهو حزين لأن بنجامين يشعر بالقلق عليهما. كان ألكس لا يزال همه الأول ومن المؤلم رؤية كم يفتقد الطفل.

وقد أخبر ذلك لشارلوت، حين بقيا وحدهما لدقيقة، فيما كان يضع حقائب بنجامين في غرفة نومه.

"لن ينساه يا أولي".

"لا، أعرف ذلك. لكن حان الوقت ليفكر في نفسه الآن".

"سوف يفعل. امنحه الوقت. لا يزال في الصدمة. لا تنسَ كل ما مرّ فيه".

نزلا إلى الأسفل للانضمام إلى الآخرين. كان كل الأولاد، بمن فيهم بنجامين، موجودين في المطبخ. وحين دخل أوليفر وشارلوت، كان بنجامين يتناول كلوب سندويش وطبقاً من البراونيز أعدته آجي له. كانت ميل تتحدث إليه بحماس واستمر سام في وضع الخنزير الهندي في وجهه ليريه كم هو جميل. وابتسم بنجامين فيما كان يصغي إليهما. من الجيد العودة إلى المنزل، فهذا أفضل مما يستطيع أي شخص تصوره. شعر وكأنه أمضى سنة كاملة في كوكب آخر.

"إذاً، كيف المدرسة؟"، سأل ميل.

"إنها رائعة. سوف تحبها". ثم تمنّت لو أنها تستطيع ابتلاع لسانها. فقد حذرّها والدها ألا تلحّ عليه بشأن المدرسة، لكن شقيقها قرأ النظرة في عينيها وابتسم.

"لا تقلقي، صغيرتي. لست متضايقاً إلى هذا الحد. لكني لم أفكر بعد في ما أريد القيام به. أريد أن أذهب أولاً إلى بايكرسيفيلد للتحقق من ألكس، وسوف أحاول من ثم الخضوع لاختبار معادلة الثانوية. أظن أني قد أحاول الدخول إلى UCLA إذا استطعت". لقد تبخر حلم برينستون ويال وهارفارد، لكن UCLA مدرسة جيدة وأراد البقاء بالقرب من المنزل لبعض الوقت. هذا كل ما أراده الآن.

أخبر أوليفر الشيء نفسه حين ذهب الآخرون إلى النوم، وقالت له شارلي إنها ذهبت إلى هناك أيضاً وعرضت عليه أن تكتب رسالة توصية له إذا كان هذا سيساعده.

"سيكون ذلك رائعاً". شكرها وحاول ألا يبدو أنه يحدق فيها. لكنه كان مذهولاً بها طوال الليل، بمدى لطافتها وأناقتها وعشقها الواضح لوالده. لقد أصرّت على العودة إلى المنزل وحدها تلك الليلة، لأنها أرادت أن تفسح للرجلين بعض الوقت وحدهما. ولم يملك بنجامين سوى الأشياء الجيدة لقولها عنها بعدما رحلت، الأمر الذي أعجب والده.

"يبدو أنك محظوظ أبي. إنها رائعة'.

"أظن ذلك أيضاً". ابتسم وبدا من ثم قلقاً مجدداً حين نظر في عينيّ ابنه، كما لو أنه يبحث عن الندوب. لكن أياً منها لم يظهر سوى في عينيه اللتين بدتا أكبر بمئة سنة. "هل أنت على ما يرام؟ أقصد فعلاً؟"

"سأكون كذلك. هل لديك سيارة أستطيع استعمالها، أبي؟ أريد الذهاب إلى بايكرسفيلد لرؤية ألكس غداً".

"هل تظن أنه يجدر بك فعل ذلك؟ بهذه السرعة، أقصد؟ قد يكون الأمر صعباً على ساندرا. يجدر بك ربما التنفس لبعض الوقت'.

تنهد بنجامين وانحنى على الأريكة المريحة، فيما بدا الارتياح على كل وجهه حين مدد ساقيه. 'سأكون سعيداً إذا لم أرها مجدداً. لكني أريد التأكد من الطفل".

"أنت مجنون به، أليس كذلك؟" فهذا هو تماماً ما شعر به حيال أولاده بعدما ولدوا، لكنه توقع أن يكون هذا مختلفاً، والمضحك أنه لم يكن كذلك.

"إنه ابني، أبي. أنت لا تتوقع مني أن أشعر بطريقة مختلفة، أليس كذلك؟" بدا متفاجئاً. فبالنسبة إليه، لم تكن الشرعية مسألة مهمة. إنه يحب طفله.

"أظن لا. فأنا شعرت هكذا حيالكم". لكان مات لو تخلى عنه أو تركه في يديّ شخص لا يثق به. وفجأة، فهم ما يشعر به ابنه. "يمكنك أخذ سيارة الستايشن إذا أردت. أخبر فقط آجي أنك تأخذها في حال احتاجت إليها لشراء الحاجيات أو إيصال سام.

"شكراً. وأعدك أبي، أنه ما إن أنتهي من فعل ذلك، سوف أدخل إلى المدرسة. وإذا توجب عليّ الانتظار طويلاً حتى أدخل إلى UCLA، سوف أبحث عن وظيفة. لن أجلس من دون أي شيء. أريد أن أشكرك على كل شيء قمت به من أجلي، أبي". أدت هذه الكلمات إلى ظهور الدموع في عينيّ أوليفر، وربّت برفق على ركبته فيما وقف، وهو يشعر بالتعب أيضاً، وإنما أيضاً بالارتياح لأن ابنه عاد إلى العائلة أخيراً.

"اصنع حياة جيدة لنفسك بنجامين. سوف تستعيد كل شيء يوماً ما. امرأة جيدة، وكل الأولاد الذين تريدهم، في الوقت الصحيح وبالطريقة الصحيحة مع الزوجة الصحيحة، إذا كنت محظوظاً".

ابتسم بنجامين للنصيحة، ونظر إليه بفضول. "سوف تتزوجها أبي. أقصد شارلي؟"

"فكرت في ذلك".. ابتسم الرجل الكبير، وكان صادقاً معه. رجل لرجل. فبنجامين لم يعد طفلاً.

"أودّ ذلك، لكن لم يتسنَ لنا الوقت لمناقشة ذلك". كان يتجنب الموضوع في الشهر الأخير. فهو يعرف مدى أهمية مهنتها بالنسبة إليها، وكان يخشى كثيراً من الرفض. لم يشأ إفساد الأمر بطرح السؤال عليها سريعاً، رغم أنه عرف منذ الليلة الأولى أنه صحيح. وتبقى المسألة مجرد وقت قبل أن يسألها. كان هذا مختلفاً عن أي شيء قام به قبلاً، وكانت لديه مشاعر تجاهها لم يعرفها أبداً حيال سارة. لطالما كان الأمر صعباً معها، أدرك الآن، مسمار مربع في ثقب دائري. أما هذا فهو التطابق المثالي. شارلي كانت كل شيء حلم به على الدوام.

"إنها فتاة رائعة. إنها تعجبني فعلاً".

"وأنا أيضاً". ابتسم أولي، ثم أظهر له غرفة نومه. توجه بعدها ببطء إلى غرفة نومه، وهو مسرور لأنهم أصبحوا جميعاً تحت سقف واحد مجدداً. يكبر أولاده الصغار الثلاثة بسرعة، بمن فيهم سام. فهو لم يعد ينام في سرير والده. أصبح مقتنعاً تماماً في غرفته الخاصة مع شارلي.

الفصل الرابع والعشرون

توجه بنجامين إلى بايكرسفيلد في اليوم التالي لوصوله، ولم يكن متحمساً لما وجده. لكن الطفل على ما يرام، وكانت ساندرا هناك وبدا أن أمها تراقب كل الأمور، وهذا أفضل ما يستطيع تمنيه. لكن المنزل كان متداعياً للسقوط، ومكيف الهواء لا يعمل، وكان ألكس ينام في مهد في غرفة الجلوس، فيما التلفزيون يدوّي قربه. صرخ صرخة عالية حين استيقظ وشاهد بنجامين في الغرفة، وكان من المريع تركه مجدداً، لكنه كان سعيداً لأنه بعيد عن ساندرا.

عاد إلى بيل آير وهو يشعر بالطمأنينة نوعاً ما. وفي الأسابيع التالية، نجح في اختبار معادلة الثانوية، وتقدم بطلب إلى UCLA وجرى قبوله بعد أربعة أسابيع. كان قد عثر على وظيفة بدوام جزئي في ذلك الوقت، في المكتبة داخل حرم الجامعة، وأراد الاستمرار في الوظيفة حتى يتمكن من دفع المصروف الشهري لألكس.

عاد إلى بايكرسفيلد مجدداً، وبدت الأمور على حالها، رغم أن ساندرا كانت خارجاً هذه المرة، لكن أمها كانت موجودة هناك، تشرب البيرة وبدا الطفل سعيداً. لعب بنجامين معه لمدة ساعة ثم عاد إلى المنزل. لم يذكر أمر الزيارة لوالده هذه المرة. فقد شعر أن أوليفر يعتقد أنه متعلق جداً بالطفل، لكنه عرف بوضوح أن هذا أمرٌ يجدر به القيام به، مهما كان عدد الأولاد الآخرين الذين سينجبهم يوماً ما. سيبقى ألكس دوماً طفله الأول، وجزءاً مهماً من حياته. وأراد الحفاظ على الصورة. بدا أن أم ساندرا لا تكترث، لأنها كانت مسرورة جداً بالدفعات التي تصلها في الموعد المحدد كل شهر. كان ألكس أفضل شيء حدث لها. لا شك في أن ساندرا كانت تعرف ماذا تفعل حين حملت من بنجامين واتسون. قد لا يكون آل واتسون أغنياء، لكنهم مرتاحون كفاية،

وعرفت من بعض الأبحاث التي أجرتها في الشرق أن والد الصبي يجني الكثير من المال. وبعد بضعة أسابيع، قرأت مقالاً صغيراً في مجلة أثار فعلاً حيرتها. فالرجل الكبير يخرج مع شارلوت سامبسون. لا يعني ذلك الكثير في الوقت الحاضر، لكن يوماً ما، إذا توقفوا عن دفع مستحقاتهم، يمكن للابتزاز التهديدي أن يجدي نفعاً.

لكن هذا الأمر كان بعيداً تماماً عن تفكير أولي، مع نمو العلاقة العاطفية. فهما يمضيان المزيد والمزيد من الوقت مع بعضهما، الأمر الذي أثار إعجاب أولاده كثيراً. وأخيراً، في نهاية شهر أبريل، كانت لديه الشجاعة لسؤالها.

كانا يتناولان واحداً من عشاءاتهم الهادئة والحميمة في مطعم تشيانتي، ولم يفاجئها بخاتم أو سألها وهو محني الركبة. انتظر حتى انتهيا من تناول الطعام، ثم نظر إليها بعصبية، وابتسمت هي له. لم تكن واثقة، لكنها ظنت أنها تعرف ما هو القادم.

'كيف كان المكتب اليوم؟" قالت له لتغيظه وكاد أن يدمدم.

"لا تفعلي هذا بي... أردت أن أحدثك عن أمر جاد. أردت التطرق إليه منذ وقت طويل، لكني لم أكن واثقاً من شعورك حياله... مع مهنتك وكل ذلك..."

"تريد أن تعرض عليّ وظيفة؟" ابتسمت ببراءة.

"أوه، اخرسي. في الواقع، بما أنك ذكرت الأمر الآن... نعم. يمكنك قول ذلك. منصب دائم، مع راتب زهيد مقارنة مع ما تجنيه. التزام لمدى الحياة، العيش مع ثلاثة معاقين، وبضعة متغطرسين، ومن ثم معاش تقاعد".

"لا تتجرأ وتسمي أولادك معاقين، أوليفر واتسون! أنا أحبهم". بدت منزعجة نيابة عنهم، وأمسك يدها بقوة بين يديه ودفعها إلى شفتيه وقبّل أصابعها.

"وأنا أيضاً. لكن حصل أن أحببتك. هل تقبلين بالزواج مني أحد هذه

الأيام." كان قلبه يخفق بقوة حين سألها، وما كان ليتفاجأ لو رفضت، لكنها لم تلفظ أية كلمة بل اكتفت بتقبيله.

"هذا أجمل شيء قاله لي أحدهم"، قالت أخيراً. لكنها لم تجبه بعد، وكان انتظاره لها بمثابة تعذيب.

"و؟"

"أظن أنه يجدر بنا التفكير في الأمر بجدية، أنت أكثر مني. أنا أعرف ما سأحصل عليه، أولي، وأنا أحبكم أنتم الأربعة، لكنك لم تتزوج أبداً من زوجة لها مهنة قبلاً. قد يكون هذا صعباً، خصوصاً مع مهنة مثل مهنتي. لن يكون لدينا حياة خاصة كثيراً، مهما حاولنا جاهدين، وسيكون هناك دوماً من يوجه إليّ إطراء مفرطاً، طالما أنا أظهر في البرنامج على الأقل. وقد يكون هذا مزعجاً أحياناً أيضاً". لقد عرف ذلك حين يخرجون معاً، الطلبات المستمرة للحصول على التواقيع، الصحافة، التدخلات المتطفلة. لكن هذا لم يزعجه، وكان فخوراً بها. فلا مانع لديه من البقاء في الخلف وجعلها النجمة.

"أنا لا أبالي بأي من هذا".

"هل أنت واثق؟ أحب يوماً ما أن أتخلى عن كل ذلك. لكن لأكون صادقة معك، أولي، ليس بعد. لست مستعدة لذلك. لقد عملت بكدّ كبير لوقت طويل لأتخلى عنه الآن قبل أن أقطف كل نقطة نجاح منه".

"أنا أفهم ذلك. وأنا لا أتوقع منك أن تتخلي عنه. أظن أن ذلك سيكون خطأً فادحاً".

'وأنا أيضاً. فمهما كنت أحبك، أظن أني سأمتعض من ذلك. وكيف سيشعر الأولاد برأيك؟" كانت قلقة بشأن ذلك أيضاً. فهم يعنون لها الكثير، وله أيضاً، وأرادت أن يكون أمراً يريدونه هم أيضاً، لكن أولي اكتفى بالابتسام.

"يقولون إنهم سيطلقوني إذا لم أطلبك للزواج. وأتصور أنهم سيتركونني ويعثرون على والد آخر إذا لم تقبلي بي".

"يكونون مجانين لو فعلوا ذلك. فهم لن يستطيعوا العثور على أب أفضل إذا حاولوا".

"ليس هذا صحيحاً. فأنا فظ كثيراً".

"نعم، هذا صحيح. وأنا لم أشاهدك فظاً بعد. أنت تبلي حسناً معهم". لقد عاد بنجامين إلى المسار الصحيح، وكانت ميل تحقق نتائج باهرة في المدرسة، ولم يكن سام يوماً أكثر سعادة في حياته. فالأمور تجري على ما يرام بالنسبة إليهم جميعاً. ثم ابتسمت، بخجل، فيما نظرت إليه. "أودّ إنجاب أطفال مني أيضاً في أحد الأيام. واحد أو اثنان في أية حال، أو ربما ثلاثة، إذا لم أكن قد قطعت شوطاً كبيراً حين أبدأ. ما رأيك في كل هذا؟ سوف أمنحك منزلاً جميلاً، مع كل الخنازير الهندية والفئران البيضاء وديدان المزارع وكل ذلك". ضحك كلاهما، لكن الموضوع كان جاداً وكانت هي محقة في إثارته. قطّب وجهه فيما فكر في الموضوع، علماً أن هذه الأفكار خطرت في باله قبلاً، لكنه لم يتخيل أبداً إنجاب أولاد مجدداً. ففي الخامسة والأربعين، كانت هذه فكرة ممتعة، وعلى الأقل، قالت لنفسها، إنه لم يهرب من الباب على الأقل صارخاً بصوت عالٍ.

"لا أعرف. أظن أني أصبحت كبيراً قليلاً ومتعباً للبدء مجدداً. فالأولاد ليسوا سهلين بقدر ما تظنين". لقد عاش ذلك حتماً خلال العام الماضي، لكنه عرف أيضاً كم هي كبيرة المكافآت، ولم يشأ خداعها في هذا الصدد. فهو يحبها كثيراً. ولديها الكثير لتمنحه لأولادها ولأولاده. من المجدي التفكير في هذا الموضوع، إذا كان هذا يقنعها بشأن مستقبلهما. "أظن أني قد أجرب الأمر مرة في أية حال. شاهد النظرة في عينيها وذاب قلبه فيما ابتسمت، "أو ربما مرتين. لكن لا تدفعيني أكثر. فأنا جد كما تعرفين".

"لا يهم ذلك"، قالت لأنه لا يزال شاباً، لكن أوليفر بدا حزيناً.

"إنه يهم بالنسبة إلى بنجامين".

"قصدت فقط أنك غير كبير كفاية لتعتبر نفسك على هذا النحو".

"أشعر بذلك أحياناً. إلا حين أكون معك. اظن أننا نستطيع القيام بأشياء رائعة، شارلي. هناك الكثير من الأمور التي أود القيام بها معك. السفر، المتعة، مساعدتك في مهنتك. إنها المرة الأولى في حياتي التي أشعر أن الأمر صحيح، في كل جسمي وفي أعماق روحي. وأنا لا أشك أبداً في أنفسنا". وشعر بسلام كبير.

"الشيء المضحك هو أني لا أفعل أنا أيضاً. أنا أعرف كم أحبك أوليفر. أريدك فقط أن تكون أكيداً".

تردد لوقت طويل قبل تقبيله مجدداً وهمست برقة في أذنه. "في هذه الحالة، تكون كسبت. لكني أريد الانتظار حتى يمضي عام على لقائنا، وفعل ذلك بالطريقة الصحيحة.

"هل انت جادة في ذلك؟" بدا مذهولاً. فطلاقه أصبح نهائياً منذ شهر وقد رحلت سارة منذ عام، وأحب هذه المرأة بكل قلبه، وهي الآن تريد الزواج منه. لكنها كانت تومئ وتبتسم وتضحك فجأة، وبدت سعيدة بقدره هو.

"طبعاً أنا جادة. هل تمانع إذا انتظرنا بضعة أشهر؟"

"قليلاً. لكني أحب فكرة الارتباط القديم الطراز".

"تذهب في إجازة في شهر يونيو. يمكننا الذهاب بعيداً لشهر أو اثنين هذا الصيف. تلقيت عرضاً للمشاركة في فيلم، لكنه من الدرجة الثانية. أفضل الذهاب بعيداً إلى مكان ما معك ومع الأولاد، إلا إذا كانت سارة ستأخذهم إلى مكان ما".

"ستفعل. وإنما في شهر أغسطس فقط".

خططا للمشاريع في بقية السهرة. وفي تلك الليلة، حين أوصلها إلى المنزل، مكث معها ومارسا الحب للاحتفال بارتباطهما.

الفصل الخامس والعشرون

في اليوم التالي، أخبرا الأولاد، وكانوا في غاية السعادة. أراد سام أن يعرف ما إذا كان يستطيع الذهاب معهما في شهر العسل، فيما دمدم أوليفر، وسألت شارلوت ميل ما إذا كانت ترغب في أن تكون فتاة الشرف في زفافهما. لا يزال هناك ثمانية أشهر، لكن حين تحدثوا عن الموضوع، بدوا جميعاً مثل أولاد سعداء.

في اليوم التالي، ذهب أوليفر ليقلها من الاستوديو. وحين صعدت شارلوت إلى السيارة كانت هناك علبة صغيرة على المقعد ملفوفة بالورق الفيروزي ومربوطة بشريط من الساتين الأبيض. ارتعشت يداها حين فتحت العلبة ولهثت حين شاهدت الخاتم وهو يلمع في علبة المخملية السوداء. كان خاتماً رائعاً من الماس والزمرد، وظهرت الدموع في عينيها فيما سمحت لأوليفر بوضعه في إصبعها.

"أوه، أولي... إنه جميل جداً".

"وأنت أيضاً". قبلها، وأمسكها بالقرب منه وبقيت بالقرب منه فيما عادا إلى المنزل لرؤية الأولاد.

عرفت الصحافة بالأخبار في غضون أيام قليلة، واستفاد منتجو البرنامج من الأمر قدر الإمكان. فمسؤولو العلاقات العامة في الاستوديو كانوا جميعاً هناك وأرادوا التقاط الصور لشارلوت مع أوليفر والأولاد. اتصلت أيضاً مجلة "بيبول" و"يو إس" وأعلن خبر خطوبتهما في مجلتيّ "نيوزويك" و"تايم". وفجأة أصبح الأولاد حتى مطاردين. أثار الأمر غضب شارلوت، ولم يكن أوليفر مسروراً كثيراً لاكتشاف مصوريّ المشاهير خارج المنزل في مناسبات عدّة.

"كيف تتحملين الأمر؟" سأل شارلوت أكثر من مرة. ونتيجة ذلك، قررا تمضية عطلة الصيف مع الأولاد في فيلا مستأجرة في ترانكاس.

كان الأمر رهيباً فعلاً خلال الأسابيع القليلة التالية، ثم بدأت الأمور تهدأ

في النهاية، واتصلت سارة وهنأته. لقد سمعت الخبر من سام، لكنها قرأت عنه أيضاً في الجرائد.

"يبدو الأولاد مجنونين بها، أولي. أنا سعيد لأجلك".

"وأنا أيضاً. لكن الصحافة متعبة قليلاً".

"سوف تعتاد على ذلك. هذه هي هوليوود!" قالت لتغيظه، لكنها بدت مسرورة لأجله، فيما شعر والده ومارغاريت بالحماس أيضاً. كان هذا وقتاً سعيداً، وتوجب على أوليفر وشارلي القيام بالعديد من الأمور قبل أن يغادرا للعطلة الصيفية في ترانكاس مع الأولاد.

وفي النهاية، أنهت شارلوت تصوير آخر حلقاتها للموسم، وأنهى الأولاد المدرسة، وغادر أوليفر المكتب في عطلة لأربعة أسابيع، وتوجه خمستهم إلى ترانكاس. أمضوا شهراً رائعاً هناك على الشاطئ، ثم غادر ميل وسام إلى الشرق لزيارة أمهم.

كانت شارلي تخطط لتصوير بعض الإعلانات التجارية مجدداً، وتوجب على أوليفر العودة إلى العمل، فيما كان بن مستعداً لبدء الصفوف في UCLA في نهاية شهر أغسطس. كان كل ذلك قبل أن يتلقى الاتصال، في وقت متأخر من بعد ظهر أحد الأيام حين عاد إلى المنزل ليغير ثيابه ويخرج لتناول العشاء مع شارلي ووالده. حين رنّ الهاتف، ظن أن والده يتصل من المكتب. لكنه تفاجأ بدل ذلك عند سماع صوت أم ساندرا، وكانت تتصل به. جعل ذلك قلبه يتوقف تقريباً حين سمعها.

"هل من خطب ما، سيدة كارتر؟.... هل الطفل على ما يرام؟"

"إنه بخير حسب ما أعتقد". بدت غريبة. لقد فكرت لوقت طويل قبل الاتصال، وحاولت التفكير في سبيل ما يجعل الأمر لصالحها، لكنها في النهاية قررت إخباره الحقيقة. لديه الحق في أن يعرف وهو ليس شخصاً سيئاً. وبدا مجنوناً في الصبي. من الأفضل ربما إسداء خدمة لهم. هذا على الأقل ما قالته لنفسها حين طلبت الرقم. "تركت ساندرا الطفل في الميتم صباح أمس. إنها

تريد إرساله للتبني. ظننت في أنك تريد أن تعرف ربما".

"هي ماذا؟" كان قلبه يخفق بقوة. 'لا يمكنها فعل ذلك. إنه ابني أيضاً. أين هو. لن أدعها تفعل ذلك، سيدة كارتر. سوف أعتني به بنفسي. قلت لها ذلك حين كنا في بورتشايشس'.

'تصورت أن هذا ما ستشعر به، ولهذا السبب اتصلت. قلت لها إنه يجدر بها الاتصال بك. لكنها اكتفت بالهروب. لقد ذهبت إلى هاواي هذا الصباح".

"شكراً لك... شكراً لك... قولي لهم إني سآتي لأخذه فوراً.... أنا... لا تهتمي أبداً... سوف أتصل بهم بنفسي". لكن حين اتصل بالميتم الذي أخبرته عنه، قالوا له إن ألكسندر كارتر، كما هو اسمه، أصبح الآن خاضعاً لوصية المحكمة. يتوجب على بنجامين إثبات أبوته، والتقدم بطلب لرعايته، والتعهد بتوفير حقوق ساندرا. ويعود الأمر للمحكمة الآن. اتصل بوالده باهتياج شديد عندئذ، وجعله يخرج من اجتماع مع زبون جديد. كان شبه هستيريٌ عندئذ، وطلب منه أوليفر أن يهدأ ويشرح له كل شيء ببطء.

"حسناً، حسناً... فهمت الآن. سوف أتصل بمحامٍ. والآن، أضبط نفسك بنجامين. لكن قبل القيام بأي شيء، أريدك أن تفكر ملياً في ما تريده حقاً. هل تريد فعلاً الحصول على وصاية كاملة للصبي؟ بنيّ، يعود هذا لك الآن". لقد سنحت له أخيراً فرصة النهوض من الأسفل، كما لو أن هذا ما أراده. ومهما كان هذا مؤلماً، كان أوليفر مستعداً لمساندته، أياً كانت رغبته. لكن بنجامين عرف أن لديه خياراً واحداً فقط. أراد استعادة ابنه، حتى لو كلفه ذلك عدم العودة أبداً إلى المدرسة والعمل في أية وظيفة. سوف يحتفظ بابنه ويربّيه، مهما كلفه ذلك. كان هذا شعوراً لا يمكن الجدل فيه، ولم يشأ أوليفر أن يفعل ذلك. طلب من بنجامين الحفاظ على هدوئه على أن يتصل به مجدداً. بالفعل، اتصل به بعد نصف ساعة وطلب منه أن يلاقيه في مكاتب لوب ولوب في سنتشوري سيتي في الساعة الرابعة.

وصل بنجامين إلى هناك قبل عشر دقائق وكان المحامي الذي قابلاه رجلاً لطيفاً يتولى قضايا ذات أهمية أكبر. لكنهم المحامون في شركة أولي،

وهم يرغبون في المساعدة.

"إذا كان هذا فعلاً ما تريده أيها الشاب، لا أظن أن الأمر معقد مثلما يبدو. فقد تحدثت إلى كل الأطراف المعنية اليوم، وإلى السلطات، ويبدو أن الأمور واضحة تماماً. فأبوتك للطفل ليس محط تساؤل على ما يبدو لقد وقّعت الفتاة على أوراق تقول فيها إنها تريد التخلي عن الطفل. وإذا أكدت لنا هذا، كتابة، علماً أننا لم نستطع بعد التحدث إليها، يمكنك الحصول على رعاية الولد، وتنتهي حينها كل حقوق أمومتها. إنها مسؤولية كبيرة، بنجامين، وعليك التفكير جدياً في الأمر قبل اتخاذ القرار".

"لقد فكرت سيدي. وأنا أعرف ما أريده. أنا أحبه". امتلأت عيناه بالدموع وبدا مثل ولد هو أيضاً مع شعره الأحمر الساطع والنمش الكثير. وتوجب على أوليفر كبح دموعه فيما راقبه. فقد صمم على فعل كل ما بوسعه لمساعدته.

"قالت لنا السيدة كارتر إنها ستوقع على بيان تثبت فيه اعتناءك الجيد بالطفل، ومسؤوليتك تجاه الطفل. وسيكون ذلك مفيداً جداً لنا. واقترحت نوعاً ما أنها لا تمانع الحصول على "هدية" صغيرة منك، أو من والدك، لكن علينا توخي الحذر في ذلك. فشراء الأولاد، أو أي شيء شبيه بذلك من بعد، هو جرم قانوني في هذه الولاية، وقد شرحت لها ذلك. أصيبت بخيبة الأمل، لكنها قالت إنها ستوقع على أي بيان نكتبه. ستكون لدينا محكمة في بايكرسفيلد في الأسبوع المقبل، وإذا سار كل شيء على ما يرام، يفترض أن يصبح ابنك بين ذراعيك خلال بعد الظهر".

"ماذا عنه في غضون ذلك؟" بدا بنجامين لبرهة شديد الاهتياج.

"ما من شيء نستطيع القيام به في الوقت الحاضر. إنه في أيدٍ أمينة وهو بخير". بدا بنجامين غير مسرور بالأمر، لكن بدا أنه لا يوجد أي شيء يستطيع القيام به لتغيير الأمور ووافق على موعد المحكمة في الأسبوع المقبل، وصلى أن يتمكنوا من العثور على ساندرا في ماوي لتوقع على الأوراق التي يحتاجون إليها لإعادة ألكس إليه.

الفصل السادس والعشرون

كانت الرحلة إلى بايكرسفيلد مقلقة بالنسبة إلى بنجامين وأخذ أوليفر يوم إجازة للانضمام إليه. كان الرجلان صامتين وعصبيين، أثناء وجودهما في السيارة، غارقين في أفكارهما بشأن الصغير ألكس وما يمثله لهما... بالنسبة إلى أوليفر، إنه يمثل الحياة الجديدة والبداية الجديدة ويذكره مجدداً بقول شارلي إنها تريد إنجاب أولاد منه. فوجود الصغير ألكس في الجوار سيكون بمثابة تذكير لما يعنيه وجود طفل، وكان جزء منه متحمساً للأمر، فيما خشي جزء آخر الفوضى والارتباك. لكن بنجامين وعد بأن يتولى الأمر بنفسه، مع القليل من المساعدة من أنياس.

حاول إجراء حديث صغير مع بنجامين في طريقهما إلى الجادة 5، لكن الصبي كان عصبياً جداً. لقد حضّر هو وآجي مهداً في غرفته، واشترى ست علب من الحفاضات. أراد التوقف أمام منزل السيدة كارتر للحصول على ثياب ألكس، لكن أوليفر رأى أنه من الأفضل فعل ذلك في طريق العودة. فما زال يخشى أن يحدث خطب ما، ولا يعطون ألكس لهما. فلم يتمكنا من الاتصال بساندرا في ماوي، لكن المحامي قال إن هناك فرصة كبيرة بتسليم الطفل إلى بنجامين في أية حال لأنها وقعت على الأوراق التي تتخلى فيها عنه للتبني قبل مغادرتها إلى هاواي.

كانت المحكمة في بايكرسفيلد في جادة تراكستون، وترك أولي السيارة في مرأب السيارات ولحق بابنه إلى الداخل. كان هذا آخر أسبوع من شهر أغسطس وكان الطقس حاراً جداً.

كان المحامي بانتظارهما في الداخل وبدا بنجامين مذعوراً فيما أخذا أماكنهما في غرفة المحكمة. كان يرتدي سترة كحلية وسروالاً باللون الكاكي مع قميص أزرق وربطة عنق المدرسة الكحلية. كان يبدو مثل طالب كان يفترض أن يكون في هارفارد. كان شعره ممشطاً كما يجب، وابتسم له أوليفر

فيما طلب منهم حاجب المحكمة الوقوف.

"سيكون كل شيء على ما يرام، بنيّ"، شد أولي على يده وابتسم له بنجامين بضعف.

"شكراً أبي". لكنهما عرفا جيداً أن لا شيء أكيد البتة، وقد حذرهما المحامي من أن خطأً قد يحصل. فما من شيء مضمون لأي كان في المحكمة، وبدا القاضي جاداً حين توجه إليهما من مقعده.

كانت المسألة قد حسمت قبل انعقاد المحكمة، إذ جرى قراءة بيان السيدة كارتر، وشعر آل واتسون بالارتياح بعدم رؤيتها. أما الأوراق التي وقعت عليها ساندرا فتم تقديمها بمثابة دليل، فيما شرح تقرير المراقبة الاختبارية الظروف التي سيعيش فيها الولد. سوف يعيش في منزل عائلة واتسون المستأجر في بيل آير مع والد بنجامين، وشقيقته وشقيقه الأصغر، ومربية لتساعدهم في العناية بالولد، فيما يذهب الوالد إلى الجامعة في UCLA. كان من المقرر أن يبدأ المدرسة الصيفية في الأسبوع المقبل، وما زال يعمل في وظيفته بدوام جزئي في المكتبة. بدا القاضي غير متحمس، وطلب من المحامي الاقتراب من مقعده. عقدا مؤتمراً على صوت خافت لدقائق عدة فيما أومأ القاضي برأسه، ثم توجه إلى بنجامين وطلب منه الاقتراب من مقعده أيضاً. طلب منه التوجه إلى منصة الشهود، وإقسام اليمين، لأن هناك بعض الأمور التي يود سؤاله عنها. مشى بنجامين الخطوات القليلة بركبتين مرتعشتين وجلس محدقاً في والده.

"أريدك أن تفهم، سيد واتسون، أن هذا ليس تحقيقاً رسمياً، لكنها مسألة جادة أمام المحكمة وتكمن حياة الولد في الميزان. هل تفهم ذلك؟"

بدا بنجامين شاحباً وإنما هادئاً فيما أومأ رأسه. "نعم أفهم سيدي".

"الولد المعني، ألكسندر وليام كارتر هو ابنك؟ هل تعترف بذلك؟"

"نعم سيدي، أعترف".

"هل تعيش حالياً مع ام الولد؟"

"لا سيدي، لا أفعل"

"هل أقمت معها، في اي وقت من الأوقات؟"

"نعم، لمدة سنة".

"وهل كنتما متزوجين؟"

"لا لم نكن كذلك".

هل كنت تعيل الولد أو أمه؟"

"نعم سيدي. قبل ستة أشهر من ولادة ألكس، وبعد ذلك إلى أن انفصلنا في شهر مارس. ومنذ ذلك الحين، أنا... أنا وأبي نرسل لها المال كل شهر. ست مئة دولار". أومأ القاضي برأسه ثم تابع في طرح أسئلته.

"هل أنت مدرك لطبيعة الرعاية الضرورية لولد في عمره؟"

"نعم سيدي. فقد كنت أعتني به بنفسي حتى شهر مارس. كانت ساندرا... حسناً، كانت تخرج كثيراً ولم تعرف فعلاً كيف تهتم بطفل".

"وأنت فعلت؟"" بدا القاضي مشككاً، لكن بنجامين بدا مسيطراً على الوضع.

"لا لم أفعل. لكن توجب عليّ التعلم. كنت أعتني به في الليل بعد العمل، وكنت آخذه أحياناً معي. كنت أعمل في وظيفتين آنذاك لتسديد المصاريف... حسناً، كل شيء.... تركت ساندرا العمل قبل إنجاب الطفل".

"لكن كنت تأخذ الطفل معك إلى العمل؟"

"أحياناً حين كانت خارجاً. لم يكن لدي أي شخص آخر لترك الولد معه ولم يكن باستطاعتنا دفع تكاليف مربية". لم يظهر أي شيء على وجه القاضي، ومهما حدث، كان أوليفر فخوراً بابنه كما هو الآن. إنه رجل راقٍ، ولم يعد صبياً، وكذلك أب صالح. إنه يستحق أن يكون الولد في رعايته. أمل الآن في أن يرى القاضي الأمور بهذه الطريقة أيضاً.

"والآن، سوف تعيش أنت والطفل مع والدك؟"

"نعم سيدي".

"هل هذا ممكن بالنسبة إليه؟ هل وافق على ذلك؟"

أومأ أوليفر برأسه من حيث هو جالس، وقال بنجامين إنه فعل. "وماذا لو اخترت ترك منزل والدك، إذا خرجت من المدرسة مجدداً، مثلاً، أو عثرت على صديقة أخرى؟"

"سوف آخذ ألكس معي. إنه أكثر أهمية بالنسبة إليّ من أي شيء آخر. وإذا تركت المدرسة، سوف أحصل على وظيفة لأعيله، تماماً مثلما فعلت قبلاً".

"يمكنك الاستراحة سيد واتسون. تدعو المحكمة إلى خلوة قصيرة. سوف نستأنف بعد خمس عشرة دقيقة". طرق بالمطرقة ورحل، فيما ترك بنجامين المقعد، وهو صامت على نحو غريب، وإنما مبلل تماماً بالعرق.

"لقد أبليت حسناً"، همس المحامي. "أصمد فقط".

"لماذا دعا إلى خلوة؟" أراد أوليفر أن يعرف.

"يريد ربما قراءة المستندات مجدداً للتأكد من أن كل شيء كما يجب. لكن بنجامين أبلى حسناً. كنت لأعطيه أولادي لو أرادهم". ابتسم وهو يحاول طمأنتهما. وبعد خمس عشرة دقيقة، بعدما ذرعوا القاعات بعصبية، عادوا إلى مقاعدهم مجدداً وعاد القاضي.

نظر حول المحكمة، إلى أوليفر، والمحامي، ومن ثم مباشرة إلى بنجامين، فيما طرق مطرقته. "استأنفت المحكمة مجدداً. لا تقف، أرجوك إبقَ جالساً"، ثم حدقت عيناه في عينيّ الشاب ولفظ كلمات رزينة. "ما تحاول تحمله، أيها الشاب، هو عبء كبير. إنها مسؤولية لا يمكنك التهرب منها أبداً، أو نسيانها أبداً، أو تفاديها أبداً. لا يمكنك أخذ إجازة ليوم واحد من كونك أباً. لا يمكنك الانسحاب أو تغيير رأيك أو تقرير عدم التواجد هناك. خلال الثمانية عشر عاماً المقبلة، إذا لم يكن أكثر، سيكون هذا الطفل من مسؤوليتك وحدك، إذا منحتك المحكمة الوصاية الكاملة. لكن يبدو أنك أديّت هذه المسؤولية بشكل مذهل لغاية الآن. لذا، أدعوك الآن إلى التفكير جدياً في ما تريد القيام به هنا، وأن تتذكره في كل يوم في حياتك، وحياة الصبي، ولا تنسى للحظة واحدة ما تدينه لابنك.

"تعين المحكمة بنجامين أوليفر واتسون الوصي الوحيد على ألكسندر وليام كارتر. لديك الوصاية الكاملة على الصبي، بدءا من هذا اليوم، التاسع والعشرين من شهر أغسطس. وافقت المحكمة على إنهاء حقوق الأم، وستكون نهائية وفق المدة التي حددها القانون. يمكنك تغيير اسم الصبي ليحمل اسمك بدءاً من هذا التاريخ، أو ذلك التاريخ، حسب ما تشاء". نظر إليه برفق وابتسم. "الصبي لك، سيد واتسون". أشار إلى حاجب المحكمة حينها، فوقف وفتح الباب. دخلت مساعدة اجتماعية حاملة الصبي الذي بدا راضياً ومذهولا قليلاً بالبيئة غير المألوفة، فيما امتلأت عيون والده وجدّه، وحتى المحامي، بالدموع. "يمكنك أخذ ألكسندر إلى المنزل"، قال القاضي برفق فيما توجهت المساعدة الاجتماعية مباشرة إلى بنجامين وسلّمت ألكس لوالده، وصرخ الولد فرحاً حين شاهده هناك. سلّموا المحامي علبة كرتونية صغيرة تحتوي على بعض أشيائه، زوج من البيجاما، زوج من الثياب الفوقية، ودبّ كان بنجامين قد أعطاه إياه حين ولد. راحوا يبكون جميعاً عندئذ ويضحكون فيما نظر بنجامين إلى القاضي بذهول.

"شكراً سيدي... أوه، شكراً لك سيدي". ثم وقف القاضي، وغادر المنصة بهدوء. رافقهم المحامي خارج قاعة المحكمة، فيما أمسك بنجامين بالصبي وربّت أوليفر على كتف ابنه، ثم صافح يد المحامي وشكره. جلس بنجامين في المقعد الخلفي من السيارة وأمسك ابنه بإحكام قبل وضعه في كرسي الأمان الخاص الذي جلباه معهما.

قررا ألا يعودا إلى منزل أليس كارتر للحصول على بقية ممتلكات ألكس. فجأة، لم يشأ بنجامين في أن يراها مجدداً. فكل ما أراده هو أخذ ابنه إلى المنزل والاحتفاظ به للأبد بقربه. كره حتى الشروع في المدرسة في اليوم التالي. لم يشأ ترك ابنه للحظة.

عادوا إلى المنزل ببطء لتغيير الوتيرة في الجادة 99، وتحدث بنجامين بحماس فيما هدل الطفل. تحدث عن القاضي، والمحكمة، وأخيراً ساندرا. قالت المساعدة الاجتماعية للمحامي من مكتب لوب ولوب أن ساندرا كانت صريحة

وواضحة. عرفت أنها لا تستطيع تحمل مسؤولية الطفل، ولم تشأ أن تجرب. فمن دون بنجامين للاعتناء به نيابة عنها، أرادت الهروب. وكانت فترة الانتظار هذه مجرد إجراء شكلي. فلم يستبق أحد أية مشاكل، وكل ما أراد بنجامين فعله الآن هو تحضير الأوراق لتبديل اسم الطفل الأخير ليصبح اسمه، لكن مكتب لوب ولوب سيفعل ذلك لهم.

"حسناً، سيدي، ما رأيك في كل ذلك؟" تحدث بسرور مع طفله. 'هل تظن أنك ستحب العيش مع جدك وميل وسام." ضحك ألكس ووجه إصبعه نحو شاحنة عابرة فيما ابتسم إليه أولي بفخر.

"إذا لم يحب، يمكنه النوم في الكاراج مع ذلك الخنزير الهندي المزعج الذي يخص سام"، تظاهر جد الصبي بالهمهمة. لكن كان واضحاً كم يحبه.

كان ميل وسام وآجي في انتظارهم في المطبخ. لقد انتظروا هناك بأنفاس مقطوعة طوال بعد الظهر. في البداية، شاهدت ميل والدها وحده في المقعد الأمامي وظنت أن هناك خطباً ما. ثم خرج فجأة شقيقها من المقعد الخلفي، وهو يمسك بطفله، وصرخت عالياً وركضت إليه، فيما حدق ألكس فيها بعينين كبيرتين.

"إنتبهي... لا تخيفيه... هذا كله جديد بالنسبة إليه". أراد بنجامين وقايته بوحشية، فيما أصدر الطفل صيحة مرحة. أعطته آجي قطعة حلوى وأمسك سام الخنزير البري ليريه إياه، فيما بدأ الطفل يضحك وحاول لمس أنفه.

عثرت آجي على كرسي عالٍ في مكان ما ووضعته في المطبخ.

"لصحة ألكسندر واتسون!" قال مع ابتسامة عريضة، وهو يشعر بعبء بعد الظهر ينزل ببطء عن كتفيه. "فليعش حياة طويلة وسعيدة، مع أفضل بابا على الإطلاق".

"أوه لا"، التفت بنجامين ووجه له ابتسامة. "هذا أنت، أبي".

"كلاكما معاً"، قالت ميل مع ابتسامة وكانت عيون الجميع رطبة فيما ابتسموا ونظروا بسعادة إلى الطفل.

الفصل السابع والعشرون

بدأ بنجامين دروسه في اليوم التالي، لكنه عاد إلى المنزل مرتين للتحقق من ألكس على رغم إصرار آجي بأنها لا تحتاج إلى أية مساعدة منه. لكن بدا وكأن بنجامين لم يعد باستطاعته الابتعاد عنه مجدداً وهو بحاجة إلى رؤيته. وحين عاد إلى المنزل في نهاية اليوم، كان ألكسندر يجلس في كرسيه المرتفع، ويلتهم بسرور العشاء الذي حضرته له آجي بكل حب.

وحين جاءت شارلوت في تلك الليلة، أصرّت على أن تغني له فيما راحت تهزّه وساعدت بنجامين على وضعه في السرير، فيما وقف ميل وآجي وأوليفر بالقرب منه بطريقة واقية ووضع سام دبه الصوفي المفضل في مهد الطفل. كان هذا الدب الذي أعطته إياه سارة حين زارها للمرة الأولى في بوسطن.

أطلق ألكس صيحة مُؤقّتة حين خرج الجميع من الغرفة، لكنه أصبح صامتاً بعد برهة.

"سوف يصبح طفلاً مدللاً على نحو فاسد بحلول الأسبوع المقبل"، ادعى أوليفر بعدم الموافقة، لكن كان واضحاً لشارلوت أن أوليفر يخطط ليصبح أحد أبرز مدللي الطفل.

"ما هو شعورك في وجود طفل في المنزل مجدداً؟"

"مثل تمرين جيد. فقد جعلنا جميعاً نستيقظ في السادسة من هذا الصباح. لكني عليّ الاعتراف بأن بنجامين مذهل معه. حتى أفضل من آجي"، همس لها.

"تبدو متكيفاً جيداً مع الوضع. أنا أشعر دوماً بالغرابة مع الأطفال".

جذبها أوليفر بالقرب منه، وفي عطلة نهاية الأسبوع اصطحبا ألكس إلى

حديقة الحيوانات لوحده، من دون والده. كان الأمر مذهلاً بالنسبة إلى كليهما، وللمرة الأولى، لم يزعجهما أحد أو يطلب منها التوقيع. نظر العديد من الأشخاص إليهما، لكنهم قرروا جميعاً في النهاية أنه لا يمكن أن تكون شارلوت سامبسون. كانا مجرد ثنائي سعيد، يصطحبان طفلهما إلى حديقة الحيوانات، في يوم أحد من شهر سبتمبر. وحدها الماسة الكبيرة في يدها اليسرى أوحت بأنها قد تكون شخصاً غنياً أو مهماً، لكن أحداً لم يلاحظ ذلك.

وجعلها ذلك تشعر بارتياح كبير لأن الصحافة كانت تلاحقها منذ التعيينات لجائزة إيمي في شهر أغسطس. فقد جرى ترشيحها هي والبرنامج مجدداً هذه السنة. سوف يتم توزيع الجوائز في الأسبوع المقبل، وأراد الجميع أن يحضر قصصاً عن المرشحين، لكن شارلوت أرادت تركها وشأنها. فقد خشيت أن تجلب لها ضوضاء الصحافة الحظ التعيس. عادت إلى العمل، وكانت تنهض كل يوم في الرابعة صباحاً، وتصل إلى الاستوديو في الخامسة لتصفيف الشعر والماكياج. وفي المساء، كان أوليفر يأخذها من الاستوديو ويصطحبها لتناول عشاء هادئ في مكان ما، أو يعيدها إلى منزله لتناول العشاء مع الأولاد. كانوا جميعاً متحمسين للزفاف في شهر ديسمبر، ولم يقررا بعد إلى أين سيذهبان في شهر العسل، هاواي، بورا بورا، أو ربما التزلج. شعر سام أنه أياً كان مقصدهما، يجدر به الذهاب معهما، لكن أولي لم يحدد أي شيء حتى الآن. لا خنازير هندية، لا أولاد، لا أطفال في شهر العسل هذا. لقد واجها ما يكفي في حياتهما اليومية ولا حاجة إلى اصطحاب كل شيء إلى شهر العسل، حتى لو كان يحب أولاده كثيراً.

في الأسبوع التالي، كانت تقترب اللحظة الحاسمة بالنسبة إلى شارلوت، ولم يعد باستطاعتها تجنب الأمر أكثر. كانت الصحافة تنتظرها خارج الاستوديو كل يوم تقريباً. حتى أنها لحقت بها إلى محلات جورجيو حيث اشترت ثوبها، وهو عبارة عن فستان أسود طويل مطرز بالخرز والبرق اللماع من تصميم بوب ماكي. كما ذهبت لشراء فستان لميل، وهو عبارة عن

فستان جميل من الساتين الوردي ماركة أوسكار دو لا رنتا. تذمر أوليفر من فكرة تدليل ميل كثيرا، وطلبت منه شارلوت أن يهتم بشؤونه الخاصة. أقامتا حفلة وراحتا تجربان الفساتين وتضحكان، فيما اختارت شارلوت العديد من الفستاني الجميلة الأخرى لنفسها، ولعبت ميل بالقبعات وأكسسورات الملابس.

جاء أخيراً اليوم الكبير، وغادر شارلوت وأوليفر المنزل مع بنجامين وميل في سيارة ليموزين طويلة، فيما بقيت اجي مع سام لمشاهدة حفل توزيع الجوائز على التلفزيون. كان ألكس لا يزال مستيقظاً حين غادروا، وهو ينثر حلوى الشوكولا بسعادة فوق كل جسمه، والأريكة والبيجاما. لقد أصبح عمره سنة قبل يوم وقام بأولى خطواته.

وصلوا إلى مسرح باسادينا سيفيك أوديتوريوم، وبدت شارلوت هادئة جداً حين خرجت من السيارة وتأبطت ذراع أولي، فيما ميل وبنجامين خلفهما مباشرة. كانت هذه الليلة الأكثر إثارة في حياة الأولاد، واستطاع أولي الشعور بالتوتر أيضاً. كانت راحتا يديّ شارلوت رطبتين، وفيما لحق بها مصورو المشاهير، أحس بها وهي ترتجف برفق. وحين وصلا إلى مقاعدهما في المسرح، ركزت الكاميرات عليهما على الدوام. جاء عشرات النجوم للتحدث إليهما بعدما جلسا، وبدأ الاحتفال أخيرا بتوزيع الجوائز الأقل أهمية في البداية. بدا أن الأمر استغرق ساعات قبل الوصول إلى الجوائز الأكثر أهمية، وفي ذلك الوقت، كان سام يتثاءب وشبه نائم في المنزل، فيما ألكس نائم تماماً بين ذراعيّ آجي. أما في باسادينا، فكان التوتر هو السائد. ذاعوا أسماء المرشحين لأفضل برنامج، وأطلق بنجامين وميل صيحة عالية عند ذكر اسم برنامجها. ركض المنتجان في الرواق فيما بكت زوجاتهما، وابتسمت شارلوت ابتسامة عريضة جداً فيما تشبثت بأولي بقوة. لقد سرّت للمنتجين وأصرت لنفسها بأنها لا تحتاج إلى أكثر من التواجد في برنامج فائز، وحولت انتباهها على جائزة أفضل ممثل.

فاز صديق لها في برنامج منافس وشعرت بالحماس له. ثم جاءت

اللحظة الحاسمة. وأخيراً، جاء دورها. ولم يعد باستطاعتها تحمل الأمر. فطوال حياتها، قالت لنفسها إن الشهرة غير مهمة، لكنها مهمة. لقد عملت بكدّ للوصول إلى هذا، وسواء ربحت الجائزة أم لا، عرفت في أعماق قلبها أنها حصلت عليها.

ركزت الكاميرات عليها مجدداً ومجددا، فيما أمسكت بيد أولي الذي صلّى بصمت من أجلها. لقد أرداها أن تربح من أجلها هي. جرى إعلان أسماء المرشحين الآخرين، وبرز من ثم صمت طويل طويل فيما سأل أحدهم عن "المغلف من فضلكم". ثم سمع اسمها الذي عبر قلبه مثل البرق، وحدقت هي فيه ووضعت يداً على فمها، عاجزة عن تصديق انها ربحت فعلاً هذه المرة. نخسها برفق في قدميها، وراحت فجأة تركض في الرواق في تجاه المنصة فيما شعرها الملتهب ملتف في تجاعيد، والفستان الأسود المطرز بالخرز يبرز جسمها الرائع. "لا أصدق ذلك!" قالت قبل أن تغادر مقعدها، وبدت مصدومة ومبتسمة فيما توجهت إلى كل زملائها وأصدقائها عبر المذياع، وهي تمسك بجائزة الإيمي.

"لا... لا أعرف ما أقوله"، ضحكت. "لم أحضر أي شيء لأني لم أظن أبداً أني سأربح... أريد أن أشكر المنتجين والمخرجين والكتاب والممثلين والمصورين، وكل الأشخاص الرائعين الذين جعلوا هذا ممكناً... مدربي في التمثيل، جون درام، لأنه كان مجنوناً كفاية لمنحي هذا الدور... ووكيلتي لأنها أقنعتني به... آني، كنت محقة!... والأهم من كل شيء"، نظرت إليه مباشرة، "عائلتي... أوليفر، الذي سيصبح زوجي قريباً والذي دعمني بكل حب... وأولادنا بنجامين ومليسا وسام". تلألأت الدموع في عينيها عندئذ، وفي عينيّ أولي أيضاً. كان سام مذهولاً جداً للتحرك فيما كان يشاهد الحفل في المنزل. "أحبكم جميعاً، وأتمنى أن أحقق شيئاً أفضل في السنة المقبلة". أخذت الجائزة ولوحت لزملائها ومعجبيها، وغادرت المنصة مسرعة إلى مقعدها. بدأت الألحان الموسيقية تعزف حينها، وانتهى الحفل، لكن الصحافة كادت تسحقها

في مقعدها، فيما حماها أوليفر وقبلها، فيما قبلته هو وبنجامين وميل وشدّت على أيديهم. كانت هذه ليلة غريبة ومثيرة، وأخذا الولدين إلى المنزل، قبل أن تعود هي وأولي إلى الحفلة حيث سيحتفلون جميعا تلك الليلة. كانت هذه أمسية لن تنساها أبداً. لقد نجحت فعلاً.

رن الهاتف قبل مغادرتهما. كانت هذه مارغاريت ووالده يتصلان لتهنئة شارلوت. وكانت آجي لا تزال تذرف دموع الفرح حين اتصلت شارلي بأهلها في نيبراسكا وكانوا يبكون هم أيضاً. كانت هذه ليلة سحرية ولم تستطع أن تصدق أنها فازت، وتحدثوا جميعاً وضحكوا وابتسموا وشاهدوا إعادة الحفلة في نشرة الأخبار قبل مغادرتهم للحفلة.

"لم أظن أبداً أني سأربح"، قالت لأولي مجددا ومجددا فيما غادرا بيل آير في اتجاه بيفرلي هيلز.

"عرفت أنك ستربحين!". كان فخوراً جداً بها، وكان من المذهل أن يكون جزءاً منه معها. كانت الساعة قد بلغت الرابعة فجراً حين عادا أخيراً إلى المنزل، وانهارت في سريرها فيما استلقى أوليفر بالقرب منها. كانت جائزة الإيمي تحدق فيهما من منضدة التزيين عبر الغرفة ولم تستطع منع نفسها من الضحك فيما راحا ينظران إليها.

"إنها جميلة"، ابتسم أوليفر وهو متعب جداً حتى لفك ربطة عنقه.

"لكن ليست جميلة بقدرك"، تدحرجت فوقه وابتسمت له في فستانها الفاتن.

"أنت تبدو أفضل بالنسبة إليّ". كانت ثملة قليلاً، ومغمورة بفرح كل ما حصل.

"أنت مجنونة، هل تعرفين ذلك؟ أنت أكبر نجمة في هوليوود، وماذا تفعلين بي؟"

"أحبك. دعنا نحلم أن أحمل الليلة".

"تمالكي نفسك. أنت على وشك أن تصبحي أماً لثلاثة أولاد". ثلاثة أولاد فخورون جداً بها، تماماً مثل والدهم. "وحفيد أيضاً!" ضحك كلاهما على فكرة أن تتحول إلى جدة.

ابتسمت ابتهاجاً. كانت هذه ليلة لا تنسى. بالنسبة إليهم جميعاً.

قبلها عندئذ، وبعد خمس دقائق، كانت نائمة بين ذراعيه، فيما لا تزال ترتدي ثيابها، وجائزة الإيمي تحدق فيهما بكل مجدها. بدت مثل طفل حين حدّق فيها، وهو عاجز عن التصديق بأن هذه المرأة المميزة كانت له. غادرها في السادسة صباحاً تقريباً للاستعداد للذهاب إلى العمل. كان الأولاد لا يزالون نياماً حين وصل إلى المنزل، وكانت هناك هالة خيالية حول الليلة الفائتة. لكنه حصل. وكان حقيقياً. لقد ربحت الجائزة، وبعد ثلاثة أشهر، سوف تصبح زوجته. لا يمكن تصديق ذلك. وبالكاد يستطيع الانتظار. ثلاثة أشهر تبدو طويلة جداً الآن.... ابتسم لنفسه في الحمام... ثلاثة أشهر... ثم يتزوج هو وشارلي.

الفصل الثامن والعشرون

كان الأسبوع التالي هائجاً إذ لحقتها الصحافة في كل مكان. حصلت على علاوة هائلة من البرنامج، وجددوا عقدها للسنة التالية. لكنها حصلت على عشرات العروض الأخرى أيضاً، لبرامج خاصة، ومسلسلات صغيرة، وأفلام معدة للتلفزيون، وثلاثة أفلام طويلة، ومن ثم العرض الذي انتظرته طوال حياتها. فقد اتصلت بها وكيلة أعمالها في الاستوديو، ولم تعرف ما الذي تقوله لها. لقد أرادت ذلك أكثر من أي شيء آخر، لكنها قالت إن عليها التحدث في الأمر مع أوليفر. لديه حق التصويت في القرار أيضاً. كان هذا قراراً مهماً بالنسبة إليها، وهو يعني الكثير من الأشياء. مثل تأجيل العقد مع البرنامج الذي منحها جائزة الإيمي. أو حتى خرق العقد إذا اضطرت لذلك.

بدت عصبية حين جاء لاصطحابها تلك الليلة بعد العمل، وكانا سيذهبان لقضاء أمسية هادئة في منزلها لمناقشة رحلة الزفاف. كان يتوق للذهاب إلى بورا بورا. لكن قبل أن يخرج الكتيبات في هذا الشأن، عرف أن شيئاً ما حصل.

"شارلي، ما الخطب؟". أصبح يعرفها جيداً الآن، ومن غير المألوف أن تكون متوترة معه. لكنها لم تبدد أي وقت قبل إخباره. لقد تلقت عرضاً للمشاركة في مسرحية في برودواي، مسرحية جادة، من النوع الذي حلمت به على الدوام، وكانت هذه فرصة قد لا تتكرر ثانية. وسوف يبدأون التمارين في شهر ديسمبر. سيعني ذلك الذهاب إلى نيويورك لمدة سنة على الأقل، أو ربما أكثر، إذا نجحت المسرحية، وقد تدوم لسنتين على الأقل.

جلس ينظر إليها، مذهولاً، غير مصدق ما سمعته أذناه، أو النظرة التي على وجهها. كانت حائرة بوضوح. وشعر كأن قلبه سيتقطع. "ماذا عن العرض؟" ماذا عني، أراد أن يصرخ.

"عليّ فسخ العقد. تظن وكيلة أعمالي إنه إذا تصرفنا بالشكل الصحيح، قد يسمحون لي".

"هل هذا ما تريدينه؟"

"لا اعرف. لطالما أردت ذلك. بالنسبة إليّ، لطالما كانت برودواي القمة، الذروة، مثال التمثيل الجاد".

كانت صادقة معه، ولطالما كانت كذلك. "أنا أقول لك ما أعرفه بالضبط. لم أتخذ قراري بعد. قلت لوكيلتي إنه يجدر بي التحدث معك أولاً. لكن... أولي... لطالما أردت المشاركة في مسرحية في برودواي، ولا سيما واحدة مثل هذه".

"ماذا يعني ذلك بالنسبة إلينا؟ وماذا يفترض بي أن أفعل خلال سنتين؟ أجلس هنا؟ لا أستطيع ترك المكتب هنا، لأني هنا منذ عام فقط، وهذا أمر مهم بالنسبة إلي، ربما لوقت طويل، إذا لم يكن للأبد. أولادي جميعهم في المدرسة. لا أستطيع التخلي عنهم أو نقلهم مجدداً. لقد خاضوا ذلك مرتين خلال عام. لا أستطيع فعل ذلك، شارلي. لا أستطيع التخلي عن كل شيء والرحيل، حتى لو كنت أرغب كثيراً في رؤيتك في ما تحبين القيام له". عليه التفكير في مهنته وعائلته أيضاً. لكنها بدت مذعورة. لم تشأ التخلي عن العرض، حتى كرمى له، وكان هذا واضحاً.

"أستطيع التنقل". لكن بدا وكأن الكهرباء أصابته حين لفظت الكلمات. ووثب على قدميه وراح يذرع الغرفة بصمت.

"لا تطلبي مني هذا، شارلي"، قال أخيراً. "لقد عشت ذلك مرة مع المرأة التي أحببتها. لم تباشر حتى في محاولة التنقل. لكن حتى لو فعلت، كم تظنين أن هذا سيدوم؟ الانتقال من هنا إلى هناك، وقضاء يوم واحد معاً في الأسبوع. هذا سخيف، ولن يجدي نفعاً. لم نعزز علاقتنا بعد، وتريدين تعريضها لهذا النوع من الضغط؟ أستطيع القول إنها فشلت الآن. سيكون الأمر أقل إيلاماً بالنسبة إلى كلينا، بدل الانتظار لفعل ذلك بعد سنة من الآن. إنسي الأمر. لا

أريد سماع كلمة "تنقل"". حاول تهدئة نفسه بعد ذلك والتفكير فيها. "إسمعي شارلي، عليك أن تفعلي ما هو ملائم لك". كان يحبها كفاية للسماح لها بالقيام بذلك، مهما كان تأثير ذلك فيه. عرف أنه لا يملك الحق لاعتراض طريقها، وإذا فعل، سوف يخسران في النهاية في أية حال. لقد تعلم هذا الدرس من تجربة صعبة. "فكري في الأمر. قومي بما تريدينه". أغلق عينيه لبرهة وجيزة مع ألم كبير، لكنه عرف قبلاً هذا الألم واليأس والخسارة. سوف ينجو من الأمر مجدداً. وأراد فعل ذلك، كرمى لها. "أظن أنه يجدر بك ربما القيام بذلك. سوف تندمين دوماً إذا رفضت العرض في أية حالة. إقبلي به صغيرتي... لا تترددي. لديك الحق في ذلك. أنت الآن في أوج مهنتك. لن تأتي هذه الفرص أبداً مجدداً. لكن لا تتوقعي مني أن أتنقل... أو تصدقي أنه سيكون لدينا كل شيء. لا نستطيع. عليك أحياناً القيام ببعض الخيارات في الحياة. إتخذي القرار المناسب لك. هذا كل ما أريده لك". ظهرت الدموع في عينيه عندئذ، والتفت بعيداً حتى لا تراها.

"هل تقول لي إنه سينتهي كل شيء بيننا إذا رحلت؟" بدت مذهولة ومنفطرة القلب أيضاً.

"نعم. ولكن ليس لأني أريد إجبارك أو أجعلك تبقين هنا من أجلي. أنا أقول لك فقط إني عشت مثل هذه التجربة قبلا، ولا أستطيع تكرار الأمر ثانية. سوف أتمنى لك الخير بدل ذلك، وأقبلك وأقول لك وداعا مع دموع في قلبي. لكن الأمر سيكون أسهل الآن مما هو بعد عام أو اثنين، وربما حتى مع ولد. ولا أظن ان أولادي يستطيعون تحمل الخسارة مجدداً في أية حال. وعليّ التفكير فيهم أيضاً. أنا أحبك شارلي. أنا أحبك ما يكفي للسماح لك بالقيام بما تريدينه. سوف أذهب إلى المنزل الآن. فكري في الأمر. واتصلي بي حين ينتهي كل شيء. سوف أفهم... صدقاً، سوف أفعل". كانت عيناه رطبتين وكانت هي تبكي. لم تستطع تصديق ما قاله، لكنها فهمته. "لكن لا تدعيني أقرأ الأمر في الصحف أولاً". ثم، ومن دون النظر إلى الخلف، غادر وعاد إلى منزله.

كان سام لا يزال مستيقظاً حين عاد إلى هناك، وكان يلعب مع الخنزير الهندي في المطبخ، فيما دخل أوليفر وهو يبدو أنه تعرض لصاعقة.

"مرحبا أبي". نظر إليه مع ابتسامة عريضة، ثم توقف ونسي أمر الخنزير الهندي لمرة واحدة. "ما الخطب؟"

"لا شيء. لقد كان يومي مريعاً في المكتب. سوف أخلد إلى السرير". مشط شعر سام وتوجه مباشرة إلى غرفته، من دون قول أية كلمة أخرى. ركض سام إلى غرفة أخته، مع نظرة رعب.

"هناك خطب مع والدي!"، قال لها. "لقد عاد للتو إلى المنزل وكان شاحباً"

"ربما هو مريض. هل سألته ما الخطب؟"

"قال لي فقط إنه عانى يوماً سيئاً في المكتب".

"ربما فعل. لماذا لا تسترخي وتتركه وشأنه؟ سيكون ربما على ما يرام في الصباح".

لكنه لم يكن كذلك في صباح اليوم التالي. لاحظوا جميعاً ذلك. كان هادئاً وشاحباً، ولم يلفظ أية كلمة. نزل إلى الأسفل في وقت متأخر، ولم يلمس البيض، فيما نظر سام إلى شقيقته.

"هل أنت مريض، أبي؟" حاولت أن تبدو عفوية. ومن دون أن يقصد ذلك، أصاب سام الموضوع مباشرة. وكاد والده أن يجفل عند سماع كلمات الصبي.

"لقد تشاجرت مع شارلي في الليلة الفائتة؟"

"لا، طبعاً لا".؟ لكنها لم تتصل به بعدما غادر ولم يستطع النوم طوال الليل. فقد كان رعب خسارتها أكبر مما يستطيع تحمله. وبأي ثمن. لقد أحبها كثيراً لمحاولة التشبث بشيء لن يحصل عليه أبداً، تماماً مثلما اكتشف مع سارة.

غادر إلى المكتب ذلك الصباح وهو يشعر مثل الزومبي، وكاد أن يرتعد

حين أخبرته سكرتيرته بعد الظهر أن شارلوت تنتظره في المكتب الخارجي. خشي فجأة أن يسمح لها بالدخول، وخشي أن يراها، وخشي أن يسمع ما ستقوله له. شعر أنه علق في الفخ حين أدخلتها السكرتيرة لكنه لم يقف لأن ساقيه أصبحتا عاجزتين فجأة عن حمل وزنه.

"هل أنت على ما يرام؟" نظرت إليه شارلي بقلق، وتوجهت ببطء نحو المكتب، فيما حدقت عيناها في وجهه، علما أن وجهها كان شاحباً ولكن ليس اكثر شحوباً من وجه أولي.

"لقد اتخذت قرارك، أليس كذلك؟"

أومأت برأسها، وجلست في الكرسي المقابل لمكتبه. "توجب عليّ المجيء الآن. سيذاع الخبر في النشرة في تمام الساعة السادسة. لقد عقد منتجو المسرحية اتفاقاً مع الشبكة، ووافقوا على منحي إجازة من البرنامج.

"وسوف تشاركين في المسرحية." بالكاد استطاع لفظ الكلمات.

أومأت رأسها ببطء، مع نظرة توتر في عينيها. "أظن ذلك". ثم تمددت وأمسكت بكلتا يديه في يديها وتوسلت إليه: "ألا نستطيع حل المسألة؟ ألا يمكننا على الأقل تجربة حل وسطي؟ أنا أحبك. لم يتغير أي شيء". بدت يائسة، لكن أولي فهم الأمور بصورة أفضل.

"ليس الآن ربما. ليس بعد. ولكن في النهاية، سيكون الأمر كثيراً. سنكون غرباء. سوف تعيشين في نيويورك، مع حياتك ومسرحيتك. وسأكون هنا، مع وظيفتي وأولادي. أي نوع من الحياة هذا؟"

"حياة صعبة ومثيرة للتحدي، وإنما تستحق العناء. لقد قام بها أشخاص آخرون ونجحوا. أولي، أقسم لك أني سأنتقل".

"كيف؟ لديك يومان إجازة. يوم للمجيء إلى هنا، ويوم للعودة. ماذا يترك لنا ذلك؟ ليلة في المطار؟ كم تظنين أن هذا سيدوم؟" وقف أخيراً، ومشى حول المكتب ليواجهها. "لقد اتخذت القرار الصحيح. أنت امرأة موهوبة، شارلوت. لديك الحق في أن تكوني الأفضل".

"لكني أحبك"

"أنا أحبك أيضاً. لكني لا أستطيع أن أنجح أمرا سيفشل. لقد تعلمت هذا الدرس قبلاً. بالطريقة الصعبة". كانت الندوب عميقة جداً، والألم كبيراً جداً، وفيما نظر إلى المرأة التي أحبها، عرف أنه خسرها.

"ماذا يحدث الآن؟' بدت محطمة، لكنها لم تواجهه.

"تتألم لبرهة. ننضج كلانا. نستمر. لديك عملك. لديّ أولادي. نستمد العزاء من ذلك، وفي النهاية يتوقف الأمر عن إيلامنا'. تماماً كما حصل مع سارة. فقد استغرق الأمر سنة واحدة فقط من الألم المستمر. فقط هذا. ويبدو أن فكرة خسارة شارلوت أسوأ نوعاً ما، لأنهما عاشا الكثير من الأمل والسعادة والحب، وكانت لديهما الكثير من المشاريع، لكن كل ذلك انتهى الآن.

'تجعل الأمر يبدو بسيطاً على نحو مريع، أولي". نظرت إليه بعينين مليئتين بالأسى، وتمدد هو برفق وأمسك يديها بين يديه.

"هذه هي المشكلة الوحيدة. ليست كذلك".

غادرت مكتبه بعد دقائق قليلة، والدموع في عينيها، وتوجه إلى المنزل ليجد آجي وسام يشاهدان الأخبار فيما يطعمان ألكس العشاء. كان المذيع يعلن أن هناك إشاعة مفادها أن شارلوت سامبسون ستترك برنامجها وتذهب إلى نيويورك للمشاركة في مسرحية في برودواي.

ضحك سام بصوت عالٍ فيما أعطت آجي الطفل قطعة حلوى أخرى. "هذا سخيف، أليس كذلك، أبي؟ شارلي لن تذهب إلى نيويورك. سوف تبقى هنا وسوف تتزوج". نظر إلى والده مع ابتسامة عريضة، وتجمد وجهه فجأة. بدا أولي متجمداً حين التفت من التلفزيون إلى سام وهز رأسه، كما لو في غيبوبة.

"لا، لا أظن ذلك، بني. لديها عرض جيد جداً للمشاركة في مسرحية مهمة. وهذا يعني لها الكثير، سام". حدق الولد وآجي فيه، فيما دخل بنجامين إلى المطبخ وشاهد المشهد الدرامي من دون أن يعرف ما الذي سببه. أطلق ألكس صيحة قوية ومدد يديه إلى والده، لكن بدا أن أحداً لم يسمعه للمرة الأولى.

"هل سنعود إلى نيويورك أيضا، أبي؟" نظر إليه سام خائفاً ومتأملاً، لكن والده هز رأسه، وهو يشعر كما لو أنه كبر مئة سنة في يوم واحد.

"لا نستطيع سام. أنتم جميعاً في المدرسة هنا. ولديّ مكتب لإدارته. لا أستطيع الانتقال من مكان إلى آخر مرة كل عام'.

"لكن ألا تريد ذلك؟" لم يستطع سام فهم ما يحصل. وفي هذه المسألة، كان أولي عاجزاً أيضا عن الفهم.

"نعم، أريد. لكني لا أريد أيضاً اعتراض حياة شخص اخر. لديها حياتها الخاصة لتعيشها، ونحن لدينا حياتنا".

كانت هناك لحظة صمت، ثم أومأ سام برأسه، ومسح بهدوء دمعة عن وجنته فيما راقبه والده وبنجامين. "مثل أمي تقريبا، هوه."

"نوعاً ما".

أومأ سام برأسه وغادر الغرفة، فيما لامس بنجامين ذراع والده برفق، وأخرجت آجي ألكس من الكرسي المرتفع وأخذته معها للتحقق من سام. كان يسهل التصور أن الأوقات العصيبة عادت مجدداً، وسوف يواجه سام صعوبة. لقد كان مولعاً جداً بشارلوت. تماما مثل والده.

"هل هناك أي شيء أستطيع القيام به، أبي؟" سأل بنجامين بهدوء، وهو متأثر بنظرة الأسى في عينيّ أولي. لكن أوليفر اكتفى بهز رأسه، وشدّ على ذراع بنجامين، وصعد إلى غرفته. استلقى على سريره وهو يفكر فيها طوال الليل، وشعر كما لو أنه تعرض للضرب المبرح بحلول الصباح.

ليس عادلاً أن يحدث له ذلك مجدداً. ليس عادلاً أن يخسرها. وفيما استلقى في سريره وحده، أراد أن يكرهها، لكنه لم يستطع. فقد أحبها كثيراً، وضربته سخرية ذلك مجدداً في الصباح، بعد ليلة من عدم النوم، حين أخرج كتيّبات بورا بورا. كان قدره أن يقع في غرام نساء يردن من الحياة أكثر من الزواج. لم يستطع أن يتخيل أن يحب امرأة أخرى مجدداً. وفيما حدق في النافذة، وفكر فيها، لم يستطع حبس دموعه. لقد أرادها بشدة، لكنه عرف أن

الأمر لن ينجح. لقد سمح لها بالذهاب، مهما كان مؤلماً كسر الروابط التي جمعت بينهما.

أراد أن يتصل بها طوال اليوم، لكنه أجبر نفسه على عدم فعل ذلك. كانت الصحف مليئة بالأخبار عنها ذلك اليوم، ولعدة أيام، لكنها لم تتصل به أبداً. فقد أرادها أن تغادر نيويورك بحيث لا يحاول التوجه إلى منزلها، أو التوقف في الاستوديو لرؤيتها. سوف تكون رحلت، إلى حياة أخرى، بعيدة عن حياته، إلى الأبد.

الفصل التاسع والعشرون

في اليوم الذي سبق عيد الشكر، وصلت سارة لاصطحاب ميل وسام إلى سان فرانسيسكو معها لرؤية الأصدقاء. حتى أنها وافقت على اصطحاب آجي وألكس، فيما أراد بنجامين الذهاب للقيام ببعض التزلج المبكر في سكواو فالي. لقد أنهت سارة كتابها قبل أسابيع قليلة، ورأى اوليفر انها تبدو على ما يرام. لكن الشيء الغريب أنه حين قبّلها على وجنتها، شعر كأنها غريبة. لم يعد يتوق إليها أبداً، وأصبح عطرها الآن رائحة غير مألوفة. فالمرأة التي تطارد أحلامه هي شارلي. وما زال قلبه يؤلمه كلما فكر فيها أو شاهد اسمها في الجرائد.

"متى ستتزوج، أولي؟" سألت سارة فيما كانت تضع ألكس على ركبتها في الصباح الذي غادروا فيه، وبدا أوليفر مذهولا.

"ظننت أن الأولاد أخبروك". كان صوته مشدوداً وهادئاً.

"أخبروني ماذا؟" بدت متفاجئة، فيما سال الطفل لعابه بسعادة فوق قميصها النظيف. لقد ذهبت آجي لتوضيب أغراض الأولاد، وكانت سارة تنتظر في المطبخ.

"سوف تذهب شارلوت للمشاركة في مسرحية في برودواي. يفترض أن تغادر قريباً. وحسناً.... لقد قررنا أن انتقالها أفضل من الزواج". ابتسم بشجاعة، لكن سارة لم تكن ساذجة. فهي تعرفه جيداً. وشعرت بالكثير من الأسى على الألم الذي عرفت أنه يشعر به. فهذا مختلف عما شعرت به حيال جان بيار، لكن الخسارة مؤلمة مهما كان نوعها. "أظن فقط أني أقع في غرام هذا النوع من النساء. النساء الذكيات اللواتي يملكن طموحات خاصة بهنّ".

"سوف تعثر على المرأة الصحيحة أحد هذه الأيام، أولي، فأنت تستحق ذلك". وكانت تقصد ذلك فعلا.

"لست واثقاً من أني سأملك الوقت لها، إذا التقيت بها"، ابتسم لإخفاء حزنه،

وألقى نظرة سريعة على ألكس. "يبقينا هذا الولد مفعمين بالحياة طوال الوقت". أخذه بنجامين من أمه عندئذ واصطحبه إلى السيارة لوضعه في كرسي سيارة البونتياك واغون التي استأجرتها سارة. كان يكره التخلي عن الطفل أساساً، لكن أوليفر أصرّ على أن التزلج سيجديه نفعاً. وكان هو نفسه سعيداً لأن سارة ستأخذ الأولاد. فألم فقدان شارلي لا يزال كبيراً جداً، ولم يشعر أوليفر بأي شيء من المرح.

غادرت سارة والأولاد الصغار بعد برهة، فيما جاء أصدقاء بنجامين لاصطحابه بعد لحظات. كان أولي وحيداً في المنزل، يحاول فرز كومة من الفواتير والبريد. بدا الجو صامتاً على نحو غريب، وفيما انحنى أوليفر للاستلقاء في كرسيه، تنهّد، كما لو أنه يحاول تحديد ما إذا كان يحب ذلك. وبسرعة كبيرة، وجد نفسه يفكر في شارلي مجدداً، وحتى سارة. تساءل ما إذا كان يمكن أن تكون الأمور مختلفة، مع كل منهما، لكنه عرف في أعماق قلبه أنها لن تكون كذلك. لو جعلا الأمور مختلفة في البداية، لم تكن سارة لتنفصل عنه لاحقاً، قال لنفسه فيما جلس أمام مكتبه، وأدرك من ثم أنها فكرة سخيفة. فهي كانت ستفعل ما فعلته في أية حال. إنها تريد ان تكون حرة، وتعيش وحدها، وتكتب قصصها. تماماً مثل شارلي مع مسرحية برودواي، وميغان في منزلها الجميل في نيويورك. وحتى دافني مع الرجل الذي لن يترك أبداً زوجته في غرينتش.

كان يضايقه فقط أن تكون شارلي جعلت من مسألة الزواج والأولاد "والحياة الحقيقية" أمراً مهماً بالنسبة إليها، لكنها اتخذت في النهاية الخيارات نفسها مثل البقية. الاستقلالية. مسرحيتها، نيويورك. مع وعد بالتنقل لن يحدث أبداً، مهما كانت نواياها حسنة.

كان الوقت متأخراً بعد ظهر ذلك اليوم قبل أن يغادر مكتبه مجدداً وذهب لإعداد سندويش لنفسه. ثم شاهدها تقف هناك، مترددة، قرب سيارتها في المدخل. إنها شارلي، حسب ما أدرك، وهي ترتدي قميصاً قطنياً وسروال جينز، وشعرها مربوط إلى الخلف كالعادة ما جعلها تبدو أكثر كأنها إحدى صديقات ميل وليس المرأة التي حطمت قلبه وارتباطهما. وقفت هناك لوقت

طويل، وهي تحدق فيه عبر النافذة، ولم تعرف ما إذا كان يجدر به فتح الباب لها أم لا. ظن انه من الصعب جدا أن يأتي لتقول له وداعاً. وأخيراً، بعد أن أصبح عاجزاً عن مقاومة الشعور الذي لا يزال يكنّه لها، توجه نحو الباب وفتحه ببطء. وسارت نحوه وهي تبدو عصبية جدا.

"لم أكن أعرف ما إذا كنت ستكون هنا أم لا... كنت سأترك لك ملاحظة...." رأى أنها كانت تحملها في يدها لكنه لم يشأ قراءتها. "أظن أنه كان يجدر بي الاتصال قبل المجيء".

"كان إرسالها بالبريد أكثر بساطة". لم يعد يملك أي شيء لقوله لها الآن. فقد قال كل شيء. وبكى غالباً.

نظرت خلفه حينها، في المطبخ، كما لو أنها تأمل رؤية الأولاد لكن الغرفة كانت فارغة وصامتة.

"كيف حال الجميع؟" بحثت عيناها عن عينيه، وأومأ برأسه فيما لا يزال يتساءل عن سبب مجيئها.

"بخير".

"ما زلت أشتاق إليهم"، اعترفت وهي تبدو حزينة وتشعر بالذنب. لم تأت أبداً لشرح الأمر لأي منهم. عرفت أن ذلك سيكون مؤلماً جداً.

"إنهم يشتاقون إليك أيضاً".

"كيف حال الطفل؟"

"بخير". ابتسم أولي. "بنجامين رائع معه".

"أين هم جميعاً؟"

"ذهبوا، وفي لحظة مجنونة، أراد دعوتها للدخول لكن ذلك لن يقودهما إلى أي شيء سوى المزيد من الألم. ثم تراجع إلى الخلف ولوّح لها للدخول. "هل تريدين الدخول لدقيقة؟"

أومأت برأسها وتبعته إلى المطبخ، وهي تفكر بمدى وسامته وكم أنها لا

تزال تحبه. نظرت حولها وأعادت الملاحظة التي كانت تحملها معها إلى جيبها.

"متى ستغادرين إلى نيويورك؟"

بدت مترددة، كما لو أنها غير واثقة مما تريد قوله له. عرفت كم يؤذيه ذلك بشدة، ولا مجال أبداً لإصلاح الأمر. وهناك الآن الكثير من الأمور لشرحها. وهي لا تعرف من أين تبدأ، أو ما اذا كان يجدر بها فعل ذلك، فيما راقبها هو. "إنها قصة طويلة".

"لا بد أنك متحمسة". حاول إبقاء صوته غير مبالٍ، لكنه لم يكن كذلك. فقد كشف صوته عن غضب وحزن وألم وعشق لها لن يختفي أبداً، مهما حاول جاهداً لقمعه.

"تحدث الكثير من الأمور"، حاولت أن تشرح. لقد كانت الأسابيع القليلة الماضية بمثابة جحيم بالنسبة إليها، لكنها لم تخبره ذلك. فقد رأت في عينيه أن الأوان قد فات. كانت سخيفة بالمجيء وعرفت الآن ذلك.

"هل ترغبين في شرب فنجان قهوة؟" عرض عليها. كان جزء منه يريدها أن ترحل، بحيث يصبح وحده مع حزنه مجدداً، لكن جزءاً آخر منه أرداها أن تبقى. إلى الأبد.

نظرت إليه لوقت طويل ومؤلم، ورغم الضفائر المتدلية من شعرها، قالت عيناها إنها ليست فتاة صغيرة، وإنما امرأة. إنهما عينا شخص دفع ثمن ما قام به. ثم تحدثت بنعومة فائقة.

"لن أذهب إلى برودواي، أولي".

"لن تذهبي؟" بدا مصعوقاً. ما الذي تقصده بذلك؟ لقد أخبرته. وبعد ذلك، شاهد الخبر في نشرة الأخبار وقرأه في الصحف. ما الذي تغير؟ متى ولماذا؟

"لا، لن أفعل. سوف أبقى مع البرنامج هنا".

"ألم يسمحوا لك بفسخ عقدك؟"

"كانوا سيسمحون لي، لكن..." انتظر، مذهولاً، لسماع بقية القصة.

"قررت أنه من غير الملائم أن أذهب".

"لمهنتك؟" كان ذلك بمثابة همس تقريبا.

"لنا. رغم أني أعتقد أن الأوان قد فات الآن. لكن ذلك كان خطأ وفهمت أخيراً ذلك. كنت أتحدث دوما عن مدى أهمية الزواج والعائلة بالنسبة إليّ، وأردت بعدها طمر كل شيء والهروب، مهما سبب لنا ذلك من ألم، أنت وأنا والأولاد.

"كان هذا خطأ. فقد كان الثمن مرتفعا جدا للتخلي عن شخص أحبه، مهما رأيت أني أرغب في ذلك. لم يكن هذا صحيحا، ولذلك رفضت العرض. وحتى لو لم أستعد أياً منكم، كان التخلي عن العرض الشيء الصحيح الذي يجدر بي فعله". ابتسمت ابتسامة مؤلمة. "شعرت بتحسن ما إن فعلت ذلك".

بدا أوليفر مذهولاً فيما نظر إليها، ثم كشف عن ابتسامة عريضة. "لا شك في أنهم غضبوا كثيراً".

"نعم"، ابتسمت. "هذه هي نهاية برودواي، حسب ما أعتقد. لكن الشبكة تحبني". ثم، "كنت أخشى الاتصال بك، أولي".

"لماذا؟"

"لأني سببت لك الكثير من الأذى. في دقيقة أتركك للذهاب إلى نيويورك، وفي الدقيقة التالية أعود وأقول لك إن كل شيء على ما يرام. لم أستطع فعل ذلك بك. هذا ما تقوله الملاحظة. ظننت أنه يجدر بي إعلامك قبل أن تقرأ الخبر في مكان ما، وتصوّرت أنه إذا أردت الاتصال بي، ستفعل. لكني لا أظن فعلاً أنك تريد ذلك". بدت وكأنها لا تتوقع أي شيء آخر منه، لكنها ستندم على ما قامت به حتى يوم مماتها. ثم، وفي اللحظة التي استوعب فيها الفكرة، بحثت هي من حولها في المطبخ عن قفص شارلي. "كيف هو حامل اسمي بالمناسبة؟" لم يظهر الخنزير الهندي في أي مكان، وابتسم لها أولي ابتسامة عريضة وهو يشعر أن عبئاً ثقيلاً جدًّا أزيح عن كتفيه.

"إنه منفي في الكاراج أثناء غياب سام، ذلك المزعج اللعين. فأنا أواجه مشاكل في النوم في الليل، من دون الاستماع إليه وهو يلعب".

بدت أكثر من معتذرة. "أنا أيضاً لم أكن انام جيداً طوال هذه الفترة. لقد أفسدت الأمور تماماً، أليس كذلك، أولي؟" كان صوتها رقيقاً وحزيناً فيما أومأ هو برأسه.

"يمكن". ابتسم لها ببطء. "ربما نعم.... ربما لا. فما تفعلينه في النهاية هو المهم في الحياة. نرتكب جميعاً الأخطاء". كانا لا يزالان يقفان بغرابة في المطبخ، وحياتهما على المحك، وعيونهما مليئة بالخوف والألم والتوتر. لديهما الكثير لخسارته... والكثير الكثير لربحه، حسب ما يفعله الآن.

"لقد اشتقت إليك أولي. سوف أشتاق إليك لوقت طويل طويل إذا لم تسامحني. لقد أحبته ما يكفي لتعود إليه وتطلب منه السماح. "أردت في كل يوم أن أتصل بك... أن آتي... أن أقول لك إني آسفة... وكم كنت حمقاء... وكم كنت مخطئة بالتفكير إن المسرحية في برودواي مهمة اكثر منك. كان هذا قراراً كريهاً، حتى لو عدت إلى صوابي في النهاية".

"لكنه كان صادقاً"، دافع عنها. "فهذا ما أردته على الدوام. "كان لديك الحق في ذلك شارلي".

"أردتك أكثر. لم أكن واثقة من ذلك إلى أن خسرتك. وكان الأوان قد فات عندئذ". قالت لها عيناه إن الأوان فات، وشعرت بالأسف لأنها جاءت، لكنه كان يتحرك ببطء في اتجاهها مع نظرة غريبة على وجهه.

"من قال لك ذلك؟" همس لها فيما جعلها بالقرب منه. "من قال إن الأوان قد فات؟ ومن قال لك إنك كنت مخطئة وأنا على صواب؟ قلت لنفسي ألف مرة إنه كان بإمكاني العودة إلى نيويورك، وإنه كان بإمكاننا الانتقال إلى المنزل في بورتشايس، وبأي حق وقفت في طريقك؟"

"كان لديك كل الحق... لديك أولادك للتفكير فيهم أيضاً. أما أنا فما كنت أفكر إلا في نفسي".

"والآن؟" بالكاد استطاع لفظ الكلمات فيما كان يمسكها. فما زال يحبها كثيراً. ويشعر بالألم لمجرد الوقوف بقربها مجدداً.

"أولي، أنا أحبك كثيراً". بالكاد استطاع لفظ الكلمات ببطء، ثم قبلها. كان هذا كل ما يريد سماعه، وكل ما يهتم به، وكل ما عاش من أجله بعد رحيلها.

"أنا أحبك أيضا... لن تعرفي أبدا كم اشتقت إليك. كنت سأصاب بالجنون لبرهة..."

"وأنا أيضا". كانت تبتسم فجأة، فيما رفعها عن قدميها وطاف بها في المنزل وهي تضحك. "إلى أين تأخذني؟" فجأة، أصبحت سعيدة مجدداً. كانت بين ذراعيّ الرجل الذي أحبته. لم يكرهها، وكان حزينا مثلها تماماً. لقد كانت حمقاء كبيرة، لكن حمداً لله أنها لم تغادر للمشاركة في المسرحية في برودواي.

"ماذا تفعل؟"

صعد السلم في اتجاه غرفة نومه. "آخذك إلى سريري حيث تتمين، إلى أن تتعلمي كيف تتصرفين.... أيتها الممثلة المشهورة... لا تتصرفي أبداً بمثل هذه الغباوة مجدداً"، قال لها فيما ضحكت وأدخلها عبر باب غرفة نومه. بدا مألوفاً وحنوناً ورائعاً فيما نظرت في عينيه.

"أولي، أنا آسفة..." كان لا يزال يمسك بها، كما لو أنه لا يريد التخلي عنها أبداً هذه المرة، لكنه ابتسم لها.

"لا تكوني آسفة. فأنا كنت أحمق مثلك أنت".

"والآن؟" نظرت إليه فيما وضعها على سريره.

"أتصور أننا كنا غبيين ونستحق بعضنا البعض".

ابتسمت له فيما مدت ذراعيها إليه، واستلقيا في سريره لمعظم الأربعة الأيام التالية، وكانت نهاية أسبوع سحرية. وجدها الأولاد في سروال الجينز والقميص القطني، حافية القدمين في المطبخ، حين أوصلتهم سارة ليلة الأحد وهي في طريقها إلى المطار. دخلت لتقول وداعا لأوليفر، لكن لبرهة، وبدت مذهولة حين شاهدت شارلوت، وهي تبدو مسرورة وسعيدة في المطبخ.

"هل هذه من أظن؟" همست سارة مع ابتسامة، فيما اوصلها أوليفر إلى

السيارة. لقد حاول تعريفهما إلى بعضهما، لكن سام وألكس أصدرا الكثير من الضجة بحيث كان يستحيل سماع أي شيء، وبدت شارلوت محرجة قليلاً لرؤيتها حافية القدمين في مطبخ أوليفر.

"إنها هي".

"هل يعني ذلك أنك ستنتقل إلى نيويورك؟" بدت سارة مذهولة قليلاً، ومسرورة من أجله فيما جلست خلف مقود سيارتها. لقد أمضت هي والأولاد نهاية أسبوع جيدة.

"لا، لن أنتقل إلى نيويورك". بدا معتداً بنفسه قليلاً، وحاول الادعاء أنه ليس كذلك.

"سوف تبقى هنا".

"حقاً؟" بدت سارة متأثرة، فيما ابتسم لها.

"أنا محظوظ حسب ما أظن". هذه المرة.

"لا، أولي". ابتسمت له، ولم يعد الماضي مؤلماً لأي منهما. "إنها فتاة ظريفة. تهانيّ لكما معاً، أو هل أستبق الأمور؟"

"قليلاً". كشف عن ابتسامة عريضة وضحكا معاً.

"حظاً جيداً إذاً". لوحت له وعادت بسيارتها إلى الخلف ودخل هو إلى المطبخ فيما لا يزال يشعر بالذهول فيما رأى شارلوت وهي تضع ذراعها حول سام وتمسك بألكس في الذراع الأخرى، وتتحدث بحماس مع ميل فوق رؤوسهما، فيما أعدّت آجي الشوكولا الساخنة وسط جو من الارتباك.

"لا أستطيع أن أصدق كم أنا محظوظة"، همست لأولي فيما جلسا على طاولة المطبخ.

"أنا المحظوظ".

"كلانا كذلك". فكّرت في الخاتم التي أعادته إليه وتساءلت عما حدث له. ألقت نظرة سريعة على إصبعها فيما خطرت الفكرة في بالها، وفيما نظرت

إلى الأعلى، شاهدت أوليفر يضحك. [illegible]

"أنت. وجوابا على سؤالك، لقد [illegible]، لم تكن لديه الشجاعة لإعادته إلى المتجر، واحتفظ به في خز[illegible].

"كيف عرفت في ما أفكر؟"

"لأني أذكى مما كنت أظن، وأنا أحدا[illegible] تبادلا ابتسامة طويلة وبطيئة فوق رأس الطفل، وشعر أوليفر كما لو أن أعجوبة حدثت. فثمة أعجوبة أعادتها مجدداً إليه، سواء اعتقد أنه يستحقها أم لا. "هل تستبدلينه بخاتم ذهبي بسيط؟" أراد التمسك بها قبل أن تغير رأيها مجددا، أو تظهر مسرحية أخرى أو فيلم أو رجل مهم وسيم. ولم يكن واثقا حتى ما اذا كان يريد الانتظار أربعة أسابيع أخرى حتى موعد العيد.

لكنها كانت تومئ رأسها جوابا على سؤاله. وقالت له النظرة في عينيها كل ما أراد معرفته. لقد عادت لتبقى وسيكون لديها كل شيء، حياتها معه ومهنتها، ط[illegible] ذلك. وفي هذه المرة، عرف كلاهما أنها تستطيع فعل ذلك. لقد ا[illegible]خذ[illegible]ها. وكان خيارها أن تبقى معه ومع الأولاد.

لكن لدي[illegible]نامجها أيضاً. وجائزة إيمي، وخنزير هندي، والرجل الذي تحبه، وثلاثة أو[illegible]ائعين، وحتى حفيد صغير. وأولاد منها، إذا كان هذا ما تريده. كان مستعداً لإعطائها كل شيء. لقد تعلم الكثير، هو أيضاً، في غيابها.

"متى؟" كانت النظرة في عينيه سحرية فيما أخذ ألكس منها وسلمه إلى آجي. حملت آجي الصبي وأخرجت سام بسرعة من المطبخ، وتركتهما وحدهما ليقررا مستقبلهما.

"غداً؟ الأسبوع المقبل؟" كانت شارلوت تضحك فجأة عليه فيما أجابته.

"ليس أكثر". قطّب وجهه فيما جعلها بالقرب منه، وانحنى لتقبيلها، عندما دخل بنجامين مع حقيبة التزلج فوق كتفيه.

"عذراً أبي"؟ كشف عن ابتسامة عريضة مسرورة حين شاه[illegible]

لوّح له أوليفر فوق كتفه، وخرج بنجامين بسرعة من الغرفة، وهو لا يزال يبتسم، فيما انحنى أولي لتقبيل شارلوت وبدأ يضحكان كلاهما.

"في نهاية الأسبوع القادم؟"، سألها مجدداً. وهو مسرور وإنما يائس.

"غداً"، ابتسمت بهدوء وهي تحدد موعد الزفاف الذي كاد أن يضيع إلى أن عادت إلى صوابها.

"أحبك"، همس أوليفر وهو يشعر بقلبها يخفق بالقرب منه، وبصوت عال تقريباً.

"أنا أحبك أيضاً" همست له مجدداً، وفي البعيد استطاعا سماع الأولاد وهم يركضون على السلم. إنهم يضحكون ويناقشون الأخبار الجيدة. وفي نهاية الأسبوع، ستكون الأمور رسمية في الأوراق. وبحلول ذلك الموعد، كان شارلوت سامبسون وأوليفر واتسون متزوجين وذهبا إلى هاواي لمدة أسبوع، مع موافقة منتجي برنامجها. كان مصورو المشاهير هناك حسب ما توقعوا، ينتظرونهما حين عادا إلى المنزل والتقطوا لهما عشرات الـ في المطار.

كان ألكس وبنجامين في انتظارهما. كان بنجامين يبتـ منهما. ـة عريضة فيما ألكس نائم بين ذراعيه، وهو يشعر بالسعادة والأمان.

"أتمنى أن يكون طفلنا ظريفاً مثله"، همست لأ... لحقا ببنجامين إلى منصة الحقائب، ووضع هو ذراعه حول زوجته الحالمة. لم يعد قلقاً من هذا. أصبح لديه كل شيء، الحياة التي أرادها، والمرأة التي جعلتها تستحق العناء. وعرف، بلا شك، أنه كان الرجل الأكثر حظاً على قيد الحياة.

"كل شيء على ما يرام؟" سأل فيما ساعد بنجامين على نقل الحقائب. وفيما خرجا ببطء، أسرعت امرأة إليهما مع صرخة حماس.

"ألست... ألست شارلوت سامبسون؟"

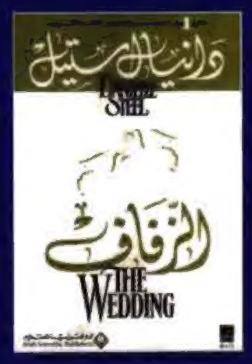
"لا"، هزت شارلي رأسها بسرور مع ابتسامة. "الاسم هو واتسون".

"أوه"، اعتذرت المرأة واختفت فيما ضحك الثلاثة، ونام الولد، وعاد أوليفر وشارلي إلى المنزل إلى أولادهما.



بيعت أكثر من
500 مليون نسخة
من رواياتها

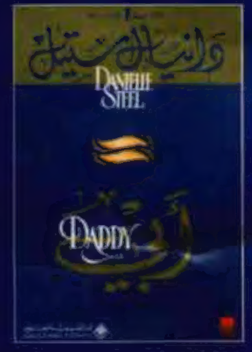
الجميع يقرأ لدانيال ستيل



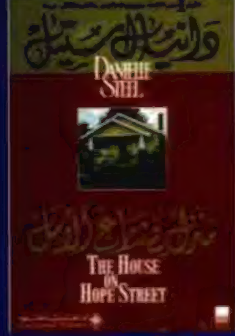
ISBN: 9953-29-902-1



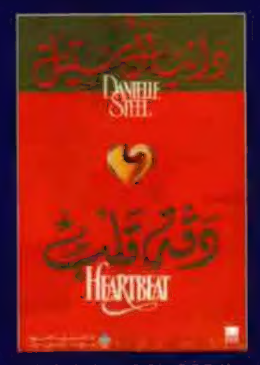
ISBN: 9953-29-901-3



ISBN: 9953-29-900-5



ISBN: 9953-29-905-6



ISBN: 9953-29-903-X



رة على

كوم
www.



sp.com.lb
ب. 13-5574 شوران 1102-50
785107/8 (1-961+) فاكس
البريد الإلكتروني .com.lb